

شكر وعرفان

لأمي ثم أمي ثم أمي.. أعطت بلا حدود.. ومازالت تعطي، فعتها موصول وممدود.. تعجز الكلمات عن برها، وتسكب العبرات في حبها، فلا تجف مآقيها ولا تصدها سدود.

لأبي وإخوتي.. محض الطفولة الأولى، وباعث حب التفوق وطلب العلم، والتروي من حوضه المورود.

لرفيقة الدرب، لقاء ما بذلت وضحت من عمرها ووقتها، من أجل إتمام هذا البحث ونيل المنى منه والمقصود.

للبنائي الذين حرّمهم هذا البحث بعض حقهم عليّ، فبدلوا من وقتهم لديّ، بكرم عجيب وجود.

لكل صاحب فضل عليّ، جليّ أو خفيّ، فالله أسأل أن يمنّ علينا جميعاً برفقة صاحب المقام المحمود ﷺ.

عاشقها
عاشقها
عاشقها

مقدمة

مقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان علمه البيان، وأنزل على عبده محمد ﷺ القرآن، ويسر ذكره لكل قاصٍ ودان، وفهم من شاء من عباده بعض دقائقه وأسراره فكشفها لهم وأبان، وصانه وحفظه من أن تطوله يد بزيادة فيه أو نقصان، وجعله بحكمته وعلمه صالحًا لكل زمان ومكان، فتتبع ثماره، وأينعت أزهاره، وأورقت أشجاره، وبسق نخيله، فكان منه صنوان وغير صنوان، وتعددت علومه، وتنوعت عجائبه، فكانت بحرًا بلا شطآن، لم يجعل له عوجًا، فهو منزه عن كل كذب أو نقص أو تعارض أو بهتان، وجعله محكمًا ومتشابهًا، قرآنًا عظيمًا معه سبع مئتان، وأمر بتدبره، وجعله ذكرى لمن ألقى السمع وهو شهيد، أو كان له قلب يقظان، والصلاة والسلام على من أرسله ربه ليبين ما أشكل منه على الإنس والجان.. محمد النبي الأمي العدنان، صلوات الله وتسليماته عليه ما تتابع القمران، وتعاقب الحدثان، وبعد:

فقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون كتابه المنزل على عبده محمد، صلى الله عليه وسلم، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، مشتتملاً على أشخاص، أو أعيان أو أمكنة أو أزمان أو غير ذلك، غير مصرح بأسمائهم فيه، ولا ريب أن لهذا الإبهام عللاً ومقاصد، عرفها من عرفها، وغفل عنها من غفل، هذه المسميات التي لم تسم بأسمائها، والأسماء التي لم تحدد مسمياتها، عرفت ب«مبهمات القرآن».

وكان من هذه المبهمات ما يعد البحث عنه والتنقيب وراءه، لمعرفة وتعيينه، نوعاً من أنواع العبث الصارف عن المقاصد الأصيل للقرآن الكريم، فلا قيمة لتعيينه، ولا جدوى كبيرة لمعرفة، ولو علم الله في معرفته خيراً لنا لعلمنا إياه، ومنه ما يعد تعيينه ضرورياً، أو حتى معيناً، لفهم كتاب الله وتدبره، ومن ثم العمل به، كما أن لتعيين بعض مبهمات القرآن قيماً عملية أو علمية ذات شأن، ليس من الخير أن يغفلها المسلم.

وقد ظهر البحث في مبهمات القرآن الكريم في فترة مبكرة جداً، فقد صاحب نزول القرآن على رسول الله ﷺ، حرصاً من الصحابة رضوان الله عليهم على فهم كتاب الله سبحانه وتعالى، وتدبره واستيعاب ما فيه، وقد وصل إلينا كم لا بأس به من المرويات حول هذا المبهم عن رسول الله ﷺ وعن صحابته رضوان الله تعالى عليهم.

غير أن هذه المرويات، شأنها شأن نظيراتها في تراثنا الإسلامي، ليست كلها على درجة واحدة من الصحة والثبوت، وقد اختلط الحابل فيها بالنابل، والغث بالسمين، وطالتها الإسرائيليات وغيرها من أنواع الدخيل، مع تضاربها في بعض الأحيان، وصعوبة الترجيح بينها، فضلاً عن أن بعض المبهمات لم يرد فيها نص منقول يفك إبهامها.

أهمية البحث

حاول المفسرون الكشف عن المبهم في القرآن الكريم والاستدلال عليه بطرق شتى، لم تخرج - بالطبع - في جملتها عن طرق التفسير المعروفة، وبدهي أن من هذه الطرق ما وصل بصاحبه إلى الصواب، أو حتى مظنته، ومنها ما لم يكن كذلك، فكان لا بد من دراسة موسعة تناقش هذه الطرق، من حيث صحة الاستدلال بها في كل موطن على حدة، وصحة ترتيب النتائج على المقدمات، وجمع كل الأدلة الواردة في المسألة دون إغفال شيء منها، ومناقشتها، والجمع بينها، أو الترجيح، وهذا ما يحاول البحث تقديم نماذج منه.

لماذا المبهم؟

يتبادر إلى الذهن أن ما سبق من الإشارة إلى دراسة طرق المفسرين للاستدلال على المبهم يمكن أن يقال عن تفسيرهم للغريب أو المشكل أو غيرها من الاهتمامات التفسيرية، فلماذا المبهم بالذات؟

والحق أنني قد دفعني إلى البحث في هذا الموضوع ما وقفت عليه من قول السيوطي، رحمه الله عن المبهم: «مرجع هذا العلم النقل المحض، ولا مجال للرأي فيه، وإنما يرجع فيه إلى قول النبي ﷺ وأصحابه والتابعين الآخذين عن الصحابة»^(١)، فتساءلت: أليس كشف المبهم مهمة من مهمات المفسر، ينسحب عليها ما ينسحب على التفسير بشكل عام، فيُتوصل إلى المبهم بطرق التفسير المعروفة، سواء المعتمد منها على النقل الصريح المباشر، كما هو رأي السيوطي، أو المعتمد على إعمال العقل في المنقول وفحصه ودراسته، أو المعتمد على مدلولات كلام العرب، أو الاستنباط العقلي؟ أم أن للمبهم خصوصية دون غيره تقتضي ألا يقضى فيه إلا بالنقل المحض كما يرى السيوطي؟

قوى هذا التساؤل ما حملته الذاكرة من استدلال بعض المفسرين على المبهم في أكثر من موطن بغير النقل، فكانت فكرة البحث عن استخدام المفسرين لطرق التفسير المعروفة في الكشف عن المبهم، وهل اعتمدوا حقاً على النقل وحده؟ وما مفهوم النقل هنا؟ أهو النص الصريح على المبهم؟ أم النص الذي يمكن أن يستدل منه، بطريقة أو بأخرى من طرق الاستنتاج والاستدلال، على المبهم؟ ثم ألا يُعدُّ الاستنتاج أو الاستدلال طريقاً عقلياً لمعرفة المبهم؟ وهل صحت النقول التي بين أيدينا، أو حتى توافرت، لتغطي كل المبهمات في القرآن؟ أسئلة كثيرة أثارها كلام السيوطي الذي يبدو أنه تأثر فيه بعبارة البلنسي^(٢) عن المبهم: «... قد عرف عند

(١) مفجمات الأقران في مبهمات القرآن، جلال الدين السيوطي (٨٤٩-٩١١هـ)، ضبط وتعليق د. مصطفى ديب البغا، مؤسسة علوم القرآن،

دمشق - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ=١٩٨٢م، ص ٨.

(٢) ستأتي ترجمته في مبحث المؤلفات في المبهم.

نقلة الأخبار والعلماء الكبار»^(١)، ربما في إشارة منه إلى أن هذا هو الطريق الأوحده لمعرفة المبهم «نقلة الأخبار والعلماء الكبار»، أو في إشارة إلى منهجه هو في الكشف عن المبهم في كتابه.

كما تابع السيوطي في هذا الاتجاه من الباحثين المعاصرين المهتمين بالمبهم الدكتور عبدالجواد خلف، الذي يقول عن طرق الكشف عن المبهم: «... بواسطة النقل الدقيق المحرر عن ثقات الأمة»^(٢).

على أن السيوطي نفسه، بعد سطور من قوله هذا، استدل على معرفة «الخليفة» في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٣) فقال: «هو آدم، كما دل عليه السياق»^(٤)، أليس الاستدلال بالسياق هنا فيه نوع من إعمال العقل في النقل؟ فهو، على كل حال، ليس معتمداً على النقل المحض.

ولعل هذه الدراسة تكون فاتحة لشهية الباحثين في السير على النهج نفسه ودراسة استدلال المفسرين في مباحث التفسير الأخرى، ولا شك أن هذا يحتاج إلى جهود متضافرة ودراسات مستفيضة.

(١) التعريف والإعلام فيما أجم من الأسماء والأعلام في القرآن الكريم، أبوالقاسم وأبويزيد عبدالرحمن السهيلي (٥٥٠٨-٥٥٨١هـ)، تحقيق الأستاذ

عبدأعلي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م، ص ١٦.

(٢) غرر التبيان لمبهمات القرآن، بدرالدين محمد بن إبراهيم بن سعدالله بن جماعة الكنايني الحموي الشافعي (٧٣٣هـ)، تحقيق د.عبدالجواد خلف، دار

قتيبة للطبع والنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ=١٩٩٠م، ص ١٥٩.

(٣) سورة البقرة: من الآية ٣٠.

(٤) مفحمت الأقران: ص ١١.

مشكلة البحث

يحاول هذا البحث دراسة الطرق التي سلكها المفسرون للكشف عن المبهم، على النحو الذي سبق بيانه، ومقارنة آرائهم بعضها ببعض، لاسيما أن علم المبهم في القرآن الكريم قد حظي باهتمام المفسرين والمؤلفين كثيرًا، وأفردت له المؤلفات، دون أفراد طرق الاستدلال عليه بدراسة مستقلة، فيما اطلع عليه الباحث، كما يحاول البحث الوصول إلى منهج علمي للتعامل مع المبهم في القرآن الكريم، والاستدلال عليه.

فهذا البحث ليس معنيًا بجمع المبهم في القرآن، أو حتى في بعضه، ولا باستقراء مسائله، ولا حتى بالوصول إلى رأي راجح في المسائل التي طرحها، وإن كان قد توصل إلى ذلك، بعون الله وتوفيقه، إنما كان الهدف الأول، والغاية العظمى، محاولة معرفة ما إذا كان المفسرون قد سلكوا كل طرق التفسير المعتادة في الكشف عن المبهم، أو بعضها دون الآخر، ودراسة هذه الطرق، ومناقشة ما يحتاج إلى مناقشة منها ومن النتائج التي توصل إليها المفسرون من خلالها، ومدى ثبوت هذه النتائج عن هذه الطرق، وتعقب المفسرين بعضهم بعضًا في هذه المسائل، وصحة الاستدلال بطريق ما في مسألة معينة أو خطئه، بغية الوصول، من هذا كله، إلى منهج أمثل في التعامل مع هذه المبهمات التي شاء الله عز وجل أن يحفل بها كتابه، ولعل وجودها سرًّا من أسرار بقاءه صالحًا ومصلحًا لكل زمان ومكان.

الدراسات السابقة

سبقت الإشارة إلى اهتمام المفسرين والمؤلفين بمبهم القرآن الكريم، وأنه قد أفردت له مؤلفات، غير أنه لم تفرد دراسة علمية لبحث طرق الاستدلال على المبهم عند المفسرين، ولا عند غيرهم من المؤلفين، وإن كانت هناك دراسات اهتمت بتدوين مواطن المبهمات وأنواعها والكلام حول إزالة الإبهام عنها، منها:

- ١- المبهمات في القرآن الكريم، الباحث حسين إبراهيم، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، ٢٠٠٥م.
 - ٢- المبهم في القرآن الكريم، الباحثة زينب محمد العربي، كلية التربية، جامعة الأزهر، ٢٠٠٦م.
 - ٣- المبهمات في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، الباحث محمد عيطان عباس، مقدمة إلى جامعة بغداد.
 - ٤- المبهمات في القرآن الكريم.. مواضعها وأسبابها، رسالة ماجستير، تقدم بها الباحث محمد السيد محمد أبو الغيط، لكلية دار العلوم، جامعة القاهرة ٢٠٠٩م.
 - ٥- مبهم القرآن الكريم في ضوء السنة النبوية، الباحثة دعاء سميح عبدالسلام مسلم، رسالة دكتوراه تحت إشراف الدكتور محمد فؤاد شاكر، والدكتور محمود محمد الحنطور، والدكتور فتحي عبدالمحسن محمد، جامعة عين شمس، كلية التربية، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م.
- هذا فضلاً عن الكتب التي أفردت المبهم بالتأليف، ولعل آخر ما صدر منها كتاب الدكتور عبدالجواد خلف الذي سماه «مباحث في مبهمات القرآن الكريم»، وجمع فيه، كما ذكر في مقدمته، ما كتبه جهابذة هذا العلم، كالسهيلي وابن عسكر وابن جماعة والبلنسي والسيوطي، كما اعتنى بشرح المبهم لغويًا، واستنبط لكل مبهم سبب إبهامه، معتمداً في ذلك على أمهات كتب التفسير بالمأثور. وكتاب الإبهام في القرآن والإعجاز العددي للدكتور حسين نصار، وسيأتي الحديث بالتفصيل عن أبرز كتب المبهمات في القرآن الكريم.

طريقة البحث

تجدر الإشارة إلى أنه كثيراً ما يستدل المفسرون في المسألة الواحدة بأكثر من

دليل، فيستدلون مثلاً بالقرآن والسنة وقول الصحابي، أو باللغة والسياق... وغير ذلك، ويصعب حينئذٍ تصنيف المسألة تحت طريق من طرق الاستدلال، فوضعت مثل هذه المسائل تحت واحد من الطرق، غير مغفل الإشارة إلى الطرق الأخرى، وراعت في اختيار الطريق الذي وضعتها تحته قوة الدليل ومرتبته، فالقرآن مقدم على السنة، وهما مقدمان على غيرهما... وهكذا، كما راعيت كثرة استدلال المفسرين بالدليل، وقوة حجته، لكنَّ هذا سبب أحياناً نوعاً من التداخل بين المحتويات، لنجد دراسة حديثية تحت الاستدلال بالقرآن أو السياق، وحديثاً عن الاستدلال بالسياق تحت الاستدلال بالقرآن أو الحديث... وهكذا مما فرضته طبيعة بعض المسائل.

ومن المفسرين من أورد آراءً في بعض المسائل، دون أدلة عليها، فذكرت هذه الآراء، ولم أناقشها، إذ لا دليل عليها يُناقش، غير أنني أثبتتها لإثبات طريقها، وهو النقل، أو الرواية، عن صحابي أو تابعي، وكذلك من باب الإحاطة بجميع الآراء في المسألة الواحدة.

واكتفيت من النماذج التي أوردتها على الطريق الواحد بما يمكن أن يثبت به الاستدلال بهذا الطريق، مراعيًا في المبهات التي اخترتها للدراسة أن تكون واردة في واحد من الكتب التي اعنتت بجمع المبهات، باستثناء مسألة واحدة أوردتها، لم يذكرها أحد من جامعي المبهات، وقد بيّنت لدى دراستها سبب إيرادها وأهمية ذكرها.

وفي كل مسألة أحاول أن أبين قيمة تحديد المبهم فيها، ثم أورد الآراء المتعددة حولها، ثم أتناولها بالدراسة، وأحاول أن أرجح بينها، ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

منهجية البحث

اقتضت الدراسة أن يسير البحث وفق المنهج الاستقرائي في جمع كل الآراء التي أوردتها المفسرون حول المسألة الواحدة، ثم ينجح إلى المنهج التحليلي لمناقشة هذه

الطرق، وبيان ما فيها من مميزات وعيوب، ثم المنهج الاستنباطي الذي يضع خطة واضحة المعالم للتعامل مع مبهم القرآن الكريم، في ضوء دراسة طرق المفسرين في التعامل معه.

كما أن طبيعة البحث اقتضت ألا يركن إلى مدرسة تفسيرية بعينها، أو حقبة زمنية محددة، أو بلاد بذاتها اشتهرت بالتفسير وراج فيها، إنما كان الركون إلى من ظهرت لديهم الطرق المدروسة وبانت في تفاسيرهم، على أن البحث قد تعرض إلى مواقف بعض المفسرين بالمأثور، وبعض المفسرين بالرأي، وبعض مفسري العصر الحديث، من المبهم، بشكل عام.

خطة البحث

جاء البحث في مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة.. وفيها:

تعريف يسير بمبهمات القرآن وبداية العناية به

أهمية البحث

لماذا المبهم؟

مشكلة البحث

الدراسات السابقة

طريقة البحث

منهجية البحث

خطة البحث

الفصل الأول: المبهم.. نشأته وأنواعه والمؤلفات فيه وأسباب وروده

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: المبهم لغة واصطلاحًا

المبحث الثاني: عناية الأمة بمبهم القرآن الكريم وتدوينه والمؤلفات فيه

المبحث الثالث: أنواع المبهم في القرآن الكريم

المبحث الرابع: أسباب ورود المبهم

الفصل الثاني: موقف المفسرين من المبهم في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موقف المفسرين بالمأثور من المبهم

المبحث الثاني: موقف المفسرين بالرأي من المبهم

المبحث الثالث: موقف المفسرين المعاصرين من المبهم

الفصل الثالث: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بالمأثور

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بالقرآن الكريم

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الاستدلال على «الذين أنعم الله عليهم»

المطلب الثاني: الاستدلال على «المغضوب عليهم» و«الضالين» في سورة

الفاتحة

المطلب الثالث: الاستدلال على الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه

المبحث الثاني: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بالسنة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الاستدلال على الصلاة الوسطى

المطلب الثاني: الاستدلال على الباقيات الصالحات

المطلب الثالث: الاستدلال على معنى الكوثر

المبحث الثالث: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بأقوال الصحابة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الاستدلال على الأيام المعدودات

المطلب الثاني: الاستدلال على المقتسمين

المطلب الثالث: الاستدلال على اللتين تظاهرتا

المبحث الرابع: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بأقوال التابعين

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الاستدلال على نعمة الله التي ينكرها الكافرون في سورة النحل

المطلب الثاني: الاستدلال على البيان الذي علمه الله للإنسان

المطلب الثالث: الاستدلال على النجم المقسم به

الفصل الرابع: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بالمعقول

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بالسياق

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف السياق لغة واصطلاحًا

المطلب الثاني: مشروعية الاستدلال بالسياق في التفسير

المطلب الثالث: الاستدلال على المبهم بالسياق

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: الاستدلال على المستقدمين والمستأخرين

المسألة الثانية: الاستدلال على «أمر الله» في أول سورة النحل

المسألة الثالثة: الاستدلال على الذي نادى مريم

المبحث الثاني: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم باللغة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التفسير اللغوي.. تعريفه.. أهميته.. مشروعيته

المطلب الثاني: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم باللغة

الاستدلال على الرقيم

المبحث الثالث: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بالاستنباط

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الاستنباط لغة واصطلاحًا

المطلب الثاني: مشروعية التفسير بالاستنباط

المطلب الثالث: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بالاستنباط

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: الاستدلال على عدد أصحاب الكهف

المسألة الثانية: هل كان موسى عليه السلام ضمن رجال القصر ساعة وكز

القبطي؟

الخاتمة: وفيها:

النتائج

التوصيات

منهج مقترح للتعامل مع المبهمات في القرآن

المصادر والمراجع، مرتبة حسب الترتيب الهجائي

فهرس الموضوعات.

والحق أني مدين لهذا البحث كثيراً، فقد عشت معه حيناً من الدهر، بينيني وأبنيه، يرفع ظمئي وأسقيه، يسد جوعتي وأطعمه في فيه، آخذ منه بيدٍ، ويبدٍ أخرى أعطيه، يرتب أفكارى وينظمها وينميها فتنميها، أدقق النظر في مسائله ومشكلاته، وصولاته وجولاته، وكل صغيرة وكبيرة فيه، عسى الله أن يوصلني به إلى ما كنت أبعيه، من خدمة كتابه وتدبر آياته وإدراك شيء من مراميه، فإن كنت قد وفقت فلله منة وحمد وشكر لست أحصيه، وإن كانت الأخرى فيني لاجئ إليه، أستغفره وأسترضيه، عسى أن يمنَّ بفضل وكرم وعفو فأنجو من التيه.

ولا أقول خيراً مما قال الإمام الشاطبي في مقدمة نظمه المشهور في القراءات السبع «حرز الأمانى ووجه التهاني»:

وظنَّ به خيراً وسامح نسيجهُ

بالأغضاء والحسنَى وإن كان هلهلاً

وسلِّم لإحدى الحسنيين إصابهُ

والأخرى اجتهاداً رام صوباً فأححلاً

وإن كان خرقاً فأدركه بفضلِه

من الحلم ويُصلحه من جاد مقولاً

والله أسأل أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتجاوز عما يكون قد اعتراه من تقصير أو خلل أو زلل أو نسيان، فجلّ من لا يسهو، ومن ذا الذي ما ساء قط؟ ومن له الحسن فقط؟ فقد بذلت الجهد..

وعلى الله قصد السبيل.

عامر أحمد علي عامر

الفصل الأول

المبهم.. نشأته وأنواعه.. والمؤلفات فيه
وأسباب وروده

المبحث الأول: المبهم لغة واصطلاحًا

المبحث الثاني: عناية الأمة بمبهم القرآن الكريم وتدوينه والمؤلفات فيه

المبحث الثالث: أنواع المبهم في القرآن الكريم

المبحث الرابع: أسباب ورود المبهم في القرآن الكريم

المبحث الأول: المبهم لغة
واصطلاحاً

أولاً: المبهم لغة

ثانياً: المبهم اصطلاحاً

أولاً: المبهم لغة

المُبْهَم في اللغة اسم مفعول من الإبهام، وهو مصدر أبهم المزيد بالهمزة، ومجرده بَهَمَ، وتدور معاني مادة «بَهَمَ» في المعاجم العربية حول العجز عن الكلام، والخفاء والغموض، و«أن يبقى الشيء لا يُعْرَفُ المأتى إليه، يقال هذا أمرٌ مُبْهَمٌ، ومنه البُهْمَةُ: الصخرة التي لا حَرَقَ فيها، وبها شَبَّهَ الرَّجُلُ الشُّجَاعُ الذي لا يُقَدَّرُ عليه من أيِّ ناحية طُلب، وقال قوم: البُهْمَةُ جماعةُ الفرسان، ومنه البهيم: اللون الذي لا يخالطه غيره، سوادًا كان أو غيره، وأبْهَمْتُ الباب: أغلقتُه... والبهم صغارُ الغنم، والبهمى نبتٌ، وقد أبْهَمَتِ الأرضُ كَثُرَتْ بُهْمَاهَا...»^(١).

«والأسماء المبهمة عند النحويين هي أسماء الإشارات، نحو قولك: هذا، وهؤلاء، وذاك وأولئك، واستبهم عليه الكلام، أي استغلق، وتبهم أيضًا، إذا أرتج عليه»^(٢).

«ويقال: أبهم عن الكلام، وطريقٌ مُبْهَمٌ إذا كان حَفِيًّا لا يَسْتَبِين، ويقال: ضربه فوق مُبْهَمًا، أي مَعْشِيًّا عليه لا يَنْطِقُ ولا يَمَيِّز، ووقع في بُهْمَةٍ لا يَتَّجِه لها أي حُطَّةً شديدة، واستبهم عليهم الأمر: لم يدروا كيف يأتون له... وكلام مُبْهَم: لا يُعْرَف له وَجْه يُوْتى منه، مأخوذ من قولهم حائط مُبْهَمٌ إذا لم يكن فيه بابٌ... وإبهام الأمر: أن يَشْتَبِه فلا يعرف وجهه... وبابٌ مُبْهَم: مُغْلَق لا يُهْتَدَى لِفَتْحِهِ إذا أُغْلِقَ،

(١) مقاييس اللغة، أبوالحسين أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ)، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت،

٣١١/١.

(٢) الصحاح.. تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٣هـ)، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة،

يناير ١٩٩٠م، ١٨٧٥/٥.

وأبْهَمَتِ الْبَابَ: أَغْلَقَتْهُ وَسَدَّدَتْهُ، وَلَيْلٌ بَهِيمٌ: لَا ضَوْءَ فِيهِ إِلَى الصَّبَاحِ... وَكُلُّ ذِي أَرْبَعٍ مِنْ دَوَابِّ الْبَحْرِ وَالْبَرِّ يُسَمَّى بِهَيْمَةٍ... وَالْمُبْهَمُ وَالْأُبْهَمُ: الْمُضْمَتُ... وَالْمُبْهَمُ مِنَ الْمُحْرَمَاتِ: مَا لَا يَحِلُّ بِوَجْهِهِ وَلَا سَبَبٍ كِتْحَرِيمِ الْأُمَّ وَالْأُخْتِ وَمَا أَشْبَهَهُ... وَصَوْتُ بَهِيمٍ: لَا تَرْجِيْعُ فِيهِ... وَبَهْمٌ فَلَانٌ بِمَوْضِعِ كَذَا إِذَا أَقَامَ بِهِ وَلَمْ يَبْرَحْهُ»^(١).

والمبهم «المعضل من الأمور... ما يصعب على الحاسة إدراكه إن كان محسوسًا، وعلى الفهم إن كان معقولًا، ومن الأشياء الخالص الذي لا شية فيه تميزه»^(٢).

(١) لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين ابن منظور (٦٣٠هـ - ٧١١هـ)، طبعة دار المعارف، د.ت، ٣٧٦/١-٣٧٨.

(٢) المعجم الوسيط (مادة بهم)، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م، ص ٧٤.

ثانياً: المبهم اصطلاحاً

عرّف السهيلي^(١) المبهم فقال: «ما تضمنه كتاب الله العزيز من ذكر من لم يُسمَّ فيه باسمه العَلَم، من نبي أو ولي أو غيرهما، من آدمي أو ملك أو جني، أو بلد أو شجر أو كوكب، أو حيوان له اسم عَلَم، قد عُرف عند نقلة الأخبار، والعلماء

(١) هو أبو القاسم وأبو زيد عبدالرحمن بن الخطيب أبي مُجَدِّد بن عبدالله بن الخطيب أبي عمر أحمد بن أبي الحسن، أصبغ بن حسين بن سعدون بن رضوان بن فتوح السهيلي الخنعمي السهيلي (٥٠٨-٥٨١هـ=١١١٤-١١٨٥م)، ولد في مالقة، وعمي وعمره سبع عشرة سنة، ونبغ فاتصل خبره بصاحب مراكش، فطلبه إليها وأكرمه، فأقام بها نحو ثلاث سنين يصنف كتبه، إلى أن توفي بها. وهو صاحب كتاب «الروض الأنف» في شرح السيرة النبوية، وكتاب «التعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعلام في القرآن» وكتاب «نتائج الفكر»... وغيرها، ومن شعره المشهور:

يا من يرى ما في الضمير ويسمع ... أنت المعد لكل ما يتوقع

يا من يُرَجَى للشدائد كلها ... يا من إليه المشتكى والمفزع

يا من خزائن ملكه في قول كمن ... امنن فإن الخير عندك أجمع

ما لي سوى فقري إليك وسيلة ... فبالافتقار إليك فقري أذفع

مالي سوى قرعي لبابك حيلة ... فلئن رددت فأني باب أقرع

ومن الذي أدعو وأهتف باسمه ... إن كان فضلك عن فقيرك يجمع؟

حاشا لمجدك أن تقنط عاصياً ... الفضل أجزل والمواهب أوسع

ثم الصلاة على النبي وآله ... خير الأنام ومن به يستشفع

وأما سهيل المنسوب إليها فقريّة قريبة من مالقة سميت بالكوكب سهيل، لأنه لا يرى في جميع بلاد الأندلس إلا من جبل مطل عليها. انظر الأعلام، خيرالدين الزركلي، دار العلم للملايين ط١٥، مايو ٢٠٠٢، ٣/٣١٣، والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون المالكي (١٧٩٩هـ)، تحقيق وتعليق الأستاذ الدكتور مُجَدِّد الأحمدى أبوالنور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، د.ت، ١/٤٨٠، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن مُجَدِّد بن أبي بكر بن خلكان (٦٠٨-٦٨١هـ)، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر بيروت، د.ت، ٣/١٤٣، وتذكرة الحفاظ، أبو عبد الله شمس الدين مُجَدِّد الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د.ت، الطبقة ١٧، الترجمة رقم ١٠٩٩،

والأخيار»^(١).

والسؤال حول تعريف السهيلي عما لم «يُعرف عند نقلة الأخبار والعلماء الأخيار».. ألا يعد من المبهم؟! بالطبع هو من المبهم، ولذا تقييده هذا في غير محله، ولعله إشارة منه إلى أن الطريق الأوحى لمعرفة المبهم هو النقل! وهذا أيضاً محل نظر.

ثم إن هذا التعريف ليس تعريفاً جامعاً، فهناك أنواع أخرى من المبهم لم يتضمنها، مثل مبهم العدد ومبهم الزمان.

وعرفه ابن عسكراً^(٢) بأنه «ما أُهْم فيه (يعني القرآن الكريم) من أسماء الذين نزلت في أوصافهم الآيات، وكانوا سبباً لما فيه من الأخبار والحكايات»^(٣).

وما أخذ على تعريف السهيلي من إغفال بعض أنواع المبهم كمبهم العدد والزمان يؤخذ كذلك على تعريف ابن عسكراً.

(١) التعريف والإعلام: ص ١٦.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن علي بن خضر الغساني المالقي المالكي ابن عسكراً، اعتنى بالرواية على كبر، وكان جليل القدر، ديباً، صاحب فنون، فقه ونحو وأدب وكتابة، وكان شاعراً متقدماً، ولي قضاء بلده مالقة، وله كتاب «المشرع الروي في الزيادة على غريب الهروي»، وكتاب «الإتمام» على كتاب «التعريف والإعلام» للسهيلي، توفي في جمادى الآخرة، سنة ست وثلاثين وست مائة، وله نيفٌ وستون سنة. انظر سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ)، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، والدكتور محيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الحادية عشرة ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م، ٢٣/٦٥-٦٦، والإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب، تحقيق محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م، ٢/١٧٢-١٧٥، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ = ٢٠٠٣م، ٢٢٣/١٤.

(٣) التكميل والإتمام لكتاب التعريف والإعلام، محمد بن علي الخضر الغساني أبو عبد الله المعروف بابن عسكراً (٥٨٤-٦٣٦هـ)، تحقيق حسن إسماعيل

مروة، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، دار الفكر، دمشق- سورية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م، ص ٣٤.

وهو ما تداركه ابن جماعة^(١)، فقال: «اسم من ذكر في القرآن العظيم بصفته، أو لقبه أو كنيته، وأنساب المشهورين من الأنبياء والمرسلين، والملوك المذكورين، والمعني بالناس والمؤمنين إذا ورد لقوم مخصوصين، وعدد ما أبهم عدده، وأمد ما لم يُبين أمده»^(٢).

ويؤخذ على تعريف ابن جماعة أنه استخدم «من» الموصولة، وهي تستخدم للعاقل وحده، دون غير العاقل، وثمَّ أسماء مبهمة في القرآن لغير العاقلين، فكان يحسن به أن يستخدم مكانها «ما».

ومن المعاصرين عرف الدكتور عبدالجواد خلف^(٣) علم المبهم في القرآن الكريم

(١) هو مُجَدِّد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم بن صخر، قاضي القضاة، الإمام العالم بدرالدين أبو عبد الله الكنايني الحموي الشافعي، ولد بحماة سنة تسع وثلاثين وستمئة، تولى خطابة القدس، ثم قضاء مصر، ثم حضر إلى الشام قاضيًا وولي خطابة دمشق أيضًا مع القضاء، ثم طلب لقضاء مصر بعد ابن دقيق العيد وامتدت أيامه إلى أن شاخ وأضر وثقل سمعه، وتوفي سنة ثلاث وثلاثين وسبع مائة في جمادى الأولى بمصر. انظر الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (٧٦٤هـ)، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركبي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م ١٧-١٥/٢، وطبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي (٧٢٧-٧٧١هـ)، تحقيق محمود مُجَدِّد الطناحي وعبدالفتاح مُجَدِّد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، د.ت، ١٣٩/٩-١٤٦.

(٢) غرر التبيان فيمن لم يسم في القرآن، بدرالدين مُجَدِّد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنايني الحموي الشافعي (٧٣٣هـ)، تحقيق الدكتور عبدالجواد خلف، دار قتيبة للطبع والنشر والتوزيع ط ١٠١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ص ١٩١.

(٣) الأستاذ الدكتور عبدالجواد خلف مُجَدِّد عبدالجواد من مواليد سمالوط بمحافظة المنيا ١٥/٥/١٩٤٠م، أستاذ التفسير وعلوم القرآن في كلية أصول الدين الجامعية، بجامعة العلوم الإسلامية العالمية في عمان بالأردن، له اهتمام كبير بعلم مبهمات القرآن، وله مؤلفات فيه، مثل «القاضي ابن جماعة.. حياته وآثاره مع تحقيق مخطوطه النادر في تفسير مبهمات القرآن الكريم»، وهي رسالته للماجستير المقدمة لكلية الدراسات الشرقية (قسم الدراسات الإسلامية) جامعة البنجاب، بجمهورية باكستان، ونوقشت بتاريخ ١١/٢/١٩٨٢م، و«مباحث في مبهمات القرآن الكريم (سورتي الفاتحة والبقرة)»، دار البيان- القاهرة ١٩٩٢م، والطبعة الثانية ١٩٩٥م، و«المبهم في القرآن الكريم.. أسبابه... مواضعه.. بيانه»، و«غرر التبيان فيمن لم يسم في القرآن.. دراسة وتحقيق»، منشورات دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع- دمشق- بيروت ١٤١٠هـ-١٩٩٠م. انظر موقعه على الشبكة العنكبوتية «<http://dr->

فقال: «هو الدراسة التفسيرية التي تتناول آيات القرآن الكريم من حيث معرفة ما أجهم فيها من عدد، أو أمد، أو اسم، أو نسب، بواسطة النقل المحرر الدقيق عن ثقات الأمة»^(١).

وقد ضيَّق الدكتور عبدالجواد خلف واسعًا بعبارة: «بواسطة النقل المحرر الدقيق عن ثقات الأمة»، فتمَّ طرق أخرى غير النقل لمعرفة المبهم، يضطلع بها هذا البحث، والأولى أن تحذف هذه العبارة من التعريف، أو يضاف إليها تفاصيل أخرى حول طرق الكشف عن المبهم، وهو ما قد يؤدي إلى إطناب لا ضرورة له في التعريف، وليس هذا موضع التعريفات في الغالب.

وعلى ضوء ما سبق يمكننا أن نعرف المبهم في القرآن الكريم فنقول: «ما لم يُعيَّنهُ القرآن من اسم أو مسمى أو عدد أو أمد أو مكان أو نسب أو حدث».

وهذا التعريف المختار يمتاز بما يأتي:

- ١- ضم أنواعًا من المبهم أوردتها المصنفون فيه أو تكلم عنها مفسرون، ولم تنص عليها التعريفات السابقة، مثل مبهم المسمى ومبهم الحدث.
- ٢- تحرر من قيود التعريفات السابقة، بإدخال اسم الموصول «ما» بدلًا من «من»، ليضم العاقل وغير العاقل.
- ٣- حذف طرق الكشف عن المبهم، فهي ليست من متطلبات التعريفات في الغالب.

المبحث الثاني: عناية الأمة بمبهم القرآن الكريم
وتدوينه والمؤلفات فيه

أولاً: عناية الأمة بالمبهم وتدوينه

بدأت عناية الأمة بمبهمات القرآن منذ عهد الصحابة الكرام رضي الله عنهم، فقد أخرج البخاري وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «أردت أن أسأل عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله ﷺ فمكثت سنة، فلم أجد له موضعاً حتى خرجت معه حاجاً، فلما كنا بظهران، ذهب عمر لحاجته، فقال أدركني بالوضوء، فأدركته بالإداوة، فجعلت أسكب عليه، ورأيت موضعاً، فقلت يا أمير المؤمنين: من المرأتان اللتان تظاهرتا؟ فما أتممت كلامي حتى قال عائشة وحفصة»^(١).

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً أنه قال طلبت اسم رجل أربع عشرة سنة حتى وقفت عليه، وهو اسم الذي خرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله، يقال إنه ضمرة بن العيص^(٢).

وروي الخبر نفسه عن عكرمة مولى ابن عباس، أنه طلب اسم الرجل الذي خرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله أربع عشرة سنة حتى وقف عليه^(٣).

وقد يكون عكرمة روى الخبر عن ابن عباس، فنسب النقلة عنه - خطأً - الخبر

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣هـ-٨٥٢هـ) بعناية عبدالعزيز بن باز، مُجَّد فؤاد عبدالباقي، محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت- لبنان برقم ٤٩١٥، ٦٥٩/٨.

(٢) الغوامض والمبهمات، ابن بشكوال (٤٩٤-٥٧٨هـ)، تحقيق محمود مغراوي، دار الأندلس الخضراء- جدة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م، ٤٩٨/١، ونقله السيوطي في كتابه «مفحمت الأقربان في مبهمات القرآن» عن ابن منده في كتابه «معرفة الصحابة»، ولم أف في هذا الكتاب.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٤٦٣هـ)، بعناية عادل مرشد، دار الأعلام، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م، ٣٥٥، والتعريف والإعلام ص ١٦.

إليه، أو حكاة عن نفسه فظنوه يحكي عن ابن عباس.. أيًا ما كان الأمر، فهو يشير إلى اهتمام بهذا العلم المبارك في مرحلة مبكرة من عمر الأمة الإسلامية.

ونقلت الأمة ما روي عن النبي ﷺ وعن الصحابة من تفسير للمبهمات بين ما روته من مرويات أخرى، ثم استقل التفسير في التدوين، وكانت مرويات المبهمات ضمنه، بالطبع، إلى أن أفرد الحديث عن المبهم في مؤلفات مستقلة.

كما وجد المبهم كذلك مكانًا بين علوم القرآن الكريم في المؤلفات في هذا الفن، فقد عدّه الزركشي في كتابه «البرهان في علوم القرآن»^(١) النوع السادس من هذه العلوم، وعدّه السيوطي في كتابه «الإتقان في علوم القرآن» النوع السبعين^(٢).

(١) البرهان في علوم القرآن، بدرالدين محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، ٢٢ شارع الجمهورية، القاهرة د.ت. ١٥٥/١.

(٢) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، طبعة محققة مخرجة الأحاديث مع الحكم للشيخ شعيب الأرنؤوط، اعتنى بها وعلق عليها مصطفى شيخ مصطفى، طبعة مؤسسة الرسالة ناشرون، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م، ص٦٩٨.

ثانياً: المؤلفات في المبهم

١- «التعريف والإعلام فيما أجهم من الأسماء والأعلام في القرآن الكريم»

للسهيلي

أول من أفرد المبهم بالتأليف هو أبو القاسم وأبو زيد عبد الرحمن السهيلي (٥٠٨هـ=٥٨١هـ)، في كتابه «التعريف والإعلام فيما أجهم من الأسماء والأعلام في القرآن الكريم»، الذي طبع في مصر (١٣٥٦هـ=١٩٣٨م) باعتناء الشيخ محمود ربيع، كما طبع في بيروت (١٤٠٧هـ=١٩٨٧م) بتحقيق الأستاذ عبدأ مهنا.

وذكر إسماعيل باشا البغدادي^(١)، وخير الدين الزركلي^(٢) وعادل نويهض^(٣) أن للسهيلي كتاباً آخر في المبهمات اسمه الإيضاح والتبيين لما أجهم من تفسير الكتاب المبين، وللسهيلي كتب في فنون أخرى، لعل من أشهرها «الروض الأنف في شرح السيرة النبوية».

واختصر محمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي الشهير ببقرق^(٤) هذا الكتاب في خمس عشرة ورقة مخطوطة، ضمن مخطوطات الأزهر الشريف، برقم

(١) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، د ١/٥٢٠.

(٢) الأعلام، ٣/٣١٣.

(٣) معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ=١٩٨٨م، ١/٢٦٧.

(٤) محمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي، الشهير ببقرق (٨٦٩-٩٣٠هـ): فقيه، أديب، باحث، متصوف، نعت الزبيدي بعلامة اليمن، ولد بمحضرموت وأخذ بها وبزبيد ومكة والمدينة، عن علمائها، ونبغ، وولي القضاء بالشحر، ثم استقال ورحل إلى الهند، فأكرمه السلطان مظفر، وأقام إلى أن مات في أحمد آباد، من تصانيفه «تبصرة الحضرة الشاهية الأحمدية بسيرة الحضرة النبوية»، و«حلية البنات والبنين فيما يحتاج إليه من أمر الدين» و«نشر العلم في شرح لامية العجم»، و«تحفة الاحباب»، و«شرح ملححة الاعراب»... و«شرح المقدمة الجزرية» و«شرح عقيدة اليافعي» و«تفسير آية الكرسي»... (الأعلام ٦/٣١٥-٣١٦).

٣٠٥١١٦، وفي مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى برقم ٩٥٣، مصورة عن مكتبة الأحقاف باليمن.

٢- «التكميل والإتمام لكتاب التعريف والإعلام» لابن عسكر

كما يوحي عنوان هذا الكتاب، وكما ذكر مؤلفه أبو عبد الله محمد بن علي بن خضر الغساني المالقي المالكي المعروف بابن عسكر (٥٨٤=٦٣٦هـ)، في مقدمته، فإنه يستدرك ما فات السهيلي، ويتمم ما بداه، يقول ابن عسكر: «... فيقع إلي اسم قد أُهم في الكتاب العزيز لفظه، واشتهر عند علماء الإسلام نقله وحفظه، وأجد الشيخ رحمته قد أغفله، ولم يجل مقفله، ألحقته من كتابه في الطرر، وأضفت جوهره إلى تلك الدرر... يكون لكتاب الشيخ رحمته تكملة، وتضحى به الفائدة مشتملة»^(١).

والكتاب مطبوع بتحقيق حسن إسماعيل مروة، في دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، (١٤١٨هـ=١٩٩٧م).

٣- «الاستدراك والإتمام للتعريف والإعلام فيما أُهم في القرآن من الأسماء والأعلام» لابن فرتون^(٢)

واضح من اسم الكتاب أيضًا أنه ككتاب ابن عسكر، استدراك لما فات السهيلي، وإتمام لما نقص عنده، ولم أقف على الكتاب مطبوعًا ولا مخطوطًا، لكن

(١) التكميل والإتمام: ص ٣٥.

(٢) أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد بن يوسف بن إبراهيم السلمي الفاسي، المعروف بابن فرتون (٦٦٦هـ) أحد أعلام فاس، مؤرخ عارف بالتفسير

والحديث والرجال، ولد بفاس وتعلم بها وبسبتة ثم الأندلس (الأعلام ٢/٢٤٧، ومعجم المفسرين ٢/٧٦٥).

ذكره خيرالدين الزركلي^(١) وعادل نويهض^(٢).

٤- «الاستدراك على التعريف والإعلام فيما أجهم في القرآن من الأسماء والأعلام» للشامي^(٣)

ذكر إسماعيل باشا البغدادي^(٤)، وعادل نويهض^(٥) أن ثَمَّ كتابًا اسمه «الاستدراك على التعريف والإعلام فيما أجهم في القرآن من الأسماء والأعلام»، لمحمد بن علي بن يحيى بن علي الغرناطي، الأندلسي المعروف بالشامي، ولم أقف عليه. والكتاب، من اسمه كذلك، يدور في فلك سابقه، استدراكًا على كتاب السهيلي.

٥- ٦ - التبيان لمبهات القرآن - غرر التبيان لمبهات القرآن، لابن جماعة

هذان الكتابان لمحمد بن إبراهيم بن سعدالله بن جماعة، الأول منهما لم أقف عليه، لكن ابن جماعة نفسه أشار إليه في مقدمة الكتاب الثاني «هذا كتاب اختصرت فحواه من كتاب سبق لي في معناه»^(٦)، أما كتابه الثاني «غرر التبيان

(١) الأعلام: ٢٤٧/٢.

(٢) معجم المفسرين: ٧٦٥/٢.

(٣) مُجَّد بن علي بن يحيى بن علي الغرناطي، الأندلسي، أبو عبدالله الشامي، المعروف بالشامي (٦٧١-٧١٥هـ)، فقيه ومفسر ونحوي وأديب.

(٤) هدية العارفين: ١٤٣/٢.

(٥) معجم المفسرين: ٥٨٥/٢.

(٦) غرر التبيان: ١٩١.

لمبهمات القرآن» فطبع بتحقيق عبدالغفار البيني بالجامعة الإسلامية، ونال به درجة الماجستير عام ١٤٠٠هـ^(١)، كما حققه د. عبدالجواد خلف، وطبعته دار قتيبة للطبع والنشر والتوزيع (١٤١٠هـ = ١٩٩٠).

٧- صلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الإعلام والتكميل للبلنسي^(٢)

طُبع هذا الكتاب تحت عنوان «تفسير مبهمات القرآن.. الموسوم بصلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الإعلام والتكميل» في مجلدين، طبعته دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، عام ١٤١١هـ = ١٩٩١م، دراسة وتحقيق الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، وهو رسالته للماجستير التي قدمها لكلية الشريعة بجامعة أم القرى، ونوقشت في ١٧/٨/١٤٠٧، كما جاء في صدارة الكتاب.

والكتاب «يعتمد في أصله على كتابين هما التعريف والإعلام للسهيلي والتكميل والإتمام لابن عسكر، فقد ضمن البلنسي في كتابه ما حواه كتابا السهيلي وابن عسكر، ثم إنه اعتمد على كتابين آخرين أكثر عنهما النقل، وأفاد منهما فائدة عظيمة، هما الكشاف للزمخشري والمحزر الوجيز لابن عطية...»^(٣).

(١) ذكر ذلك حنيف بن حسن القاسمي محقق كتاب تفسير مبهمات القرآن، الموسوم بصلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الإعلام والتكميل،

للبلنسي (٧١٤-٧٨٢هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ = ١٩٩١م، ٥١/١.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الأوسي البلنسي، نسبة إلى بنسية البلدة المشهورة بالأندلس (٧٨٢هـ). (الأعلام ٦/٢٨٦،

ومعجم المفسرين ٢/٥٨٧)

(٣) تفسير مبهمات القرآن: ٦٠/١.

٨- مفحات الأقران في مبهمات القرآن للسيوطي

طُبع هذا الكتاب بعناية الأستاذ مصطفى ديب البغا في مؤسسة علوم القرآن بدمشق (١٤٠٣هـ=١٩٨٢م)، وطُبع أيضاً بتحقيق إيداد خالد الطباع^(١).

وجاء كتاب السيوطي صغير الحجم، لكنه تميز بتوثيق مادته العلمية، يقول السيوطي عن كتابه: «وهذا كتاب يفوق الثلاثة (يعني كتب السهيلي وابن عسكر وابن جماعة) بما حوى من الفوائد والزوائد وحسن الإيجاز وعزو كل قول إلى من قاله، مخرجاً من كتب الحديث والتفاسير المسندة، فإن ذلك أدعى لقبوله وأوقع في النفس، فإن لم أقف عليه مسنداً عزوته إلى قائله من المفسرين والعلماء...»^(٢).

ويبدو أن السيوطي لم يكن قد اطلع على كتاب البلنسي «صلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الإعلام والتكميل» وهو يكتب هذه المقدمة، وأن معرفته بكتاب البلنسي جاءت بعد ذلك، والدليل على معرفته بالكتاب أنه وهو يترجم للبلنسي في كتاب «بغية الوعاة» ذكر الكتاب ضمن مؤلفاته^(٣).

٩- «ترويح أولي الدماثة بمنقى الكتب الثلاثة» للإدكاوي^(٤)

جمع الإدكاوي كتب البلنسي والسهيلي وابن عسكر وانتقى منها ما يراه مناسباً ولم يضيف إليها، حتى إنه اتبع الرموز التي استخدمها البلنسي في كتابه، والكتاب توجد

(١) تفسير مبهمات القرآن: ٥٢/١.

(٢) مفحات الأقران ص ٧.

(٣) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م، ١/١٩١.

(٤) عبدالله بن عبدالله بن سلامة الإدكاوي (١١٠٤-١١٨٤)، ولد بقرية إدكو - وإليها يُنسب - بالقرب من رشيد بمصر (الأعلام ٤/٩٩).

نسخة مخطوطة منه بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى برقم «٦٨٤» علوم القرآن، وهي بخط المؤلف^(١)، وطبعته مكتبة العبيكان عام ٢٠٠١.

١٠ - «أسامي الذين نزل فيهم القرآن الحكيم»

يقول حنيف بن حسن القاسمي، محقق كتاب تفسير مبهمات القرآن - الموسوم بصلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الإعلام والتكميل - للبلنسي: «وقد عثرت أثناء زيارتي إلى تركيا في صيف عام ١٤٠٦ هـ على مخطوط في المبهمات ضمن مجموع لم أقف على مؤلفه، وهو بعنوان أسامي الذين نزل فيهم القرآن الحكيم، وهو مرتب على حروف المعجم، بدأ فيه مؤلفه بذكر أبي بكر الصديق رضي الله عنه، موردًا الآيات التي نزلت فيه من مختلف سور القرآن»^(٢).

١١ - «الياقوت والمرجان في تفسير مبهمات القرآن» للدكتور عبد الجواد خلف

طبع الجزء الأول من هذا الكتاب تحت عنوان «مباحث في مبهمات القرآن الكريم (سورتي الفاتحة والبقرة)» في دار البيان - القاهرة ١٩٩٢، والطبعة الثانية ١٩٩٥م، وذكر مؤلفه أنه يقع في ثمانية أجزاء، وجاء في مقدمة الكتاب أن اسمه «الياقوت والمرجان في تفسير مبهمات القرآن»^(٣).

(١) تفسير مبهمات القرآن (بتصرف) ٥٣/١.

(٢) تفسير مبهمات القرآن ٥٣/١.

(٣) مباحث في مبهمات القرآن الكريم (سورتي الفاتحة والبقرة) دار البيان - القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩٥م، المقدمة.

١٢- الإبهام في القرآن والإعجاز العددي، دكتور حسين نصار، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة، ١٤٣٢هـ=٢٠١١م.

وهو كتاب مختصر جداً، شمل أهم المبهمات والآراء التي رآها الكاتب راجحة فيها.

وليس هذا كل ما ألف في مبهمات القرآن، بل هناك عناوين أخرى يقف على قدر منها الباحث في الشبكة العنكبوتية، فمثلاً موقع قاعدة بيانات أوعية المعلومات القرآنية، من إعداد مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي^(١)، يذكر عناوين أخرى في مبهمات القرآن وينسبها لأصحابها، مثل «المصرح باسمه والمبهم من الناس في القرآن الكريم»، لقمر الأنبياء المهدي محمد أحمد عوض، وهدية الإخوان في تفسير ما أجهم على العامة من ألفاظ القرآن، لمصطفى بن يوسف بن عبدالقادر الأسير الحسيني، والأعلام المبهمة في القرآن لوداد أحمد الحاج حامد، ومبهمات القرآن.. دراسة تحليلية، لبشير محمد محمود، وعلم مبهمات الأسماء و الأعلام في الكتاب والسنة.. مقارنة منهجية ودراسة وصفية، لحسين أجاك، وعلم مبهمات القرآن الكريم.. دراسة نظرية تطبيقية، لسعد عبدالمجيد المتولي إبراهيم، ومبهمات في القرآن الكريم (دراسة موضوعية ونقدية وتفصيلية مقارنة لكتابي السهيلي والسيوطي، لسليمان شحدة حماد الشيخ، وآيات الشهادة على الوصية في السفر... فيمن نزلت، لجعفر مرتضى العاملي.

على أية حال، فإن هذا يعكس مدى اهتمام الأمة بهذا العلم المبارك، قديماً وحديثاً، لما له من دور مهم في فهم كلام الله عز وجل.

(١) <http://qsc.org.sa/modules/wfchannel>

المبحث الثالث: أنواع المبهم في القرآن الكريم

أنواع المبهم

قسّم السيوطي المبهم إلى قسمين: «القسم الأول: فيما أبهم من رجل أو امرأة أو ملك أو جني أو مثني أو مجموع عرف أسماء كلهم، أو من، أو الذي، إذا لم يرد به العموم...»^(١)، أما عن القسم الثاني فيقول: «القسم الثاني: في مبهمات الجموع الذين عُرفت أسماء بعضهم...»^(٢).. وواضح أن هذا تقسيم من حيث استغراق المعرفة للكل أو للجزء.

وفي نهاية حديثه عن المبهم في كتابه «الإتقان في علوم القرآن» يشير إلى تقسيم آخر فيقول: «وأما مبهمات الأقوام والحيوانات والأمكنة والأزمنة ونحو ذلك، فقد استوفيت الكلام عليها في تأليفنا المشار إليه (يقصد كتابه مفحمت الأقران)»^(٣).

ولعل هذا ما دفع الباحث مُجد أبو الغيط في رسالته للماجستير التي قُدمت لكلية دار العلوم، جامعة القاهرة، قسم الشريعة الإسلامية، عام ٢٠٠٩ بعنوان «المبهمات في القرآن الكريم.. مواضعها وأسبابها»، والتي سبقت الإشارة إليها، إلى تقسيم المبهم إلى مبهم الأعلام والأقوام، ومبهم الأمكنة، ومبهم الأزمنة، ومبهم النباتات والحيوانات والطيور والحشرات^(٤).

وقسّمت الباحثة دعاء سميح عبدالسلام مسلم المبهم إلى مبهم الكلم، اسمًا وفعالًا وحرَفًا، ومبهم الاسم والصفة، ومبهم الأزمنة والأمكنة، ومبهم الغيبات ومبهم

(١) الإتقان في علوم القرآن: ٦٩٩.

(٢) الإتقان في علوم القرآن: ٧٠٦.

(٣) الإتقان في علوم القرآن: ٧١٠.

(٤) انظر مقدمة الرسالة بمكتبة كلية دار العلوم - جامعة القاهرة.

الآيات الكونية^(١).

وعلى هذا التصنيف تكون الباحثة قد أدخلت إلى المبهم ما ليس فيه، فما مبهم الكلم إلا مبحث لغوي يدخل تحت غريب القرآن، أو دلالات الحروف أو ما شابه، وكذلك مبهم الغيبات ومبهم الآيات الكونية لهما أبوابهما التي يدرسان فيها.

ما ينبغي إضافته، بحق، إلى أقسام المبهم هو **مبهم المسمى**، فقد يورد القرآن أسماء ولا يُعيّن حقيقة سماها، مثل الكوثر، أو الصلاة الوسطى... إلخ.

وكذلك **مبهم الحدث**، ففي قصص القرآن حلقات من الأحداث لم يفصلها القرآن، بل لم يقف أمامها، وقد يكون إبهامها ليس لقلة قيمتها، لكن لأن الله عز وجل يريد من المتدبر إعمال العقل، وتشغيل المخيلة لمعرفة.

وقد التفت إلى ذلك سيد قطب في تفسيره «في ظلال القرآن»، فمثلاً إبان حديثه عن قصة نبي الله موسى **عليه السلام** في سورة القصص يقول: «ويستت سياق القصة بعد هذا عن السنوات الطوال ما بين مولد موسى **عليه السلام** والحلقة التالية التي تمثل شبابه واكتماله، فلا نعلم ماذا كان بعد رده إلى أمه لترضعه، ولا كيف تربى في قصر فرعون، ولا كيف كانت صلته بأمه بعد فترة الرضاعة، ولا كيف كان مكانه في القصر أو خارجه بعد أن شب وكبر إلى أن تقع الأحداث التالية في الحلقة الثانية، ولا كيف كانت عقيدته، وهو الذي يصنع على عين الله، ويعد لوظيفته، في وسط عباد فرعون وكهنته.. يستت سياق القصة عن كل هذا ويبدأ الحلقة الثانية مباشرة حين بلغ أشده

(١) مبهم القرآن الكريم في ضوء السنة النبوية، دعاء سميح عبدالسلام مسلم، رسالة دكتوراه تحت إشراف الدكتور محمد فؤاد شاکر، والدكتور محمود

محمد الخنطور، والدكتور فتحي عبدالحسن محمد، جامعة عين شمس، كلية التربية، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، ١٤٣٦هـ=٢٠١٥م،

واستوى، فقد آتاه الله الحكمة والعلم، وجزاه جزاء المحسنين»^(١).

ويجتهد صاحب الضلال في معرفة ما إذا كان موسى عليه السلام من رجال قصر فرعون ساعة أن وكز القبطي أو أنه كان قد فارق القصر، وسيأتي تفصيل ذلك في الاستدلال على مبهم القرآن الكريم بالاستنباط، إن شاء الله تعالى.

تقسيم آخر

وتمّ تقسيم آخر مهم تنبغي مراعاته عند محاولة الاستدلال على المبهم، يركز على القيمة العملية أو العلمية من وراء معرفة هذا المبهم، فليس كل مبهمات القرآن نحن مطالبون بالبحث فيها، بل هناك مبهمات الجري وراء معرفتها يعد دربًا من العبث، فمعرفة «المغضوب عليهم» و«الضالين» في سورة الفاتحة، ومعرفة الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه، غير معرفة نوع الشجرة التي أكل منها آدم عليه السلام، واسم الكلب الذي رافق أصحاب الكهف... إلخ.

فتعيين المغضوب عليهم والضالين ضروري لتجنبهم، وكذا تعيين الكلمات التي تاب الله على آدم لما قالها مهم للاستتابة بها... وهكذا.

لذا يرى الزركشي أن تمّ مبهمات يُحظر البحث فيها، فيقول: «إلا أنه لا يبحث فيما أخبر الله باستثاره بعلمه، كقوله تعالى ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَأَن نَّعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾^(٢)، والعجب ممن تجرأ وقال: قيل إنهم قريظة، وقيل: من الجن»^(٣)، وإن كان السيوطي قد ناقش هذا الرأي فقال: «ليس في الآية ما يدل على

(١) في ضلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة الشرعية الثانية والثلاثون، ١٤٢٣هـ=٢٠٠٣م، ٢٦٨١/٥.

(٢) سورة الأنفال: من الآية ٦٠.

(٣) البرهان في علوم القرآن: ١٥٥/١.

أن جنسهم لا يُعلم، إنما المنفي علم أعيانهم، ولا ينافي العلم بكونهم من قريظة، أو من الجن، وهو نظير قوله في المنافقين ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾^(١)، فإن المنفي علم أعيانهم»^(٢).

ويرى ابن تيمية كذلك أن ثم مبهمات لا جدوى في تعيينها، وإن كان يرى جواز نقلها وروايتها، فيقول: «... كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف ولون كلبهم وعدتهم وعصا موسى من أي الشجر كانت، وأسماء الطيور التي أحيها الله لإبراهيم وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى، إلى غير ذلك مما أجهمه الله في القرآن مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم، ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز»^(٣).

(١) سورة التوبة: من الآية ١٠١.

(٢) الإتيان في علوم القرآن: ٦٩٩.

(٣) مقدمة في أصول التفسير، شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية (٦٦١-٧٢٨هـ)، عناية فواز أحمد زمرلي، دار ابن حزم للطباعة

والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص ٩١.

المبحث الرابع: أسباب ورود المبهم في القرآن الكريم

أسباب ورود المبهم في القرآن الكريم

أورد الزركشي في كتابه «البرهان في علوم القرآن» سبعة أسباب لورود المبهم في القرآن الكريم مع التمثيل لكل سبب منها^(١)، ونقل عنه السيوطي ذلك دون أن يعزوه إليه^(٢)، وهذه الأسباب هي:

الأول: أن يكون أجهم في موضع استغناء ببيانه في آخر في سياق الآية

ومثل الزركشي لهذا النوع بقوله تعالى ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾^(٣)، وقال إن القرآن بيّنه بقوله تعالى ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾^(٤)، يقصد أن الآية الثانية وضحت يوم الدين بأنه ﴿يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾^(٥).

كما مثل أيضاً بقوله تعالى ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾^(٦)، وقال إن القرآن بيّنه بقوله تعالى ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾^(٧)، وبقوله ﴿وَإِذْ

(١) البرهان في علوم القرآن: ١٥٦/١.

(٢) في كتابيه مفحومات الأقران ١٠ و ٩: والإتقان: ٦٩٨.

(٣) سورة الفاتحة: الآية ٤.

(٤) سورة الانفطار: الآية ١٧.

(٥) سورة الانفطار: الآية ١٩.

(٦) سورة الفاتحة: الآية ٧.

(٧) سورة النساء: من الآية ٦٩.

قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴿١﴾، وعقب قائلاً: «المراد آدم والسياق بينه»^(٢)، ويقصد بالسياق قوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^(٣)، وما تبعها من آيات تتحدث عن آدم عليه السلام.

وكذلك قدم مثلاً في قوله تعالى ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٤)، وقال: «والمراد بهم المهاجرون لقوله في الحشر» ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾^(٥)، «وقد احتج بها الصديق على الأنصار يوم السقيفة، فقال: نحن الصادقون، وقد أمركم الله أن تكونوا معنا أي تبعاً لنا، وإنما استحقها دونهم، لأنه الصديق الأكبر»^(٦).

وختم أمثلة هذا السبب الأول بقوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ءَايَةً﴾^(٧) «يعني مريم وعيسى، وقال آيةً، ولم يقل آيتين، وهما آيتان، لأنها قضية

(١) سورة البقرة: من الآية ٣٠.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ١٥٦/١-١٦٠.

(٣) سورة البقرة: من الآية ٣١.

(٤) سورة التوبة: الآية ١١٩.

(٥) سورة الحشر: الآية ٨.

(٦) البرهان في علوم القرآن: ١٥٦/١.

(٧) سورة المؤمنون: من الآية ٥٠.

واحدة، وهي ولادتها له من غير ذكر»^(١).

وهذا المثال الأخير أورده الزركشي هنا مع أنه أقرب إلى أن يدرج في أمثلة السبب الثاني من أسباب ورود المبهم التي أوردها، وهو «أن يتعين لاشتهاره».

والثاني: أن يتعين لاشتهاره

وضرب أمثلة عليه بقوله تعالى ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾^(٢) ثم قال «ولم يقل حواء، لأنه ليس غيرها»^(٣)، وقوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾^(٤) «والمراد النمرود لأنه المرسل إليه، وقوله ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِّصْرَ﴾^(٥)، والمراد العزيز، وقوله ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾^(٦)، والمراد والمراد قاييل وهابيل، وقوله ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ﴾^(٧) قالوا: ^(٧) ﴿٢٥﴾ قالوا: وحيثما جاء في القرآن ﴿أَسْطِيرُ الْأُولِينَ﴾ فقائلها النضر بن الحارث بن كلدة، وإنما كان يقولها لأنه دخل بلاد فارس وتعلم الأخبار، ثم جاء وكان يقول أنا أحدثكم أحسن مما يحدثكم محمد وإنما يحدثكم أساطير الأولين وفيه نزل

(١) البرهان في علوم القرآن: ١٥٦/١.

(٢) سورة البقرة: من الآية ٣٥.

(٣) البرهان في علوم القرآن: ١٥٦/١.

(٤) سورة البقرة: من الآية ٢٥٨.

(٥) سورة يوسف: من الآية ٢١.

(٦) سورة المائدة: من الآية ٢٧.

(٧) سورة الأنعام: من الآية ٢٥.

﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾^(١)، وقتله النبي ﷺ صبراً يوم بدر، وقوله ﴿لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى﴾^(٢)، فإنه ترجح كونه مسجد قباء بقوله ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾^(٣)، لأنه أسس قبل مسجد المدينة، وحُدس هذا بأن اليوم قد يراد به المدة والوقت وكلاهما أسس على هذا من أول يوم أي من أول عام من الهجرة وجاء في الحديث تفسيره بمسجد المدينة وجمع بينهما بأن كليهما مراد الآية^(٤).

الثالث: قصد الستر عليه ليكون أبلغ في استعطافه

يقول الزركشي تحت هذا السبب: «ولهذا كان النبي ﷺ إذا بلغه عن قوم شيء خطب فقال: ما بال رجال قالوا كذا، وهو غالب ما في القرآن»^(٥)، ويمثّل له بقوله تعالى ﴿أَوْكَلَمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾^(٦)، «قيل هو مالك بن الصيف، وقوله ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى﴾^(٧)، والمراد هو رافع بن حرملة ووهب بن زيد»^(٨).

(١) سورة الأنعام: من الآية ٩٣.

(٢) سورة التوبة: من الآية ١٠٨.

(٣) سورة التوبة: من الآية ١٠٨.

(٤) البرهان في علوم القرآن: ١٥٧/١.

(٥) البرهان في علوم القرآن: ١٥٧/١-١٥٨.

(٦) سورة البقرة: من الآية ١٠٠.

(٧) سورة البقرة: من الآية ١٠٨.

(٨) البرهان في علوم القرآن: ١٥٨/١.

الرابع: ألا يكون في تعيينه كثير فائدة

ويقدم الزركشي أمثلة عليه فيقول: «كقوله تعالى ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾^(١)، والمراد بها بيت المقدس، ﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾^(٢)، والمراد أيلة وقيل طبرية، ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً﴾^(٣)، والمراد نينوى، ﴿أَنبِيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾^(٤) قيل بركة»^(٥).

هكذا يفسر الزركشي القرى المبهمة في هذه الآيات، ويورد بعض هذه التفاسير بصيغة التضعيف «قيل»، دون أن يورد أدلة على تفاسيره، وهو الأولى، حتى ولو كان يرى أن تعيينها ليس فيه كبير فائدة.

ويرد الزركشي على شبهة قد يُعترض بها على هذا، وهي سؤال حول سبب ورود اسم «آزر» في القرآن، مع أن الظاهر قد يشير إلى أنه لا قيمة لذكر الاسم، فيقول: «فإن قيل ما الفائدة في قوله ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ﴾^(٦) قيل: آزر اسم صنم، وفي الكلام حذف، أي دع آزر، وقيل كلمة زجر، وقيل بل هو اسم أبيه، وعلى هذا فالفائدة أن الأب يطلق على الجد فقال آزر لرفع المجاز»^(٧).

(١) سورة البقرة: من الآية ٢٥٩

(٢) سورة الأعراف: من الآية ١٦٣.

(٣) سورة يونس: من الآية ٩٨.

(٤) سورة الكهف: من الآية ٧٧.

(٥) البرهان في علوم القرآن: ١/١٥٩.

(٦) سورة الأنعام: من الآية ٧٤.

(٧) البرهان في علوم القرآن: ١/١٥٩.

الخامس: التنبيه على التعميم وهو غير خاص بخلاف ما لو عين

واستشهد الزركشي لهذا النوع بقوله تعالى ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(١) فقال: «قال عكرمة: أقمت أربع عشرة سنة أسال عنه حتى عرفته، هو ضمرة بن العيص، وكان من المستضعفين بمكة، وكان مريضاً فلما نزلت آية الهجرة خرج منها فمات بالتنعيم»^(٢) وقوله ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾^(٣)، «قيل نزلت في علي كان معه أربعة دوانق، فتصدق بواحد بالنهار وآخر بالليل وآخر سرّاً وآخر علانية، وقوله ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾^(٤)، قيل نزلت في عدي بن حاتم، كان له كلاب خمسة قد سماها بأسماء أعلام»^(٥).

(١) سورة النساء: من الآية ١٠٠.

(٢) البرهان في علوم القرآن ١/١٥٩.

(٣) سورة البقرة: من الآية ٢٧٤.

(٤) سورة المائدة: من الآية ٤.

(٥) البرهان في علوم القرآن: ١٥٩-١٦٠.

السادس: تعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم

واستشهد له بقوله تعالى ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾^(١) «والمراد الصديق، وكذلك ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾^(٢) يعني محمدًا ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾^(٣) يعني أبا بكر، ودخل في الآية كل مصدق، ولذلك قال ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^(٤) «^(٥)».

السابع: تحقيره بالوصف الناقص

واستشهد له بقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾^(٦)، وقوله ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾^(٧)، «والمراد فيها العاص بن وائل، وقوله ﴿إِنْ جَاءَكُمْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ﴾^(٨)، والمراد الوليد بن عقبة بن أبي معيط»^(٩).

وأتبع الزركشي هذه الأسباب السبعة بأربعة تنبيهات مهمة:

(١) سورة النور: من الآية ٢٢.

(٢) سورة الزمر: من الآية ٣٣.

(٣) سورة الزمر: من الآية ٣٣.

(٤) سورة الزمر: من الآية ٣٣.

(٥) البرهان في علوم القرآن: ١/١٦٠.

(٦) سورة النساء: من الآية ٥٦.

(٧) سورة الكوثر: الآية ٣.

(٨) سورة الحجرات: من الآية ٦.

(٩) البرهان في علوم القرآن: ١/١٦٠.

أولها أن المسمى الواحد قد يكون له اسمان فيقتصر القرآن على واحد منهما دون الآخر لعله يريد بها

وأورد أمثلة على ذلك منها قوله تعالى في مخاطبة الكتابيين «يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ» ولم يذكروا في القرآن إلا بهذا دون «يا بني يعقوب» وسره أن القوم لما خوطبوا بعبادة الله وذكروا بدين أسلافهم موعظة لهم وتنبيهاً من غفلتهم سمو بالاسم الذي فيه تذكروا بالله، فإن إسرائيل اسم مضاف إلى الله سبحانه في التأويل، ولهذا لما دعا النبي ﷺ قَوْمًا إلى الإسلام يقال لهم بنو عبد الله قال يا بني عبد الله إن الله قد حسن اسم أبيكم، يحرصهم بذلك على ما يقتضيه اسمه من العبودية، ولما ذكر موهبته لإبراهيم وتبشيره به قال يعقوب، وكان أولى من إسرائيل، لأنها موهبة تعقب أخرى وبشرى عقب بها بشرى فقال...»^(١)، وأورد أمثلة أخرى لذلك واجتهد في إبراز أسبابها.

وثانيها أنه قد بالغ في الصفات للتنبيه على أنه يريد إنساناً بعينه

ومثل لذلك بقوله تعالى ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ ^(١٠) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ

^(٢) ﴿قِيلَ إِنَّهُ الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيقٍ، وَقَوْلُهُ ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾

لَمْزَةٍ ^(١) ﴿قِيلَ إِنَّهُ أُمِيَّةُ بْنُ خَلْفٍ كَانَ يَهْمَزُ النَّبِيَّ ﷺ﴾ ^(٤).

وثالثها أنه قيل لم يذكر الله تعالى امرأة في القرآن وسماها باسمها إلا مريم بنت عمران

(١) البرهان في علوم القرآن ١/١٦٠-١٦١.

(٢) سورة القلم: الآيات ١٠ و١١.

(٣) سورة الهمزة: الآية ١.

(٤) البرهان في علوم القرآن ١/١٦٢.

«فإنه ذكر اسمها في نحو ثلاثين موضعًا لحكمة ذكرها بعض الأشياخ، قال إن الملوك والأشراف لا يذكرون حرائرهم ولا يتدلون أسماءهم يكونون عن الزوجة بالعرس والعيال والأهل ونحوه، فإذا ذكروا الإمام لم يكنوا عنهن ولم يصونوا أسماءهن عن الذكر والتصريح بها، فلما قالت النصارى في مريم وفي ابنها ما قالت صرح الله تعالى باسمها ولم يكن عنها، تأكيدًا لأمر العبودية التي هي صفة لها، وإجراء للكلام على عادة العرب في ذكر أبنائها، ومع هذا فإن عيسى لا أب له، واعتقاد هذا واجب، فإذا تكرر ذكره منسوبًا إلى الأم استشعرت القلوب ما يجب عليها اعتقاده من نفي الأب عنه وتنزيه الأم الطاهرة عن مقالة اليهود لعنهم الله»^(١).

ورابعها: وأما الرجال فذكر منهم كثيرًا... وقد سمي الله زيدًا في سورة الأحزاب للتصريح بأنه ليس بابن النبي ﷺ...»^(٢).

وهذه كلها اجتهادات مباركة للزركشي، حسبه فيها أنه لم يسبق إليها، ويمكن أن نضيف إليها أسبابًا أخرى لوجود المبهم في القرآن الكريم، منها مثلًا:

- خلق روح من التفاعل بين القرآن وقارئه من خلال تنشيط الذهن وإعماله في التفكير من أجل معرفة هذا المبهم، صغرت عملية هذا التفكير أو كبرت.
- إرساء مبدأ أن الأصل في الأمر الفعل لا من قام به، فالكل عند الله سواسية، لا فرق بين أعجمي ولا عربي ولا رئيس ولا مرؤوس... إلخ.
- أن القرآن يعلمنا ترك ما لا يعيننا، والاهتمام فقط بما هو نافع...

(١) البرهان في علوم القرآن ١/١٦٣.

(٢) البرهان في علوم القرآن ١/١٦٣.

كما أنه قد يكون لكل مبهم من مبهمات القرآن سبب خاص لإبهامه، فضلاً عن هذه الأسباب العامة، وهذا ما يجب النظر إليه بعين الاهتمام لدى دراسة كل مبهم في القرآن على حدة.

الفصل الثاني

مواقف المفسرين من المبهم في القرآن الكريم

المبحث الأول: موقف المفسرين بالمأثور من المبهم

المبحث الثاني: موقف المفسرين بالرأي من المبهم

المبحث الثالث: موقف المفسرين المعاصرين من المبهم

مواقف المفسرين من المبهم

يحاول هذا الفصل معرفة مواقف المفسرين من المبهم من خلال استعراض نماذج من كلامهم وطرق تفاسيرهم لبعض المبهمات في القرآن الكريم، مسترشداً أحياناً بالدراسات التي تناولت مناهج هؤلاء المفسرين.

واقترضى البحث تناول مدارس تفسيرية متنوعة ليقف على صورة كلية عامة للتعامل مع المبهم، بدءاً من مدرسة التفسير بالمأثور، ومروراً بمدرسة التفسير بالرأي، وانتهاءً ببعض مفسري العصر الحديث.

واكتفى البحث بنماذج من مفسري هذه المدارس، أعطت هذه الصورة الكلية العامة في التعامل مع المبهم، ومثلت صور هذا التعامل، فمن مدرسة التفسير بالمأثور الطبري والماوردي^(١)، ومن مدرسة التفسير بالرأي الرازي والبيضاوي وأبوحيان الأندلسي والقرطبي والألوسي، ومن مفسري العصر الحديث الإمام محمد عبده وتلميذه محمد رشيد رضا والطاهر بن عاشور وسيد قطب.

(١) وإن كان بعضهم يصنف الماوردي ضمن مدرسة التفسير بالرأي، غير أن كتابه حافل بالرويات، بل يجمع كل الرويات في المسألة الواحدة ويضيف إليها، فهو في الحقيقة جامع بين المدرستين، لكنه إلى مدرسة المأثور أقرب، يقول الباحث بدر محمد الصميط في رسالته للماجستير المقدمة لقسم الكتاب والسنة بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، بجامعة أم القرى، بالمملكة العربية السعودية، بعنوان «منهج الإمام الماوردي في تفسيره النكت والعيون»، إشراف الدكتور عبدالوهاب فايد: «وكما أن الإمام الماوردي اهتم بنقل التفسير بالمأثور اهتماماً كبيراً، حتى كادت جل مادة تفسيره من هذا اللون، إلا أنه لم يغفل اللون الآخر من التفسير، وهو التفسير بالرأي»، ص ١٨٠.

المبحث الأول: موقف المفسرين بالمأثور
من المبهم

موقف المفسرين بالمأثور من المبهم في القرآن الكريم

لمعرفة موقف مدرسة التفسير بالمأثور من المبهم كان لا بد من دراسة موقف إمام هذه المدرسة منه، وهو ابن جرير الطبري، ثم بدا أن في المدرسة نفسها اتجاهًا آخر، رأى البحث أن الماوردي مثله خير تمثيل، فاختر من رواد هذه المدرسة الطبري والماوردي لمعرفة موقفيهما من المبهم.

على أن البحث سيتعرض في هذا الفصل كله لتعامل المفسرين مع نوع من المبهمات رأوا أن تحديده ليس له قيمة عملية أو علمية كبيرة، أما المبهم الذي لتحديده قيمة عملية أو علمية معتبرة فيتناوله البحث في الفصلين الثالث والرابع إن شاء الله تعالى.

موقف ابن جرير الطبري من المبهم

يقول ابن جرير الطبري عن الشجرة التي نهى الله آدم عليه السلام وحواء عن الأكل منها: «ولم يضع الله جل ثناؤه لعباده المخاطبين بالقرآن دلالة على أي أشجار الجنة كان نهيه آدم أن يقربها، بنص عليها باسمها، ولا بدلالة عليها، ولو كان لله في العلم بأي ذلك من أي رضا، لم يخل عباده من نصب دلالة لهم عليها يصلون بها إلى معرفة عينها، ليطيعوه بعلمهم بها، كما فعل ذلك في كل ما بالعلم به له رضا.

فالصواب في ذلك أن يقال: إن الله جل ثناؤه نهى آدم وزوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها، فخالفا إلى ما نهاهما الله عنه، فأكلا منها كما وصفهما الله جل ثناؤه به، ولا علم عندنا أي شجرة كانت على التعيين، لأن الله لم يضع لعباده دليلاً على ذلك في القرآن، ولا في السنة الصحيحة، فأتى يأتي

ذلك؟ وقد قيل: كانت شجرة البر، وقيل: كانت شجرة العنب، وقيل: كانت شجرة التين، وجائز أن تكون واحدة منها، وذلك علم، إذا علم لم ينفع العالم به علمه، وإن جهله جاهل لم يضره جهله به»^(١).

ووافقه في ذلك ابن كثير، فقال بعد ذكر المرويات الواردة في الشجرة، ونقل كلام الطبري السابق: «وكذلك رجع الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره وغيره، وهو الصواب»^(٢).

وكذلك يقول ابن جرير الطبري عن بعض البقرة الذي أمر بنو إسرائيل أن يضربوا به قتلهم: «ولا دلالة في الآية، ولا في خبر تقوم به حجة، على أي أعضائها التي أمر القوم أن يضربوا القتل به، وجائز أن يكون الذي أمروا أن يضربوه به هو الفخذ، وجائز أن يكون ذلك الذنب وغضروف الكتف، وغير ذلك من أعضائها، ولا يضر الجهل بأي ذلك ضربوا القتل، ولا ينفع العلم به، مع الإقرار بأن القوم قد ضربوا القتل ببعض البقرة بعد ذبحها فأحياه الله»^(٣).

وعند حديثه عن «الذين لا يعلمون» في قوله تعالى ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾^(٤) قال بعد ذكر الأقوال الواردة فيهم: «ولا أمة أولى أن يقال

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، وقيل يزيد بن كثير بن غالب (٢٢٤هـ-٣١٠هـ)، تحقيق الدكتور

عبدالله بن عبدالحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان (د.ت)،

٥٥٧-٥٥٦/١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠٠هـ-٧٧٤هـ)، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، ٢٣٥/١.

(٣) جامع البيان: ٢٩٥/٥-٢٩٦.

(٤) سورة البقرة: الآية ١١٣.

هي التي عنيت بذلك من أخرى، إذ لم يكن في الآية دلالة على أي من أي، ولا خير بذلك عن رسول الله ﷺ ثبتت حجته من جهة النقل المستفيض ولا من جهة نقل الواحد العدل»^(١).

ويقول عن حكم الكتاب الذي دعي إليه الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾^(٢) «لا دلالة في الآية على أي ذلك كان من أي، فيجوز أن يقال: هو هذا دون هذا، ولا حاجة بنا إلى معرفة ذلك، لأن المعنى الذي دُعوا إلى حكمه، هو مما كان فرضًا عليهم الإجابة إليه في دينهم، فامتنعوا منه، فأخبر الله جل ثناؤه عنهم بردّتهم، وتكذيبهم بما في كتابهم، وجحودهم ما قد أخذ عليهم عهدهم ومواثيقهم بإقامته والعمل به، فلن يعدّوا أن يكونوا في تكذيبهم محمدًا وما جاء به من الحق، مثلهم في تكذيبهم موسى وما جاء به وهم يتولونه ويقرون به»^(٣).

ومن كلام الطبري هذا يتبين لنا أمران مهمان في تعامله مع المبهم:

أولهما: أن لمعرفة المبهم عنده طريقين «نص أو دلالة»، والتفريق بين النص الصريح والدلالة واضح عنده في أكثر من موطن مثل قوله «... بنص عليها باسمها، ولا بدلالة عليها»^(٤)، وهو ما يوسع طرق الاستدلال على المبهم عنده، ولا يحصر

(١) جامع البيان: ٤٣٩/٢.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٢٣.

(٣) جامع البيان: ٢٩٥/٥-٢٩٦.

(٤) جامع البيان: ٥٥٦/١.

معرفته في التعيين بنص فقط.

وثانيهما: أن بعض أنواع المبهم، العلم به لا ينفع والجهل به لا يضر.

وللإجماع نصيب في الاستدلال على المبهم عند الطبري، يقول عند حديثه عن الأرض المقدسة التي كتبها الله لبني إسرائيل: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: هي الأرض المقدسة، كما قال نبي الله موسى صلى الله عليه، لأن القول في ذلك بأنها أرض دون أرض، لا تُدرك حقيقة صحته إلا بالخبر، ولا خبر بذلك يجوز قطع الشهادة به، غير أنها لن تخرج من أن تكون من الأرض التي ما بين الفرات وعريش مصر، لإجماع جميع أهل التأويل والسير والعلماء بالأخبار على ذلك»^(١).

ولدى حديثه عن تعيين أهل الأعراف يقول: «الصواب من القول في أصحاب الأعراف أن يقال كما قال الله جل ثناؤه فيهم: هم رجال يعرفون كُلاً من أهل الجنة وأهل النار بسيماهم، ولا خبر عن رسول الله ﷺ يصح سنده، ولا أنه متفق على تأويلها، ولا إجماع من الأمة على أنهم ملائكة»^(٢).

وعند حديثه عن الكلمات التي ابتلى الله بهن إبراهيم يقول: «فغير جائز لأحد أن يقول: عنى الله بالكلمات التي ابتلى بهن إبراهيم شيئاً من ذلك بعينه دون شيء، ولا عنى به كل ذلك، إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر عن الرسول ﷺ أو إجماع من الحجة، ولم يصح في شيء من ذلك خبر عن الرسول بنقل الواحد، ولا بنقل الجماعة التي يجب التسليم لما نقلته، غير أنه روي عن النبي ﷺ في نظير معنى ذلك

(١) جامع البيان: ٢٨٦/٨.

(٢) جامع البيان: ٢٢١/١٠.

خبران، لو ثبتا، أو أحدهما، كان القول به في تأويل ذلك هو الصواب...»^(١). ثم يذكرهما.

غير أن هذه الطريقة لتعيين المبهم ليست مطردة عند الطبري، فهناك أنواع من المبهمات يرى أنه لا وجه للاستدلال فيها، ولا يحكم فيها إلا النص، فيقول مثلاً عند حديثه عن البقية التي تركها آل موسى وآل هارون بعد أن ذكر الأقوال الواردة فيها: «وذلك أمر لا يدرك علمه من جهة الاستخراج ولا اللغة، ولا يدرك علم ذلك إلا بخبر يوجب عنه العلم، ولا خبر عند أهل الإسلام في ذلك للصفة التي وصفنا، وإذ كان كذلك، فغير جائز فيه تصويب قول وتضعيف آخر غيره...»^(٢).

وهذا النص أيضاً يقدم لنا فيه الطبري طريقاً آخر من طرق استدلاله على المبهم، وهو الاستدلال باللغة، فنفيه معرفة المبهم هنا باللغة إثبات لمعرفته بها في مواطن أخرى، وسيأتي معنا استدلاله على المبهم باللغة إن شاء الله تعالى.

ويؤكد على هذا المعنى، أنه لا حكم إلا للنص في بعض المبهمات، فيقول في البيت الذي رفع إبراهيم وإسماعيل قواعده، أهو البيت الحرام نفسه؟ أم هو بيت كان أهبطه الله مع آدم فرفع إبراهيم وإسماعيل قواعده...؟: «ولا علم عندنا بأي ذلك كان من أي، لأن حقيقة ذلك لا تدرك إلا بخبر عن الله وعن رسوله ﷺ، بالنقل المستفيض، ولا خبر بذلك تقوم به الحجة فيجب التسليم لها، ولا هو - إذ لم يكن به خبر، على ما وصفنا - مما يدل عليه بالاستدلال والمقاييس، فيمثل بغيره، ويستنبط علمه من جهة الاجتهاد، فلا قول في ذلك هو أولى بالصواب مما قلنا، والله تعالى

(١) جامع البيان: ٥٠٧/٢.

(٢) جامع البيان: ٤٧٧/٤.

أعلم»^(١).

وليست هذه المواطن وحدها هي التي ذكر فيها الطبري طريقته في تعيين المبهم (الدلالة أو النص)، وفي تفرقة بينهما دليل على تبايرهما، أي دلالة يستنبط بها المقصود من غير نص صريح، أو نص صريح، بل أكدها في أكثر من موطن^(٢).

الخلاصة

لم يتعامل ابن جرير الطبري مع المبهم معاملة واحدة، بل فرق بين ما لتعيينه قيمة عملية أو علمية معتبرة، وما ليس لتعيينه قيمة كبيرة، وفي كل نقل المرويات الواردة، وعلق على ما لمعرفته قيمة وفنّد ودرس واستدل ورجح واحدًا من هذه المرويات (وستأتي نماذج من ذلك في الفصلين المقبلين إن شاء الله تعالى) أما ما ليس لمعرفته قيمة فاكتفى بإيراد المرويات، والإشارة إلى أن معرفة ذلك لا جدوى منها، ولا تكون إلا بنص أو دلالة معتبرة عليها.

وأكد الطبري في أكثر من موطن أن هناك مبهمات لا يُستدل عليها باستخراج ولا بلغة، إلا بنص صريح، كما أنه أشار إلى أن الاستدلال على بعض المبهمات قد يكون بالإجماع أو اللغة أو غيرها من طرق الاستدلال.

موقف الماوردي من المبهم

يمثل الماوردي الاتجاه الثاني في التعامل مع المبهم عند المفسرين بالمأثور، إذ ينقل

(١) جامع البيان: ٥٥٦/٢.

(٢) أشار إلى كثير من هذه المواطن الدكتور حسين علي الحربي، عضو هيئة التدريس بجامعة جازان، في كتابه «منهج الإمام ابن جرير الطبري في

الترجيح»، دار الجنادرية للطبع والنشر والتوزيع، الأردن، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م، ص ١٢٥.

المرويات المختلفة في المبهم، معزوة إلى أصحابها دون التعليق عليها أو الاختيار منها، وقد يضيف إليها آراء من عنده لكنه لا يقدم أدلته عليها.

فينقل مثلاً الآراء الواردة في المقصود بـ«البيان»، يقول: «وفيه ستة تأويلات: أحدها: أن البيان الحلال والحرام، قاله قتادة. الثاني: الخير والشر^(١)، قاله الضحاك والربيع بن أنس. الثالث: المنطق والكلام، قاله الحسن. الرابع: الخط، وهو مأثور. الخامس: الهداية، قاله ابن جريج^(٢). السادس: العقل، لأن بيان اللسان مترجم عنه^(٣).

ويضيف الماوردي رأياً سابعاً فيقول: «ويحتمل سابعاً أن يكون البيان ما اشتمل على أمرين: إبانة ما في نفسه ومعرفة ما بين له^(٤)، ويورد رأياً ثامناً فيقول: «قول ثامن لبعض أصحاب الخواطر: خلق الإنسان جاهلاً به، فعلمه السبيل إليه^(٥).

(١) تفسير الضحاك (١٠٥هـ)، جمع وتحقيق ودراسة محمد شكري أحمد الزاوي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى ١٩٩٩م=١٤١٩هـ، ٨١٥/٢.

(٢) تفسير ابن جريج، علي حسن عبدالغني، مكتب التراث الإسلامي، الطبعة الأولى ١٩٩٢م=١٤١٣هـ، ص ٣٢٥، ولفظه الهدى، و«بين له سبيل الهدى وسبيل الضلالة».

(٣) النكت والعيون: ٤٢٣/٥.

(٤) النكت والعيون: ٤٢٣/٥.

(٥) النكت والعيون: ٤٢٣/٥.

المبحث الثاني: موقف المفسرين بالرأي
من المبهم

موقف المفسرين بالرأي من المبهم

اختار البحث خمسة من مفسري هذه المدرسة للوقوف على تصور عام لتعاملها مع المبهم، هم الفخر الرازي والبيضاوي وأبوحيان الأندلسي والقرطبي والألوسي، وفيما يأتي عرض لهذه المواقف من كلامهم.

موقف الفخر الرازي من المبهم

يقول الفخر الرازي في الشجرة التي تُهي عن الأكل منها آدم وزوجه، بعد أن يورد المرويات فيها: «واعلم أنه ليس في الظاهر ما يدل على التعيين، فلا حاجة أيضاً إلى بيانه، لأنه ليس المقصود من هذا الكلام أن يعرفنا عين تلك الشجرة، وما لا يكون مقصوداً في الكلام، لا يجب على الحكيم أن يبينه، بل ربما كان بيانه عبثاً، لأن أحدنا لو أراد أن يقيم العذر لغيره في التأخر فقال: شغلت بضرب غلماني لإساءتهم الأدب لكان هذا القدر أحسن من أن يذكر عين هذا الغلام ويذكر اسمه وصفته، فليس لأحد أن يظن أنه وقع هاهنا تقصير في البيان»^(١).

وقال عن البعض الذي أمر بنو إسرائيل أن يضربوا به البقرة، بعد إيراد المرويات كذلك: «ولا شك أن القرآن لا يدل عليه، فإن ورد خبر صحيح قُبِل، وإلا وجب السكوت عنه»^(٢).

أما القرية المقصودة في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا

(١) تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، مُجَدِّدُ الرَّازِي، فخرالدين (٥٤٤ - ٦٠٤ هـ) ابن العلامة ضياء الدين عمر، دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع، ٦/٣.

(٢) تفسير الفخر الرازي: ١٣٤/٣.

مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرَ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ

وَسَتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾^(١)، فقد وقف عندها الرازي وقفة مختلفة عن طريقته

السابقة، فقرر أولاً أنه لا دليل على تحديد القرية من القرآن، ولا سبيل إلى معرفة ذلك إلا بالأخبار، «أما القرية فظاهر القرآن لا يدل على عينها، وإنما يرجع في ذلك إلى

الأخبار»^(٢)، ثم يورد الأخبار الواردة فيها، ولا يكتفي بذلك، بل يورد حجج أصحابها، فيقول: «وفيه أقوال: أحدها... أنها بيت المقدس، واستدلوا عليه بقوله

تعالى في سورة المائدة ﴿أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾^(٣)، ولا

شك أن المراد بالقرية في الآيتين واحد، وثانيها: أنها نفس مصر، وثالثها: وهو قول ابن عباس وأبي زيد أنها أريحاء، وهي قرية من بيت المقدس، واحتج هؤلاء على أنه لا

يجوز أن تكون تلك القرية بيت المقدس، لأن الفاء في قوله تعالى ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ

ظَلَمُوا﴾^(٤) تقتضي التعقيب، فوجب أن يكون ذلك التبديل وقع منهم عقيب هذا

الأمر في حياة موسى، لكن موسى مات في أرض التيه ولم يدخل بيت المقدس، فثبت أنه ليس المراد من هذه القرية بيت المقدس، وأجاب الأولون بأنه ليس في هذه الآية أنا

قلنا ادخلوا هذه القرية على لسان موسى أو على لسان يوشع، وإذا حملناه على لسان يوشع زال الإشكال»^(٥).

(١) سورة البقرة: الآية ٥٨.

(٢) تفسير الفخر الرازي: ٩٤/٣.

(٣) سورة المائدة: من الآية ٢١.

(٤) سورة البقرة: من الآية ٥٩، والأعراف من الآية ١٦٢.

(٥) تفسير الفخر الرازي: ٩٤/٣.

ولعل الرازي أورد هذه الآراء وحججها، لقيمة يعلمها وراء تحديد هذه القرية، كمعرفة تاريخ اليهود مثلاً، فليس من طريقته في التعامل مع المبهم أن يقف مع ما ليس لتحديده قيمة، كما مر.

وليست هذه هي المرة الوحيدة التي يقف فيها الرازي مع الآراء الواردة في المبهم وحججها، بل إنه يرجح أحياناً رأياً من الآراء المروية في المبهم، وأحياناً أخرى يورد هذه الآراء بلا تعقيب، فمن النوع الأول أنه قال عند تفسيره للرقيم في سورة الكهف: «وفي الرقيم أقوال.. روى عكرمة عن ابن عباس أنه سئل عن الرقيم فقال زعم كعب أنها القرية التي خرجوا منها، وهو قول السدي... قال سعيد بن جبير ومجاهد الرقيم لوح من حجارة وقيل من رصاص كُتِبَ فيه أسماءهم وقصتهم وشد ذلك اللوح على باب الكهف»^(١)، ثم يعقب على هذا الرأي قائلاً: «وهذا قول جميع أهل المعاني والعربية، قالوا الرقيم الكتاب، والأصل فيه المرقوم، ثم نقل إلى فعيل، والرقم الكتابة، ومنه قوله تعالى ﴿كُنِبٌ مَّرْقُومٌ﴾^(٢)، أي مكتوب، قال الفراء: الرقيم لوح كان فيه أسماءهم وصفاتهم، ونظن أنه إنما سمي رقيماً، لأن أسماءهم كانت مرقومة فيه، وقيل الناس رقوموا حديثهم نقرأ في جانب الجبل»^(٣).

ولا يخفى أن هذا استدلال لغوي على المبهم، وليس هو الوحيد من نوعه عند الرازي، بل سبقه استدلاله باللغة على تحديد الصراط المستقيم في سورة الفاتحة، فقال: «قال بعضهم: الصراط المستقيم: الإسلام، وقال بعضهم: القرآن، وهذا لا يصح، لأن

(١) تفسير الفخر الرازي: ٨٣/٢١.

(٢) سورة المطففين: الآية ٩، والآية ٢٠.

(٣) تفسير الفخر الرازي: ٨٣/٢١.

قوله ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾^(١) بدل من ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٢)، وإذا كان كذلك كان التقدير اهدنا صراط من أنعمت عليهم من المتقدمين، ومن تقدمنا من الأمم ما كان لهم القرآن والإسلام، وإذا بطل ذلك ثبت أن المراد اهدنا صراط المحقين المستحقين للجنة»^(٣).

ومن ذلك استدلاله على عدد أهل الكهف، يقول: «... وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم، قال أكثر المفسرين هذا الأخير هو الحق»^(٤)، ويدل عليه وجوه، الأول: أن الواو في قوله: ﴿وَأَثَمْنَهُمْ﴾^(٥) هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالاً عن المعرفة في نحو قولك جاءني رجل ومعه آخر، ومررت بزيد وفي يده سيف، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا وَهَلَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾^(٦)، وفائدتها تأكيد ثبوت الصفة للموصوف، والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر، فكانت هذه الواو دالة على صدق الذين قالوا إنهم كانوا سبعة وثامنهم كلبهم، وأنهم قالوا قولاً متقررًا متحققًا عن ثبات وعلم وطمأنينة نفس. الوجه الثاني: قالوا: إنه تعالى خص هذا الموضع بهذا الحرف الزائد، وهو الواو، فوجب أن تحصل به فائدة زائدة صوتًا للفظ عن التعطيل، وكل من أثبت

(١) سورة الفاتحة: من الآية ٧ .

(٢) سورة الفاتحة: من الآية ٦ .

(٣) تفسير الفخر الرازي: ٢٦٠/١ .

(٤) ويمكننا اعتبار هذا استدلالاً منه على المبهم بالإجماع.

(٥) سورة الكهف: من الآية ٢٢ .

(٦) سورة الحجر: الآية ٤ .

هذه الفائدة الزائدة قال المراد منها تخصيص هذا القول بالإثبات والتصحيح. الوجه الثالث: أنه تعالى أتبع القولين الأولين بقوله ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾^(١)، وتخصيص الشيء بالوصف يدل على أن الحال في الباقي بخلافه، فوجب أن يكون المخصوص بالظن الباطل هو القولان الأولان، وأن يكون القول الثالث مخالفًا لهما في كونهما رجمًا بالظن»^(٢).

ومن النوع الثاني الذي يورد فيه الرازي المرويّات في المبهم دون التعليق عليها قوله عن القرية المقصودة في قوله تعالى ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾^(٣): «اختلفوا في تلك القرية فقال وهب وقتادة وعكرمة والربيع: إيلياء، وهي بيت المقدس، وقال ابن زيد: هي القرية التي خرج منها الألو فحذر الموت»^(٤).

موقف البيضاوي من المبهم

لم يختلف موقف باقي أصحاب مدرسة التفسير بالرأي، مع المبهم، كثيرًا عن موقف الرازي، يقول البيضاوي مثلًا عن الشجرة التي نهي آدم وحواء عن الأكل منها: «والشجرة هي الحنطة أو الكرمة أو التينة أو شجرة من أكل منها أحدث، والأولى ألا تعين من غير قاطع، كما لم تعين في الآية لعدم توقف ما هو المقصود عليه»^(٥).

(١) سورة الكهف: من الآية ٢٢.

(٢) تفسير الفخر الرازي ١٠٦/٢١-١٠٧.

(٣) سورة البقرة: من الآية ٢٥٩.

(٤) تفسير الفخر الرازي، ٣٤/٧.

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف باسم تفسير البيضاوي، ناصر الدين أبوالخير عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي (٦٩١هـ)،

إعداد وتقديم محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، د.ت، ٧٢/١.

موقف أبي حيان الأندلسي من المبهم

يقول أبو حيان الأندلسي عن الشجرة ذاتها: «وقال بعض أهل الكتاب: شجرة الحنظل، وقال أبو مالك: النخلة. وقيل: شجرة المحنة. وقيل: شجرة لم يعلمنا الله ما هي، وهذا هو الأظهر، إذ لا يتعلق بعرفانها كبير أمر، وإنما المقصود إعلامنا أن فعل ما نهيها عنه سبب للعقوبة»^(١)، وهذه لفظة مقاصدية طيبة.

ويقول عن مكان الجنتين المذكورتين في سورة الكهف: «وأهم تعالى مكان الجنتين إذ لا يتعلق بتعيينه كبير فائدة...»^(٢).

ويقول عن المفسى إليها بالسر من زوجات الرسول في قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾^(٣): «وجاءت الكناية هنا عن التفشية والحذف للمفسى إليها بالسر، حيطة وصوناً عن التصريح بالاسم، إذ لا يتعلق بالتصريح بالاسم غرض»^(٤).

ويبين أبو حيان منهجه في معرفة بعض أنواع المبهم في العدد القليل الذي آمن مع نبي الله نوح عليه السلام بعد نقل المرويات في ذلك: «وهذه أقوال متعارضة، والذي أخبر الله تعالى به أنه ما آمن معه إلا قليل، ولا يمكن التنصيص على عدد هذا نفر

(١) تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (٥٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الجواد وعلي محمد معوض، دار

الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ=١٩٩٣م، ٣١٠/١.

(٢) تفسير البحر المحيط: ١١٨/٦.

(٣) سورة التحريم: الآية ٣.

(٤) تفسير البحر المحيط: ٢٨٦/٨.

القليل الذي أجهم الله عددهم إلا بنص عن رسول الله ﷺ»^(١).

موقف القرطبي من المبهم

أما القرطبي، فبعد أن يذكر الاستدلالات اللغوية على عدد أصحاب الكهف، والآراء الواردة في الواو في قوله ﴿وَتَأْمِنُهُمُ﴾^(٢) يقول «قوله تعالى ﴿فَلَا تَمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾^(٣) أي لا تجادل في أصحاب الكهف إلا بما أوحيناه إليك، وهو رد علم عدتهم إلى الله تعالى، وقيل: معنى المراء الظاهر أن تقول: ليس كما تقولون، ونحو هذا، ولا تحتج على أمر مقدر في ذلك، وفي هذا دليل على أن الله تعالى لم يبين لأحد عددهم فهذا قال ﴿إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾^(٤) إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا، أي ذاهبًا»^(٥).

على أن القرطبي كثيراً ما يورد المرويات في هذا النوع من المبهم، ولا يعلق عليها^(٦)، أما في النوع الآخر الذي قد يرى أن لتعيينه فائدة، فكثيراً ما يرجح رأياً من الآراء، «وفي بعض المواضع يرجح القرطبي قولاً ويرى أن جميع الأقوال ترجع إليه»^(٧)،

(١) تفسير البحر المحيط ٥/٢٢٣.

(٢) سورة الكهف: من الآية ٢٢.

(٣) سورة الكهف: من الآية ٢٢.

(٤) سورة الكهف: من الآية ٢٢.

(٥) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (٦٧١هـ)، تحقيق الدكتور عبدالله بن

عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م، ١٣/٢٤٨-٢٤٩.

(٦) تراجع تفسيره للمواطن التي نقلنا تعليقات المفسرين عليها في هذا الفصل.

(٧) ترجيحات القرطبي في التفسير من أول الكتاب إلى الآية رقم ١٨٨ من سورة البقرة، جمعاً ودراسةً وموازنةً، بحث لنيل درجة الماجستير من كلية

الدعوة وأصول الدين - شعبة التفسير وعلوم القرآن الكريم - قسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، إعداد الطالب عبدالله

من ذلك أنه قال في المنعم عليهم في سورة الفاتحة: «اختلف الناس في المنعم عليهم، فقال الجمهور من المفسرين إنه أراد صراط النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وانتزعوا ذلك من قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^(١)، فالآية تقتضي أن هؤلاء على صراط مستقيم، وهو المطلوب في آية الحمد، وجميع ما قيل إلى هذا يرجع، فلا معنى لتعدد الأقوال والله المستعان»^(٢).

وعند تفسير قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾^(٣) أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ^(٤) قال: «واختلف الناس في تعيين هذا العهد، فقيل: هو الذي أخذه الله على بني آدم حين استخرجهم من ظهره، وقيل هو وصية الله تعالى إلى خلقه، وأمره إياهم بما أمرهم به من طاعته، ونهيه إياهم عما نهاهم عنه من معصيته في كتبه على ألسنة رسله، ونقضهم ذلك: ترك العمل به، وقيل... قلت: وظاهر ما قبل وما بعد يدل على أنها في الكفار، فهذه خمسة أقوال، والقول الثاني يجمعها»^(٤)، وقوله: «وظاهر ما قبل وما بعد يدل على أنها في الكفار» يدل على استدلاله على المبهم في هذا الموطن بالسياق.

عيدان أحمد الزهراني، الرقم الجامعي ٤٢٥٨٠١٣٥، إشراف الدكتور عبدالودود مقبول حنيف، ص ٧٠.

(١) سورة النساء: الآية ٦٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٠/١.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ٣٧٠/١.

ونرى استدلالات أخرى على المبهم بالسياق عند القرطبي، يقول في المقصودين بقوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْفِتَالَ إِذَا فِرْقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشِيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشِيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْفِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَنَعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ ^(١): «... وقال مجاهد: هم يهود. قال الحسن:

هي في المؤمنين، لقوله ﴿ يَخْشَوْنَ النَّاسَ ﴾ أي مشركي مكة ﴿ كَخَشِيَةِ اللَّهِ ﴾، فهي على ما طبع عليه البشر من المخافة لا على المخالفة، قال السدي: هم قوم أسلموا قبل فرض القتال فلما فرض كرهوه، وقيل: هو وصف للمنافقين، والمعنى يخشون القتل من المشركين، كما يخشون الموت من الله، ﴿ أَوْ أَشَدَّ خَشِيَةً ﴾، أي عندهم وفي اعتقادهم، قلت: وهذا أشبه بسياق الآية، لقوله ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْفِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ ^(٢).

ومن ذلك أنه قال عند تفسيره قوله تعالى ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ ^(٣): «قال ابن عباس: أول ما يدخل أهل الجنة الجنة تعرض لهم عينان، فيشربون من إحدى العينين فيذهب الله ما في قلوبهم من غل، ثم يدخلون العين الأخرى فيغتسلون فيها فتشرق ألوانهم وتصفو وجوههم، وتجرى

(١) سورة النساء: الآية ٧٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٤٦٢/٦-٤٦٣.

(٣) سورة الحجر: الآية ٤٧.

عليهم نضرة النعيم، ونحوه عن علي عليه السلام. وقال علي بن الحسين: نزلت في أبي بكر وعمر وعلي والصحابة، يعني ما كان بينهم في الجاهلية من الغل. والقول الأول أظهر، يدل عليه سياق الآية»^(١).

موقف الألوسي من المبهم

أما الألوسي فلم يكن بدعًا من سابقه في التعامل مع هذا النوع من المبهم، وسلك الدرب نفسه، يتبين ذلك من خلال تعليقاته على قيمة معرفة المبهم وتعيينه في الأمثلة التي سبقت الإشارة إليها، يقول في شجرة آدم عليه السلام: «والشجرة هي الحنطة أو الكرمة أو التينة أو شجرة من أكل منها أحدث، والأولى أن لا تعين من غير قاطع كما لم تعين في الآية لعدم توقف ما هو المقصود عليه»^(٢).

ويقول عن البعض الذي ضرب به القليل: «والظاهر أن المراد بالبعض أي بعض كان، إذ لا فائدة في تعيينه، ولم يرد به نقل صحيح»^(٣)، والعجيب أنه بعد تقريره أنه لا فائدة في تعيين هذا البعض يورد المرويّات في ذلك فيقول: «واختلف بم ضربه فقيل: بلسانها أو بأصغريها أو بفخذها اليمنى أو بذنبتها أو بالغضروف أو بالعظم الذي يليه أو بالبضعة التي بين الكتفين أو بالعجب أو بعظم من عظامها»^(٤).

ويقول عن الجنّتين الوارديتين في سورة الكهف: «لم يعين سبحانه مكانهما، إذ

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٢١٩/١٢.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين السيد محمود أبو الفضل الألوسي البغدادي (١٢١٧-١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ١/٢٣٤ و٢٣٥.

(٣) روح المعاني: ١/٢٩٣ و٢٩٤.

(٤) روح المعاني: ١/٢٩٤.

لا يتعلق بتعيينه كبير فائدة»^(١).

ويقر الألوسي الاستدلال برأي الجمهور^(٢) على المبهم، فيقول عن القرية التي أمر بنو إسرائيل بدخولها: «والمشهور عن ابن عباس وابن مسعود وقتادة والسدي والربيع وغيرهم، وإليه ذهب الجمهور أنها بيت المقدس»^(٣).

ويناقش طويلاً لإثبات هذا الرأي فيقول: «وقد كان هذا الأمر بعد التيه

والتحير، وهو أمر إباحة يدل عليه عطف ﴿فَكُلُوا﴾^(٤) إلخ، وهو غير الأمر

المذكور بقوله تعالى ﴿يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا

تُرْثَدُوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾^(٥)، لأنه كان قبل ذلك، وهو أمر

تكليف كما يدل عليه عطف النهي، ومنهم من زعم اتحادهما، وجعل هذا الأمر أيضاً

للتكليف، وحمل تبديل الأمر على عدم امتثاله بناء على أنهم لم يدخلوا القدس في

حياة موسى عليه السلام، ومنهم من ادّعى اختلافهما لكنه زعم أن ما هنا كان بعد

التيه على لسان يوشع، لا على لسان موسى عليهما السلام، لأنه وأخاه هارون ماتا

في التيه، وفتح يوشع مع بني إسرائيل أرض الشام بعد موته عليه السلام بثلاثة أشهر،

ومنهم من قال الأمر في التيه بالدخول بعد الخروج عنه»^(٦)، ثم يعقب قائلاً: «ولا

(١) روح المعاني: ٢٧٣/١٥.

(٢) ولو على سبيل الاستئناس، وإلا فقد سبق أن عزا الرأي إلى اثنين من الصحابة واثنين من التابعين.

(٣) روح المعاني: ٢٦٥/١.

(٤) سورة البقرة: من الآية ٥٨.

(٥) سورة المائدة: الآية ٢١.

(٦) روح المعاني: ٢٦٥/١.

يخفى ما في كل، فالأظهر ما ذكرنا....»^(١).. ولا يخفى أن هذا استدلال لغوي-
أصولي يتكئ عليه الألويسي في الاستدلال على المبهم في هذا الموطن.

الخلاصة

يتبين مما سبق أن أصحاب مدرسة التفسير بالرأي لم يختلفوا كثيراً في تعاملهم
مع المبهم عن أصحاب مدرسة التفسير بالمأثور، فقد اتفقوا معهم على أن هناك
مبهمات لا قيمة حقيقية في تعيينها على وجه التحديد، ومن العبث الجري وراء ذلك،
وأن هناك مبهمات أخرى في تعيينها قيمة عملية أو علمية، وهذه سلكوا من أجل
تعيينها طرقاً شتى يضطلع بها هذا البحث إن شاء الله تعالى.

(١) روح المعاني: ١/٢٦٥.

المبحث الثالث: موقف المفسرين المعاصرين من المبهم

موقف المفسرين المعاصرين من المبهم

يعرض هذا المبحث موقف المفسرين المعاصرين من المبهم من خلال ثلاثة تفاسير كتب لها الانتشار، هي «تفسير القرآن الحكيم» المشتهر بتفسير «المنار»، لمحمد رشيد رضا، وما يقتضيه ذلك من الوقوف على رأي أستاذه محمد عبده من المبهم، وتفسير «في ظلال القرآن»، لسيد قطب، وتفسير «التحرير والتنوير» للطاهر بن عاشور.

موقف الإمام محمد عبده من المبهم

يقول الدكتور محمد حسين الذهبي عن موقف محمد عبده من المبهم: «مذهبه في جميع مبهمات القرآن يقف عند النص القطعي لا يتعداه، ويثبت أن الفائدة لا تتوقف على سواه، وإذا تتبعنا أقواله في مبهمات القرآن وجدناه محافظاً على هذا المبدأ، لا يعدل عنه ولا يجيد، إلا في مواضع قليلة نادرة»^(١).

ويذكر الدكتور الذهبي نماذج لتعامل الإمام محمد عبده مع المبهم فيقول: «فمثلاً عندما تعرّض لقوله تعالى في الآيتين (١٠ و ١١) من سورة الانفطار: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَنِينًا ۝١١﴾^(٢) نجده يقول: ومن الغيب الذي يجب علينا الإيمان به ما أنبأنا به في كتابه أن علينا حفظة يكتبون أعمالنا حسنات وسيئات، ولكن ليس علينا أن نبحث عن حقيقة هؤلاء، ومن أي شيء خلقوا؟ وما عملهم في حفظهم وكتابتهم؟ هل عندهم أوراق وأقلام ومداد كالمعهود عندنا؟ وهو يبعد فهمه،

(١) التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، د.ت، ٤١١/٢، وانظر تفسير القرآن الحكيم المشتهر بتفسير المنار، محمد رشيد

رضا (١٢٨٢-١٣٥٤هـ)، دار المنار الطبعة الثانية ١٣٦٦هـ=١٩٤٧م، ٣٢٠/١.

(٢) سورة الانفطار: الآيتان ١٠ و ١١.

أو هناك ألواح ترسم فيها الأعمال؟ وهل الحروف والصور التي ترسم هي على نحو ما نعهد؟ أو إنما هي أرواح تتجلى لها الأعمال فتبقى فيه بقاء المداد في القرطاس إلى أن يبعث الله الناس؟ كل ذلك لا نكلف العلم به، وإنما نكلف الإيمان بصدق الخبر وتفويض الأمر في معناه إلى الله، والذي يجب علينا اعتقاده من جهة ما يدخل في عملنا هو أن أعمالنا تحفظ وتحصى، لا يضيع منها نكير ولا قطمير»^(١).

«ومثلاً عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٤) وما بعدها من سورة البروج:

﴿قُلْ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾^(٢) إلى آخر القصة يقول: أما تعيين أصحاب الأخدود... المؤمن لا يحتاج في الاعتبار وإشعار الموعدة قلبه إلى أن يعرف القوم، والجهة... حتى يطير وراء القصص المشحونة بالمبالغات، والأساطير المحشوة بالخرافات، وإنما الذي عليه هو أن يعرف من القصة ما ذكرناه أولاً، ولو علم الله خيراً في أكثر من ذلك لتفضل علينا به»^(٣).

أما «المواضع القليلة النادرة» التي خالف فيها الإمام محمد عبده مذهبه، فيقول الذهبي عنها: «فمثلاً عندما يعرض لتفسير سورة الفيل، بعد أن ذكر ما قيل في إرسال الطير على أبرهة، وما جاءت به بعض الروايات من أن الذي أصابهم هو داء الجدري والحصبة يقول: وقد بينت لنا هذه السورة الكريمة أن ذلك الجدري أو تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش، بواسطة فرق عظيمة من الطير، مما أرسله الله مع الريح، فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض

(١) التفسير والمفسرون ٢/٤١١، وانظر تفسير القرآن الكريم للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، جزء عم، طبعة الجمعية الخيرية الإسلامية، مطبعة

مصر، الطبعة الثالثة ١٣٤١هـ، ص ٣٦.

(٢) سورة البروج: الآية ٤.

(٣) التفسير والمفسرون: ٢/٤١١، وتفسير جزء عم للشيخ محمد عبده: ص ٥٩.

أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض، وأن تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس، الذي تحمله الرياح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات فإذا اتصل بجسده دخل في مسامه، فأثار به تلك القروح التي تنتهي بإفساد الجسم وتساقط لحمه، وإن كثيراً من هذه الطيور الضعيفة يعد من أعظم جنود الله في إهلاك من يريد إهلاكه من البشر، وإن هذا الحيوان الصغير الذي يسمونه الآن بالميكروب لا يخرج عنها، وهو فرق وجماعات لا يحصى عددها إلا بآرائها...»^(١).

ثم يقول الذهبي: «وهنا أيضاً نجد الأستاذ الإمام قد خالف طريقته في مبهمات القرآن، فراح يخوض في التفصيلات والجزئيات، ثم جَوَّز أن تكون الطير هي ما يسمى اليوم بالميكروبات، كما جَوَّز أن تكون الحجارة هي جراثيم بعض الأمراض، وهذا ما لا نقره عليه، لأن هذه الجراثيم التي اكتشفها الطب الحديث لم يكن للعرب علم بها وقت نزول القرآن، والعربي إذا سمع لفظ الحجارة في هذه السورة لا ينصرف ذهنه إلى تلك الجراثيم بحال من الأحوال، وقد جاء القرآن بلغة العرب، وخاطبهم بما يعهدون ويألفون»^(٢).

والإمام مُحَمَّد عبده، في الحقيقة، لم يَجَوِّز أن تكون الطير هي الميكروبات، بل عد تلك الميكروبات نوعاً من أنواع جنود الله، كالطيور الضعيفة، يقول الإمام: «وإن كثيراً من هذه الطيور الضعيفة يعد من أعظم جنود الله في إهلاك من يريد إهلاكه من البشر، وإن هذا الحيوان الصغير الذي يسمونه الآن بالميكروب لا يخرج عنها، وهو فرق وجماعات لا يحصى عددها إلا بآرائها...»^(٣)، وقال عن الطير «فيجوز لك أن

(١) التفسير والمفسرون: ٤١٧/٢، وتفسير جزء عم للشيخ مُحَمَّد عبده: ص ١٥٨.

(٢) التفسير والمفسرون: ٤١٧/٢.

(٣) تفسير جزء عم للشيخ مُحَمَّد عبده: ص ١٥٨.

تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض»^(١)، فهو يحمل الجراثيم وليس هو الجراثيم نفسها، فلا يثبت من كلام الإمام أنه قال عن الطيور إنها الميكروبات ولا الجراثيم.

أما دعوى أن الجراثيم التي اكتشفها الطب الحديث لم يكن للعرب علم بها وقت نزول القرآن، فلا تستقيم، لما جاء في الأحاديث النبوية عن نقل العدوى من مريض لآخر^(٢)، فكيف كان العرب يفهمون نقل العدوى إذا لم يكونوا يعرفون أنها تنقل عن طريق جراثيم، وإن لم يكونوا يعرفونها بهذا الاسم بالطبع؟

كما أن كلام الإمام عن كيفية إصابة الطير للجيش ليس نوعاً من أنواع الخوض في المبهم، بل هو محاولة لمعرفة تلك الكيفية علمياً، أو الكشف عن تفسير علمي لطير يحمل حجارة فيرمي بها أناساً فيصابون هذه الإصابة.

على أية حال، هذا جهد مشكور من الدكتور الذهبي في تتبع موقف الشيخ محمد عبده من المبهم، وهو، إجمالاً، لم يخرج عن موقف السابقين من المفسرين.

موقف الشيخ محمد رشيد رضا من المبهم

لم يختلف موقف الشيخ محمد رشيد رضا من المبهم عن موقف أستاذه، يقول الشيخ رشيد عن عدد الذين قُتلوا من بني إسرائيل، امثالاً لأمر الله لهم على لسان

نبيه موسى عليه السلام، كما حكاه القرآن في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِيَّاكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ

(١) تفسير جزء عم للشيخ محمد عبده: ص ١٥٨.

(٢) كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: لا عدوى ولا صفر ولا هامة فقال أعرابي: يا رسول الله فما بال إبلي تكون

في الرمل كأنها الظباء، فيأتي البعير الأجرى فيدخل بينها فيجرها فقال: فمن أعدى الأول؟ (أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب لا صفر

وهو داء يأخذ البطن، برقم ٥٧٠٧).

ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَثَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾^(١): «... عنه...»^(٢).

ويقول في الذي انسلخ من آيات الله بعد أن آتاه الله إياها، والذي أشار إليه القرآن في قوله تعالى ﴿وَآتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾^(٣) «وهذا الذي آتاه الله آياته من مبهمات القرآن، لم يبين الله ولا رسوله في حديث صحيح عنه اسمه ولا جنسه ولا وطنه، لأن هذه الأشياء لا دخل لها فيما أنزل الله تعالى الآيات لبيانه»^(٤).

ويقول في الذي مر على القرية، المقصود بقوله تعالى ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾^(٥): «وقد أجهم الله تعالى هذا المار وهذه القرية، فلم يذكر مكانها وأصحابها، بل اقتصر على الوصف الذي به تقرر الحجّة، حتى لا يشغل القارئ أو السامع عنها شاغل، فهو من الاختصار البليغ، ولكن المفسرين أبوا إلا أن يبحثوا عنها وعمن مر بها، فقال بعضهم: إنها قرية الذين خرجوا من ديارهم، وقيل غير ذلك، وقيل: إن الذي مر أرمياء، وقيل: العزيز، رجماً بالغيب أو تسليمًا للإسرائيليات»^(٦).

(١) سورة البقرة: الآية ٥٤.

(٢) تفسير المنار: ٣٢٠/١.

(٣) سورة الأعراف: من الآية ١٧٥.

(٤) تفسير المنار: ٣٢٠/١.

(٥) سورة البقرة: من الآية ٢٥٩.

(٦) تفسير المنار: ٤٠٥/٩.

العجيب أن هذا العيب الذي عابه الشيخ رشيد على المفسرين (تسليمهم للإسرائيليات في تعيين المبهم) وقع هو نفسه فيه، يقول الدكتور الذهبي: «كذلك لا يفوتنا أن نُنبِّه على أن صاحب المنار كان مع شدة لومه على المفسِّرين الذين يزجون بالإسرائيليات في تفاسيرهم، ويتخذون منها شروحًا لكتاب الله، يخوض هو أيضًا فيما هو من هذا القبيل، ويتخذ منه شروحًا لكتاب الله، وذلك أنه كثيرًا ما ينقل عن الكتاب المقدَّس أخبارًا وآثارًا يُفسِّر بها بعض مبهمات القرآن، أو يرد بها على أقوال بعض المفسِّرين، وكان الأجدر بهذا المفسِّر الذي يشدد النكير على عشاق الإسرائيليات أن يكف هو أيضًا عن النقل عن كتب أهل الكتاب، خصوصًا وهو يعترف أنه قد تطرَّق إليها التحريف والتبديل»^(١).

ويشير الدكتور الذهبي إلى ما نقله الشيخ رشيد عن الفصل الخامس والعشرين من سفر الخروج عن التابوت وما حواه، إذ يقول: «وهذا التابوت المعروف صندوق له قصة معروفة في كتب اليهود، ففي أول الفصل الخامس والعشرين من سفر الخروج ما نصه...»^(٢)، وينقل نصًّا طويلًا، ثم يعقب قائلًا: «هذا ما ورد في صفة الأمر بصنع ذلك التابوت الديني، وذكر بعده كيفية صنع المائدة الدينية وآنيتها والمسكن والمذبح وخيمة العهد ومنارة السراج والثياب المقدسة، ثم فصل في الفصل ٢٧ منه كيف كان صنع هذا التابوت والمائدة والمنار ومذبح البخور»^(٣).

والأعجب أنه يعلق بعد ذلك قائلًا: «وهي غرائب يعدها عقلاء هذه العصور

(١) التفسير والمفسرون: ٤٣٢/٢.

(٢) تفسير المنار: ٤٨٢/٢ و٤٨٣.

(٣) تفسير المنار: ٤٨٣/٢.

«الأعيب»^(١)، والأشد عجباً أنه يلتمس الحكمة من ورائها فيقول: «والحكمة فيها- والله أعلم- أن بني إسرائيل كانوا- وقد استعبدتهم وثنيو المصريين أحقاباً- قد ملكت قلوبهم عظمة تلك الهياكل الوثنية، وما فيها من الزينة والصنعة التي تدهش الناظر، وتشغل الخاطر، فأراد الله تعالى أن يشغل قلوبهم عنها بمحسوسات من جنسها تنسب إليه سبحانه وتعالى وتذكر به»^(٢).

وكذلك يشير الدكتور الذهبي إلى تفسير الشيخ رشيد استجابة دعاء موسى وهارون، حيث قال ﴿ رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيْنَا أَمْوَالَهُمْ وَأَشْدُدْ عَلَيْنَا قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾^(٣) بما جاء في سفر الخروج، يقول الشيخ رشيد: «وإن في قصة موسى وفرعون في سفر الخروج ما يفسر استجابة هذا الدعاء، بما يوافق ما قلناه هنا من إرسال الله النوازل على مصر وأهلها، ولجوء فرعون وآله إلى موسى عند كل نازلة منها ليدعو ربه فيكشفها عنهم فيؤمنوا به، حتى إذا ما كشفها قسى الرب قلب فرعون فأصر على كفره»^(٤).

على أن هذين نموذجان فقط لاستدلال الشيخ رشيد على المبهم بكتب أهل الكتاب، لاسيما سفر الخروج، وفي تفسيره نماذج أخرى من ذلك.

موقف سيد قطب من المبهم

يقرر سيد قطب موقفه من المبهم الذي ليس لتعيينه فائدة، بوضوح وجلاء، «ففي تفسيره لقصة آدم عليه السلام مع الملائكة في الجنة وتجربته هناك، ودور إبليس فيها

(١) تفسير المنار: ٢/ ٤٨٣.

(٢) تفسير المنار: ٢/ ٤٨٣.

(٣) سورة يونس: من الآية ٨٨.

(٤) تفسير المنار: ١١/ ٤٧٤.

وقف ليسأل أسئلة ويجيب عليها»^(١)، «فأين كان هذا الذي كان؟ وما الجنة التي عاش فيها آدم وزوجه حيناً من الزمان؟ ومن هم الملائكة؟ ومن هو إبليس؟.. كيف قال الله تعالى لهم؟ وكيف أجابوه؟.. هذا وأمثاله في القرآن الكريم غيب من الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه، وعلم بحكمته أن لا جدوى للبشر في معرفة كنهه وطبيعته، فلم يهب لهم القدرة على إدراكه والإحاطة به، بالأداة التي وهبهم إياها لخلافة الأرض، وليس من مستلزمات الخلافة أن نطلع على هذا الغيب... ومن ثم لم يعد للعقل البشري أن يخوض فيه، لأنه لا يملك الوسيلة للوصول إلى شيء من أمره، وكل جهد يبذل في هذه المحاولة هو جهد ضائع، ذاهب سدى، بلا ثمرة ولا جدوى»^(٢).

وكذلك كان موقف سيد قطب من تعيين الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها^(٣)، والملك الذي حاج إبراهيم في ربه^(٤)، والنبي من بني إسرائيل من بعد موسى، المقصود في قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾^(٥)، «ولم يرد في السياق ذكر اسمه، لأنه ليس المقصود بالقصة، وذكره هنا لا يزيد شيئاً في إيحاء القصة»^(٦).

(١) المنهج الحركي في ظلال القرآن، الدكتور صلاح عبدالفتاح الخالدي، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة- السعودية، الطبعة الأولى

١٤٠٦هـ=١٩٨٦م، ص٣٥٧.

(٢) في ظلال القرآن: ١/٥٩.

(٣) في ظلال القرآن: ١/٢٩٩.

(٤) في ظلال القرآن: ١/٢٩٧.

(٥) سورة البقرة: من الآية ٢٤٦.

(٦) في ظلال القرآن: ١/٢٦٦.

«وإذا كان سيد قد اكتفى في الأمثلة السابقة بعدم تحديد المبهات - اتباعاً للقرآن - فإنه في بعض الأحيان يقف ليبين أن تجاوز سياق القرآن بشأن هذه المبهات معناه الذهاب إلى التيه والخبط فيه بلا دليل، وكان ينتقد طريقة بعض السابقين في ذهابهم إلى هذا التيه، وأخذهم فيه من خرافات بني إسرائيل»^(١).

ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾^(٢) قال: «لا أحب أن نذهب في تيه التأويلات عن هؤلاء الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت.. من هم؟ وفي أي زمان خرجوا؟ فلو كان الله يريد بياناً عنهم لبين... ذلك لم يرد عنه تفصيل فلا ضرورة لأن نذهب وراءه في التأويل لئلا ننتيه في أساطير لا سند لها كما جاء في بعض التفاسير...»^(٣)، ويقرر سيد في صراحة ووضوح: «وكل محاولة لمعرفة هذا الغيب بعد انقطاع الوحي هي محاولة فاشلة»^(٤).

موقف الطاهر بن عاشور من المبهم

اعتنى الطاهر بن عاشور عناية كبيرة بالمبهم، ولم يفرق بين نوعيه (ما لتعيينه قيمة عملية أو علمية، وما ليس لتعيينه قيمة)، وحاول الاستدلال عليهما جميعاً، دون أن يشير إلى قيمة عملية أو علمية لذلك التعيين^(٥)، لكنه أحياناً يورد الآراء الواردة في

(١) المنهج الحركي: ٣٥٨.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٤٣.

(٣) في ظلال القرآن: ١/٢٦٣ و٢٦٤.

(٤) في ظلال القرآن: ٣/١٢٧٠.

(٥) هناك استثناءات من هذه القاعدة، منها مثلاً رفضه الخوض في عدد أصحاب الكهف، كما سيأتي في دراسة المسألة.

المبهم ولا يعلق عليها ولا يرجح من بينها، يقول: «وقد اختلف أهل القصص في تعيين نوع هذه الشجرة، فعن علي وابن مسعود وسعيد بن جبير والسدي أنها الكرمة، وعن ابن عباس والحسن وجمهور المفسرين أنها الحنطة، وعن قتادة وابن جريج، ونسبه ابن جريج إلى جمع من الصحابة أنها شجرة التين، ووقع في سفر التكوين من التوراة إبهامها وعبر عنها بشجرة معرفة الخير والشر»^(١).

ونلاحظ في العبارة السابقة للطاهر بن عاشور استثناسه بسفر التكوين، وهو العيب الذي سبق أن سجله الدكتور الذهبي على تفسير المنار.

وهذا ما فعله أيضاً في الاستدلال على المار على القرية، يقول: «والذي مر على قرية قيل هو أرميا بن حلقيا، وقيل هو عزيز بن شرخيا (عزرا بن سريرا)، والقرية بيت المقدس في أكثر الأقوال، والذي يظهر لي أنه حزقيال ابن بوزي...»^(٢)، ويعضد اختياره بقصة طويلة من أخبار بني إسرائيل.

الخلاصة

اهتم المفسرون المعاصرون بالمبهم بنوعيه، وفرق أكثرهم بين ما لتعيينه قيمة عملية أو علمية، وما ليس لتعيينه قيمة، وبعضهم، كالطاهر بن عاشور، لم يفرق بين النوعين وحاول الاستدلال عليهما جميعاً.

(١) تفسير التحرير والتنوير، مجد الطاهر بن عاشور، (١٢٩٦هـ - ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، ٤٣٢/١.

(٢) التحرير والتنوير: ٣٥/٣.

خلاصة موقف المفسرين من المبهم

اتفق كثير من المفسرين، على اختلاف مناهجهم، في تعاملهم مع المبهم على تقسيمه قسمين، سبقت الإشارة إليهما في مبحث أنواع المبهم، من جهة قيمة تحديد المبهم، فما كانت قيمة تحديده منعدمة نقل بعضهم ما ورد فيه من أقوال ثم ذكر أنه لا قيمة لمعرفة ذلك، والبحث فيه درب من دروب العبث، وما كان لتحديده قيمة عملية أو علمية معتبرة أوردوا ما فيه من أقوال وناقشوها واستدلوا على الصحيح منها، لكنهم خالفوا هذا النهج أحياناً، مثل استفاضتهم في الاستدلال على عدد أصحاب الكهف، كما سيأتي في دراسة المسألة، إن شاء الله.

على أن هذه الطريقة التي اتبعها المفسرون في تعاملهم مع المبهم، وهي تقسيمه من حيث القيمة العملية أو العلمية لتحديده، لم يصرحوا بها، إنما يمكننا الوقوف عليها بشكل واضح لا لبس فيه لدى تعرضهم لهذين النوعين من المبهم في تفاسيرهم، وتعليقهم عليها.

الفصل الثالث الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بالمأثور

- المبحث الأول: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بالقرآن الكريم
المبحث الثاني: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بالسنة
المبحث الثالث: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بأقوال الصحابة
المبحث الرابع: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بأقوال التابعين

المبحث الأول: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بالقرآن الكريم

- المطلب الأول: الاستدلال على «الذين أنعم الله عليهم» في الفاتحة
- المطلب الثاني: الاستدلال على «المغضوب عليهم» و«الضالين» في سورة الفاتحة
- المطلب الثالث: الاستدلال على الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه

الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بالقرآن الكريم

يأتي تفسير القرآن بالقرآن في صدارة طرق التفسير على الإطلاق، ولا غرو، فالله عز وجل أعلم بمراده، وقد قدم القرآن في مواطن كثيرة تفاسير واضحة لمعاني بعض ألفاظه، يقول الله عز وجل ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝٢ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝٣ ﴾^(١)، ويقول سبحانه: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ۝١٩ ﴾^(٢) وغير ذلك مما قد يذكر في موطن موجزًا ثم يبسط فيه القول في موطن آخر، أو مبهمًا في موطن ثم يزال إبهامه في آخر... وهكذا^(٣).

والرسول ﷺ هو أول من فسر القرآن بالقرآن، من ذلك، على سبيل المثال لا الحصر، ما روى البخاري ومسلم وغيرهما^(٤) عن عبدالله^(٥) قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَنَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ ءَامَنٌ وَهُمْ مُهْتَدُونَ

(١) سورة الطارق: الآيات من ١-٣.

(٢) سورة الانفطار: الآيات من ١٧-١٩.

(٣) للمزيد من هذه النماذج من تفسير القرآن للقرآن تنظر مقدمة «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (١٣٢٥-١٣٩٣هـ)، دار عالم الفوائد، ١/١٠ وما بعدها، والكتاب إمام في هذا الباب.

(٤) فتح الباري برقم ٦٩١٨: ١٢/٢٦٤، ومسلم في كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه برقم ١٢٤، وفي صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى ١٣٤٧هـ=١٩٢٩م، ١٤٣/٢، وأحمد في مسنده (١/٣٧٨ ط الميمنية)، والترمذي برقم ٣٠٦٧، تحقيق

الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، ١٥٢/٥.

(٥) هو عبدالله بن مسعود الصحابي المعروف.

﴿٨٢﴾^(١)، شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ وقالوا أيُّنا لم يظلم نفسه، فقال رسول الله ﷺ ليس كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه ﴿يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(٢) ﴿١٣﴾.

وتجدر الإشارة إلى أن الاستدلال بالقرآن لتفسير القرآن لا يُشترط دومًا أن يوفق فاعله إلى الصواب، بل قد يخفق، لا بسبب اعتماده على القرآن في التفسير، ولا لاضطراب أو تناقض في القرآن، معاذ الله ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ أَعْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٣)، ولكن قد يقع الإخفاق لخطأ في الاستدلال، أو تقصير في دراسة الاستخدام القرآني للألفاظ والجمل والأساليب، أو النظر إلى مواطن قرآنية دون غيرها مما قد تكون ذات صلة بالموضوع، أو لأمر آخر تجب مراعاتها، ربما تكون خاصة بكل موطن على حدة، قد تغيب عن المستدل.

ولما كان ما سبق مقررًا في التفسير بصفة عامة، كان المبهم أجدر به وأولى، لخصوصية الكلام في المبهم والبحث فيه، وهو ما دفع البعض إلى أن يقصر طرق معرفة المبهم على النقل^(٤)، وفيما يلي نماذج من استدلال المفسرين على بعض المبهم في القرآن الكريم بالقرآن الكريم ومناقشتها.

(١) سورة الأنعام: الآية ٨٢.

(٢) سورة لقمان: من الآية ١٣.

(٣) سورة النساء: من الآية ٨٢.

(٤) قال الإمام السيوطي: «مرجع هذا العلم النقل المحض، ولا مجال للرأي فيه...»، انظر مفحمت الأقران في مبهمات القرآن: ص ٨.

المطلب الأول: الاستدلال على «الذين أنعم الله عليهم» في قوله تعالى

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾^(١)

١ - القيمة العملية أو العلمية لمعرفة المبهم في الآية

يدعو المؤمن في صلاته في اليوم والليلة سبع عشرة مرة، على الأقل، أن يجعله الله من المنعم عليهم، وألا يجعله من المغضوب عليهم، ولا من الضالين، فلا يمكن أن يأمره الله بهذا الدعاء، ويغفل هو عن تحري هذه الفئات، ليتعد عن يجب الابتعاد عنهم، ويكون في زمرة من يجب أن يكون في زمرتهم.

٢ - آراء المفسرين في المنعم عليهم في فاتحة الكتاب

للمفسرين في المنعم عليهم في فاتحة الكتاب آراء، تكاد تكون متقاربة، يجمعها رأي واحد، على النحو التالي:

أ- النبيون والصديقون والشهداء والصالحون

استدل كثير من المفسرين على المنعم عليهم في قوله تعالى ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ

عَلَيْهِمْ﴾^(٢) بقوله تعالى في سورة النساء ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ

الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ

أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾^(٣)، يقول القرطبي: «واختلف الناس في المنعم عليهم، فقال

الجمهور من المفسرين: إنه أراد صراط النبيين والصديقين والشهداء والصالحين،

(١) سورة الفاتحة: من الآية ٧.

(٢) سورة الفاتحة: من الآية ٧.

(٣) سورة النساء: الآية ٦٩.

وانتزعوا ذلك من قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٦٩) (١)، فالآية تقتضي أن هؤلاء على صراط مستقيم، وهو المطلوب في آية الحمد...» (٢).

ب- المؤمنون

نقله الطبري (٣) وابن عطية (٤) عن ابن عباس.

ج- المسلمون

نقله الطبري (٥) وابن عطية (٦) عن ابن عباس.

د- مؤمنو بني إسرائيل - أصحاب موسى قبل أن يبدلوا

نقله ابن عطية (٧) عن مكي وغيره عن فرقة من المفسرين، واستدلوا بقوله تعالى

تعالى ﴿ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ (٨)، كما نقله عن

(١) سورة النساء: الآية ٦٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٠/١.

(٣) جامع البيان: ١٧٨/١.

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، القاضي أبو محمد عبدالحق بن غالب ابن عطية الأندلسي (٥٤٦هـ)، تحقيق عبدالسلام عبدالشافي مجد،

دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م، ٧٥/١.

(٥) جامع البيان: ١٧٨/١.

(٦) المحرر الوجيز: ٧٥/١.

(٧) المحرر الوجيز: ٧٥/١.

(٨) سورة البقرة: من الآية ٤٠، و٤٧، و١٢٢.

ابن عباس رضي الله عنهما.

هـ - مُحَمَّدٌ ﷺ وأبو بكر وعمر

نقله ابن عطية^(١) عن مكّي عن أبي العالية.

و- النبي ومن معه

نقله الطبري عن عبدالرحمن بن زيد^(٢).

٣- الدراسة

يُلاحظ من هذه الآراء أن آية سورة النساء جامعة، جمعت كل المنعم عليهم من البشر، بل والملائكة يمكن أن يدخلوا في الآية مع «الصالحين»، وهذا ما أشار إليه القرطبي بقوله: «وجميع ما قيل إلى هذا يرجع، فلا معنى لتعديد الأقوال والله المستعان»^(٣)، فالعلاقة بين الآيتين يمكن أن نطلق عليها علاقة إجمال وتفصيل، ولا دليل على تخصيص مؤمني بني إسرائيل أو أصحاب موسى، فلا وجه للاستدلال بقوله

تعالى ﴿يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾^(٤).

٤- الترجيح

المنعم عليهم في سورة الفاتحة شملتهم آية سورة النساء، فهم النبيون والصدّيقون والشهداء والصالحون.. والله تعالى أعلم.

(١) المحرر الوجيز: ٧٥/١.

(٢) جامع البيان: ١٧٨/١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٠/١.

(٤) سورة البقرة: من الآية ٤٠، ٤٧، و١٢٢.

المطلب الثاني: الاستدلال على «المغضوب عليهم» و«الضالين» في سورة الفاتحة

١ - القيمة العملية أو العلمية لتحديد المبهم في الآية

ما قيل في ضرورة معرفة المنعم عليهم يقال هنا.

٢ - آراء المفسرين فيه

اختلف المفسرون في تحديد «المغضوب عليهم» و«الضالين» في فاتحة الكتاب إلى خمسة آراء:

الرأي الأول: المغضوب عليهم هم اليهود، والضالون هم النصارى.

اعتمد أصحاب هذا الرأي على وصف القرآن الكريم اليهود بالمغضوب عليهم، والنصارى بالضالين، في مواطن أخرى منه، وقوى هذا الاستدلال ما ورد من أخبار مرفوعة إلى النبي ﷺ تبدو صريحة في أن المغضوب عليهم هم اليهود، والضالين هم النصارى.

ورأى بعض أصحاب هذا الرأي أنه لا وجه للاستدلال بالقرآن على تخصيص اليهود أو النصارى بإحدى الصفتين، أو قصر واحدة منهما على اليهود أو النصارى، لأن الوصفين واردان في القرآن لليهود والنصارى وغيرهما، واكتفوا بالاستدلال على ذلك بالأخبار الواردة عن رسول الله ﷺ.

الرأي الثاني: المغضوب عليهم هم كل من عرفوا الحق وحادوا عنه، والضالون هم كل من لم يهتدوا للحق أصلاً.

اعتبر أصحاب هذا الرأي أن الأخبار الواردة عن رسول الله ﷺ من قبيل التفسير بالمثال، أي توضيح الشيء بتقديم مثال عليه.

الرأي الثالث: «غير المغضوب عليهم» بالبدعة، و«لا الضالين» عن السنة.

الرأي الرابع: المغضوب عليهم هم من أخطأوا في الأعمال الظاهرة، والضالون هم من أخطأوا في الاعتقاد.

الرأي الخامس: المغضوب عليهم هم الكفار، والضالون هم المنافقون.

وفيما يلي بسط هذه الآراء ومناقشتها والترجيح بينها.

أ- المغضوب عليهم

يقول ابن جرير الطبري في الاستدلال على المقصودين في قول الله تعالى في

سورة الفاتحة ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (٧) (١) «فإن قال لنا قائل: فمن

هؤلاء المغضوب عليهم الذين أمرنا الله جل ثناؤه بمسألتهم ألا يجعلنا منهم؟ قيل: هم

الذين وصفهم الله جل ثناؤه في تنزيهه فقال ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مُثُوبَةً عِنْدَ

اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ

مَكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (٦٠) (٢)، فأعلمنا جل ذكره بمنه ما أحلّ بهم من

عقوبته بمعصيتهم إياه، ثم علمنا، منةً منه علينا، وجه السبيل إلى النجاة، من أن

يجل بنا مثل الذي حلّ بهم من المثلات، ورأفة منه بنا» (٣).

ثم يورد جملة من الآثار المروية بسنده إلى رسول الله ﷺ تؤكد اختياره هذا (أن

المغضوب عليهم هم اليهود)، بعد أن يقول: «فإن قال: وما الدليل على أنهم أولاء

الذين وصفهم الله وذكر نبأهم في تنزيهه على ما وصفت قيل...» (٤).

(١) سورة الفاتحة: من الآية ٧.

(٢) سورة المائدة: الآية ٦٠.

(٣) جامع البيان: ١/١٨٥.

(٤) جامع البيان: ١/١٨٥ - ١٨٩.

الدراسة

أولاً: لا شك أن المغضوب عليهم في آية المائة هم اليهود، بدليل قوله تعالى ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾^(١)، وقد جاء ذكر تحويل اليهود إلى قردة وخنازير في سورتي البقرة ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾^(٢)، والأعراف ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾^(٣)، لكن لا دليل في الآية على أنهم وحدهم هم المغضوب عليهم.

ثانياً: ثمة آيات أخرى ألحقت باليهود غضب الله، لكنها أيضاً لم تقصره عليهم (البقرة: ٩٠ وآل عمران: ١١٢ والأعراف: ١٥٢)، وقد استدل مفسرون آخرون بهذه الآيات على أن المقصودين بـ«المغضوب عليهم» في سورة الفاتحة هم اليهود، مثل ابن كثير والقرطبي والشنقيطي وغيرهم^(٤).

ثالثاً: في القرآن الكريم أقوام آخرون غير اليهود مغضوب عليهم، قال تعالى

- ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾^(٥).
- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ

(١) سورة المائة: من الآية ٦٠.

(٢) سورة البقرة: من الآية ٦٥.

(٣) سورة الأعراف: من الآية ١٦٦.

(٤) انظر تفاسيرهم للآية السابعة من سورة الفاتحة.

(٥) سورة النساء: الآية ٩٣.

الأدبار ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقُنَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ

فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ (١).

- ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ

بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ

عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ (٢).

- ﴿ وَيَعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ

ظَنَّ السَّوْءَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ

وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ (٣).

فنحن أمام فئات عدة في القرآن مغضوب عليها (القاتلون عمداً، والفارون من الزحف، والمنشرحة صدورهم بالكفر بعد الإيمان، والمنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات الظانون بالله ظن السوء)، وهذا ما أشار إليه الألويسي حين قال: «... الغضب والضلال وردا جميعاً في القرآن لجميع الكفار على العموم... ووردا لليهود والنصارى جميعاً على الخصوص» (٤).

رابعاً: الآية المستشهد بها من سورة المائدة وصفت اليهود بأنهم «أضل عن سواء السبيل»، فلم حُصُّوا بالغضب دون الضلال؟ ويحاول الطبري الإجابة على هذا

(١) سورة الأنفال: الآيتان ١٥ و١٦.

(٢) سورة النحل: الآية ١٠٦.

(٣) سورة الفتح: الآية ٦.

(٤) روح المعاني: ٩٦/١.

السؤال فيقول: «فإن قال قائل: أوليس ذلك أيضًا من صفة اليهود؟ قيل: بلى! فإن قال: كيف خصَّ النصارى بهذه الصفة، وخص اليهود بما وصفهم به من أنهم مغضوب عليهم؟ قيل: إن كلا الفريقين ضلال مغضوب عليهم، غير أن الله جل ثناؤه وسَم كل فريق منهم من صفته لعباده بما يعرفونه به إذا ذكره لهم، أو أخبرهم عنه، ولم يَسَم واحدًا من الفريقين إلا بما هو له صفة على حقيقته، وإن كان له من صفات الذم زيادات عليه»^(١).

ويقول الشنقيطي في الإجابة على السؤال نفسه: «... واليهود والنصارى وإن كانوا ضالين جميعًا مغضوبًا عليهم جميعًا، فإن الغضب إنما حُصَّ به اليهود، وإن شاركهم النصارى فيه، لأنهم يعرفون الحق وينكرونه، ويأتون الباطل عمدًا، فكان الغضب أخص صفاتهم، والنصارى جهلة لا يعرفون الحق، فكان الضلال أخص صفاتهم»^(٢)، غير أن هذا كله اجتهاد منهما لا يقوم عليه دليل.

ب: الضالون

بالطريقة نفسها التي استدل بها الطبري على معرفة المغضوب عليهم، استدل على معرفة الضالين فقال: «فإن قال لنا قائل: ومن هؤلاء الضالون الذين أمرنا الله بالاستعاذة بالله أن يسلك بنا سبيلهم، أو نضل ضلالهم؟ قيل: هم الذين وصفهم الله في تنزيله، فقال: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ

(١) جامع البيان: ١/١٩٧.

(٢) أضواء البيان: ١/٥٣.

السَّكِيلِ ﴿٧٧﴾^(١) ... فإن قال: وما برهانك على أنهم أولاء؟ قيل...^(٢)، ويورد جملة من الآثار بسنده إلى رسول الله ﷺ يؤكد بها رأيه.

الدراسة

أولاً: الضالون المشار إليهم في الآية المذكورة من سورة المائدة مختلف في كنههم بين المفسرين، فمنهم من قال إنهم اليهود^(٣)، ومنهم من قال إنهم رؤساء اليهود والنصارى وأسلافهم^(٤)، ومنهم من قال إنهم أئمة النصارى^(٥)، فالضالون في الآية من قبيل المبهم أيضاً، بدليل الخلاف، فكيف يستدل بمبهم على مبهم؟

ثانياً: العجيب في هذا الاستدلال الذي تبع فيه الطبري كثير من المفسرين^(٦) أن الطبري نفسه عند تفسير هذه الآية في سورة المائدة، قال إن المقصود بالذين ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل «اليهود»، يقول الطبري: «... ولا تتبعوا أيضاً في المسيح أهواء اليهود الذين قد ضلوا قبلكم عن سبيل الهدى في القول فيه، فتقولون فيه كما قالوا: هو لغير رشدة، وتبتهتوا أمه كما يبهتونها بالفرية، وهي

(١) سورة المائدة: الآية ٧٧

(٢) جامع البيان: ١٩٤/١ - ١٩٧.

(٣) جامع البيان: ٥٨٥/٨، ونقله القرطبي في تفسيره عن مجاهد والحسن: ١٠٣/٨.

(٤) القرطبي: ١٠٣/٨.

(٥) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الرمخشري (٥٤٦٧هـ - ٥٣٨هـ)، تحقيق

عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان ٢/٢٧٨.

(٦) منهم الرمخشري في الكشف: ١٢٣/١، وابن كثير: ١٤١/١، والسمرقندي، تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، نصر بن محمد بن أحمد بن

إبراهيم السمرقندي أبو الليث (ت ٣٧٥هـ)، تحقيق عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض والدكتور زكريا عبد الحميد، دار الكتب العلمية،

بيروت لبنان ١/٨٣)، وغيرهم.

صدّيقة، ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾^(١)، يقول تعالى ذكره: وأضلّ هؤلاء اليهود كثيراً من الناس، فحادوا بهم عن طريق الحقّ وحملوهم على الكفر بالله والتكذيب بالمسيح، ﴿وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾^(٢) يقول: وضلّ هؤلاء اليهود عن قصد الطريق، وركبوا غير محجة الحقّ، وإنما يعني تعالى ذكره بذلك كفرهم بالله وتكذيبهم رسله عيسى ومحمداً ﷺ، وذهابهم عن الإيمان وبُعدهم منه، وذلك كان ضلالهم الذي وصفهم الله به، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل^(٣)، ثم يورد ذكر من قال ذلك.

ثالثاً: من المفسرين من نقل إجماعاً على هذا الرأي^(٤)، أن المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى، مثل ابن أبي حاتم^(٥)، وقال السمرقندي: «وقد أجمع المفسرون المفسرون أن المغضوب عليهم أراد به اليهود، والضالين أراد به النصارى»^(٦)، وقال الماوردي: «وهو قول جميع المفسرين»^(٧)، والحق أن الخلاف قائم، يقول البغوي:

(١) سورة المائدة: من الآية ٧٧

(٢) سورة المائدة: من الآية ٧٧

(٣) جامع البيان: ٥٨٥/٨.

(٤) أورد مُجّد بن عبدالعزيز بن أحمد الخضري هذا الإجماع ضمن المسائل التي أجمع عليها المفسرون في كتابه «الإجماع في التفسير»، وهو رسالة ماجستير بإشراف علي بن سليمان العبيد، مقدمة لجامعة مُجّد بن سعود الإسلامية، دار الوطن للنشر، د.ت، ص ١٢٧، مع أنه نقل الخلاف في المسألة.

(٥) تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، عبدالرحمن بن مُجّد بن إدريس الرازي، ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق أسعد مُجّد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م، ٣١/١.

(٦) بحر العلوم: ٨٣/١.

(٧) النكت والعيون، تفسير الماوردي، أبي الحسن علي بن مُجّد بن حبيب الماوردي البصري (٣٦٤هـ - ٤٥٠هـ)، تحقيق السيد بن عبدالمقصود بن

«وقال سهل بن عبدالله: غير المغضوب عليهم بالبدعة، ولا الضالين عن السنة»^(١)، وإن كان هذا الرأي لا يقوم عليه دليل.

ويقول الفخر الرازي: «المشهور أن المغضوب عليهم هم اليهود... والضالين هم النصارى... وقيل: هذا ضعيف، لأن منكري الصانع والمشركين أخبث ديناً من اليهود والنصارى، فكان الاحتراز عن دينهم أولى، بل الأولى أن يحمل المغضوب عليهم على كل من أخطأ في الأعمال الظاهرة وهم الفساق، ويحمل الضالون على كل من أخطأ في الاعتقاد، لأن اللفظ عام والتقييد خلاف الأصل، ويحتمل أن يقال: المغضوب عليهم هم الكفار، والضالون هم المنافقون، وذلك لأنه تعالى بدأ بذكر المؤمنين والثناء عليهم في خمس آيات من أول البقرة، ثم أتبعه بذكر الكفار... ثم أتبعه بذكر المنافقين... فكذا ههنا بدأ بذكر المؤمنين... ثم أتبعه بذكر الكفار... ثم أتبعه بذكر المنافقين»^(٢).

وهذه لفظة طيبة من الفخر الرازي، أن تتبع سياق القرآن في الحديث عن طوائف الناس في سورة البقرة، ليستدل على المغضوب عليهم والضالين، لكن هذا الترتيب في سورة البقرة لا يُشترط قيامه كذلك في سورة الفاتحة، وهو نفسه ساق هذا الرأي بصيغة التمريض «ويحتمل أن يقال».

ولم يقدم لنا الفخر الرازي دليلاً واضحاً على اختياره، أن المغضوب عليهم كل من أخطأ في الأعمال الظاهرة والضالين كل من أخطأ في الاعتقاد، إلا قوله «لأن

عبدالرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت لبنان ٦١/١.

(١) تفسير البغوي، معالم التنزيل، للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (٥١٦هـ)، تحقيق محمد عبدالله النمر وعثمان جمعة وسليمان مسلم،

دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ٥٥/١.

(٢) تفسير الفخر الرازي: ٢٦٤/١ - ٢٦٥.

اللفظ عام والتقييد خلاف الأصل»، وهو حجة عليه لا له، لأنه قيّد المغضوب عليهم بكل من أخطأ في الأعمال الظاهرة، والضالين بكل من أخطأ في الاعتقاد، وكان الأولى، حسب رأيه، أن يبقى اللفظ على معناه اللغوي دون تقييد.

وقد تعقبه الألوسي في هذا فقال بعد أن أورد كلامه: «... فقد ضل ضلالاً بعيداً إن كان قد بلغه ما صح عن رسول الله ﷺ وإلا فقد تجاسر على تفسير كتاب الله تعالى مع الجهل بأحاديث رسول الله ﷺ، وما قاله في منكري الصانع لا يعتد به لأن من لا دين له لا يعتد بذكره، والعجب من الإمام الرازي أنه نقل هذا ولم يتعقبه بشيء سوى أنه زاد في الشطرنج بغلاً، فقال ويحتمل أن يقال المغضوب عليهم هم الكفار والضالون هم المنافقون، وعمله بما في أول البقرة من ذكر المؤمنين ثم الكفار ثم المنافقين، فقاس ما هنا على ما هناك، وهل بعد قول رسول الله ﷺ الصادق الأمين قول لقائل أو قياس لقائس؟ هيهات هيهات دون ذلك أهوال...»^(١).

ويقول ابن عاشور: «والمراد من المغضوب عليهم والضالين جنسا فرق الكفر، فالمغضوب عليهم جنس للفرق التي تعمدت ذلك واستخفت بالديانة عن عمد وعن تأويل بعيد جداً تحمل عليه غلبة الهوى، فهؤلاء سلكوا من الصراط الذي خط لهم مسالك غير مستقيمة فاستحقوا الغضب، لأنهم أخطأوا عن غير معذرة إذ ما حملهم على الخطأ إلا إثثار حظوظ الدنيا.

والضالون جنس للفرق الذين حرفوا الديانات الحق عن عمد وعن سوء فهم، وكلا الفريقين مذموم معاقب، لأن الخلق مأمورون باتباع سبيل الحق وبذل الجهد إلى إصابته، والحذر من مخالفة مقاصده، وإذ قد تقدم ذكر المغضوب عليهم وعلم أن الغضب عليهم لأنهم حادوا عن الصراط الذي هدوا إليه فحرموا أنفسهم من الوصول

(١) روح المعاني: ٩٦/١.

به إلى مرضاة الله تعالى، وأن الضالين قد ضلوا الصراط، فحصل شبه الاحتباك، وهو أن كلا الفريقين نال حظاً من الوصفين، إلا أن تعليق كل وصف على الفريق الذي علق عليه يرشد إلى أن الموصوفين بالضالين هم دون المغضوب عليهم في الضلال، فالمراد المغضوب عليهم غضباً شديداً لأن ضلالهم شنيع...»^(١).

رابعاً: ما قيل عن أن اليهود لم يُختصوا وحدهم بالغضب عليهم في القرآن يقال أيضاً عن النصارى، فلم يُختصوا وحدهم بالضلال، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ نُقَبِّلَ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾^(٤)، وغير ذلك^(٥).

خامساً: من المفسرين من فطن إلى أنه لا وجه للاستدلال على المبهم في هذا الموطن بالقرآن الكريم، وإن كان قد أيد الرأي نفسه، أن المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى، ولكن بالاستدلال بالسنة، يقول الألوسي: «واستدل بعضهم على أن المغضوب عليهم هم اليهود بقوله تعالى ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ

(١) التحرير والتنوير: ١/١٩٩.

(٢) سورة النساء: الآية ١٦٧.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٩٠.

(٤) سورة الواقعة: الآية ٥١.

(٥) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مُجد فؤاد عبدالباقي، دار الحديث، القاهرة (مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية) مادة ضلل،

أَلْقَرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ ﴿١﴾، وعلى أن الضالين النصارى بقوله تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا﴾ ﴿٢﴾، والأولى الاستدلال بالحديث لأن الغضب والضلال وردا جميعاً في القرآن لجميع الكفار على العموم... ووردا لليهود والنصارى جميعاً على الخصوص كما ذكره المستدل» ﴿٣﴾.

سادساً: حمل بعض المفسرين ما ورد من أخبار يدل ظاهرها على أن اليهود هم المغضوب عليهم، والضالين هم النصارى ﴿٤﴾ على أن ذلك من قبيل تفسير العام ببعض أفرادها، يقول الشيخ محمد رشيد رضا صاحب تفسير المنار، بعد أن يورد ما يحاول أن يضعفها به: «... إن ما ذكره المحققون من الوجوه الأخرى لا يعد مخالفة للمأثور الذي هو من قبيل تفسير العام ببعض أفرادها، من قبيل التمثيل لا التخصيص، ولا الحصر بالأولى» ﴿٥﴾.

ويقول: «ورد في الحديث المرفوع تفسير المغضوب عليهم باليهود، والضالين بالنصارى، رواه أحمد والترمذي وحسنه ابن حبان وصححه غيرهم، ونقلنا عن شيخنا الأستاذ الإمام عزوه إلى بعضهم، أي بعض المفسرين، وهو يريد أن بعض المفسرين اختار أن هذا هو المعنى المراد، وهو لم يكن يجهل أن هذا روي مرفوعاً، ولكنه كان

(١) سورة المائدة: من الآية ٦٠.

(٢) سورة المائدة: من الآية ٧٧.

(٣) روح المعاني: ٩٦/١.

(٤) ما روى الإمام أحمد في مسنده: ٣٧٨/٤، والترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة فاتحة الكتاب (٢٩٥٣ و ٢٩٥٤)، ٧١-٦٩/٥،

وابن حبان في صحيحه (٧٢٠٦)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ١٦/١٨٣ و ١٨٤)، وصححه

الشيخ شاكر (تفسير الطبري بتحقيق شاكر، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية، ١٨٥/١ و ١٩٣).

(٥) تفسير المنار: ٩٨/١.

يعلم- مع هذا- أن أكثر المفسرين فسروا اللفظين بما يدلان عليه لغة، حتى بعض أهل الحديث منهم، وكأنهم لم يروا أن الحديث صحيح، فقد قال البغوي الملقب بمحبي السنة في تفسيره «معالم التنزيل» بعد تفسيرهما بمدلولهما اللغوي، قيل: المغضوب عليهم هم اليهود، والضالون هم النصارى، لأن الله تعالى حكم على اليهود بالغضب... وحكم على النصارى بالضلال.. فعبر عن هذا القول بقيل الدال على ضعفه عنده، ولم يستدل عليه بالحديث»^(١).

ثم يقول عن ابن كثير: «... ثم ذكر الحديث ورواياته، وهو عند أحمد والترمذي، وكذا ابن حبان من طريق سماك بن حرب عن عدي بن حاتم، قال الترمذي، حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديثه، وسماك ضعفه جماعة ووثقه آخرون، واتفقوا على أنه تغير في آخر عمره بل خرف، فما رواه في هذه الحال فلا جدال في رده بالاتفاق، وأخرجه بن مردويه عن أبي ذر أيضاً بسند، قال الحافظ في الفتح: إنه حسن»^(٢).

ولذا يرى الشيخ رضا أن «المغضوب عليهم هم الذين خرجوا عن الحق بعد علمهم به، والذين بلغهم شرع الله ودينه فرفضوه ولم يتقبلوه، انصرافاً عن الدليل، ورضاء بما ورثوه من القيل، ووقوفاً عند التقليد، وعكوفاً على هوى غير رشيد... وأن الضالين هم الذين لم يعرفوا الحق ألبتة، أو لم يعرفوه على الوجه الصحيح الذي يقرن به العمل... وقرن المعطوف في قوله ولا الضالين بـ«لا» لما في «غير» من معنى النفي، أي وغير الضالين، ففيه تأكيد للنفي، وهو يدل على أن الطوائف ثلاث: المنعم عليهم، والمغضوب عليهم، والضالون.

(١) تفسير المنار: ٩٧/١.

(٢) تفسير المنار: ٩٧/١ - ٩٨.

ولا شك أن المغضوب عليهم ضالون أيضاً، لأنهم بنبذهم الحق وراء ظهورهم قد استدبروا الغاية واستقبلوا غير وجهتها، فلا يصلون منها إلى المطلوب، ولا يهتدون فيها إلى مرغوب، ولكن فرقاً بين من عرف الحق فأعرض عنه على علم، وبين من لم يظهر له الحق فهو تائه بين الطرق، لا يهتدي إلى الجادة الموصلة منها، وهم من لم تبلغهم الرسالة، أو بلغتهم على وجه لم يتبين لهم فيه الحق، فهؤلاء هم أحق باسم الضالين، فإن الضال حقيقة هو التائه الواقع في عماية لا يهتدي معها إلى المطلوب، والعماية في الدين هي الشبهات التي تلبس الحق بالباطل وتشبه الصواب بالخطأ»^(١).

ثم ينقل عن «الأستاذ الإمام» (مُحَمَّد عبده) أن الضالين على أقسام أربعة: «القسم الأول من لم تبلغهم الدعوة إلى الرسالة، أو بلغتهم على وجه لا يسوق إلى النظر، والقسم الثاني من بلغته الدعوة على وجه يبعث على النظر، فساق همته إليه، واستفرغ جهده فيه، ولكن لم يوفق إلى الإيمان بما دعي إليه، والقسم الثالث: من بلغتهم الرسالة وصدقوا بها، بدون نظر في أدلتها ولا وقوف على أصولها، فاتبعوا أهواءهم في فهم ما جاءت به من أصول العقائد، وهؤلاء هم المبتدعة في كل دين، ومنهم المبتدعون في دين الإسلام، والقسم الرابع: ضلال في الأعمال، وتحريف للأحكام عما وضعت له، كالخطأ في فهم معنى الصلاة والصيام وجميع العبادات...»^(٢).

وذهب الطاهر بن عاشور مذهب الشيخ رضا أيضاً في الأخبار التي يدل ظاهرها على أن اليهود هم المغضوب عليهم والضالون هم النصارى، يقول: «... فاليهود مثل للفريق الأول، والنصارى من جملة الفريق الثاني، كما ورد به الحديث عن

(١) تفسير المنار: ٦٨/١-٦٩.

(٢) تفسير المنار: ٦٩/١-٧١ بتصرف.

النبي ﷺ في جامع الترمذي وحسنه، وما ورد في الأثر من تفسير المغضوب عليهم باليهود والضالين بالنصارى، فهو من قبيل التمثيل بأشهر الفرق التي حق عليها هذان الوصفان، فقد كان العرب يعرفون اليهود في خيبر والنضير وبعض سكان المدينة وفي عرب اليمن، وكانوا يعرفون نصارى العرب مثل تغلب وكلب وبعض قضاة، وكل أولئك بدلوا وغيروا وتنكبوا عن الصراط المستقيم الذي أرشدهم الله إليه وتفرقوا في بنيات الطرق على تفاوت في ذلك.

فاليهود توردوا على أنبيائهم وأحبارهم غير مرة وبدلوا الشريعة عمداً فلزمهم وصف المغضوب عليهم وعلق بهم في آيات كثيرة، والنصارى ضلوا بعد الحوارين وأساءوا فهم معنى التقديس في عيسى عليه السلام فزعموه ابن الله على الحقيقة...»^(١).

الترجيح

نخلص من هذا كله إلى أنه لا وجه للاستدلال بالآيات التي استدلت بها أكثر المفسرين على أن المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى، وتجب مراعاة المواطن الأخرى في القرآن الكريم التي وصفت أقواماً آخرين بأنهم مغضوب عليهم أو ضالون، لمعرفة حقيقة المغضوب عليهم والضالين في سورة الفاتحة، فيما يمكن أن نطلق عليه «مراجعة القاموس القرآني»، أو «الاستخدام القرآني للفظ».

ويأتي هذا تأكيداً لما أشرنا إليه سابقاً من احتمالية الإخفاق في التوصل للصواب من خلال تفسير القرآن بالقرآن، لا بسبب اعتماد المفسر على القرآن في التفسير، ولا لاضطراب أو تناقض في القرآن، معاذ الله، ولكن لخطأ في الاستدلال، أو تقصير في دراسة الاستخدام القرآني للألفاظ والجمل والأساليب، أو النظر إلى مواطن قرآنية دون غيرها مما قد تكون ذات صلة بالموضوع، أو لأمر أخرى تجب

(١) تفسير التحرير والتنوير: ١/١٩٩ و ٢٠٠.

مراعاتها، ربما تكون خاصة بكل موطن على حدة، قد تغيب عن المستدل.. على أن الحكم بالإخفاق أو التوفيق يبقى رأياً للبحث، يحتمل الخطأ والصواب.

أما ما ورد في هذا الشأن من أخبار يدل ظاهرها على أن اليهود هم المغضوب عليهم والضالون هم النصارى، فيمكن أن يُعد «من قبيل تفسير العام ببعض أفراده، من قبيل التمثيل لا التخصيص، ولا الحصر بالأولى»^(١).

والتقسيم الثلاثي لأحوال الناس مع الحق (منعم عليهم عرفوا الحق واتخذوه سبيلاً، ومغضوب عليهم عرفوا الحق وحادوا عنه، وضالون لم يهتدوا للحق أصلاً) منطقي وأقرب إلى الصواب، وجامع لليهود والنصارى وغيرهم، والمختار في الكشف عن حقيقة هذا المبهم في سورة الفاتحة، إذ لا وجه لقصر صفة من الصفتين على اليهود أو النصارى دون غيرهم، كما مر.

ولعل هذا ما صرح به البيضاوي قائلاً: «ويتجه أن يقال المغضوب عليهم العصاة والضالين الجاهلون بالله، لأن المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به، وكان المقابل له من اختل إحدى قوتيه العاقلة والعاملة، والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى في القاتل عمداً وغضب الله عليه والمخل بالعقل جاهل ضال لقوله ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾^(٢) فماذا بعد الحق إلا الضلال»^(٣).

وهو كذلك ما نقله صاحب كتاب تاريخ نجد عن الإمام محمد بن عبد الوهاب:

(١) تفسير المنار: ٩٨/١.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣١/١.

(٣) سورة يونس: من الآية ٣٢.

«وأما قوله ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾^(١)، فالمغضوب عليهم هم العلماء الذين لم يعملوا بعلمهم، والضالون العاملون بلا علم، فالأول صفة اليهود، والثاني صفة النصارى، وكثير من الناس إذا رأى في التفسير أن اليهود مغضوب عليهم وأن النصارى ضالون ظن الجاهل أن ذلك مخصوص بهم وهو يقرأ أن ربه فارض عليه أن يدعو بهذا الدعاء، ويتعوذ من طريق أهل هذه الصفات، فياسبحان الله كيف يعلمه الله، ويختار له، ويفرض عليه أن يدعو به دائماً مع أنه لا حذر عليه منه، ولا يتصور أن فعله هذا هو ظن السوء بالله»^(٢).. والله تعالى أعلم.

(١) سورة الفاتحة: من الآية ٧.

(٢) تاريخ نجد، للشيخ الإمام حسين بن غنام، حرره وحققه الدكتور ناصر الدين الأسد، دار الشروق، الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

المطلب الثالث: الاستدلال على الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه

١- القيمة العملية أو العلمية لتحديد هذه الكلمات

هذه كلمات قالها أبو الأنبياء آدم فتاب الله عليه بها، فتحديدها فيه نفع للمؤمن، عسى أن ينجي ربه بها فيتوب عليه.

٢- آراء المفسرين فيها

اختلف المفسرون في الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه في قوله تعالى ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ النَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (٣٧) (١)، إلى أقوال كثيرة (٢)، لا تخرج عما يلي:

أ- قوله تعالى ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٢٣) (٣).

ب- أي رب! ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلى، قال: أي رب، ألم تنفخ فيّ من روحك؟ قال: بلى، قال: أي رب، ألم تسكني جنتك؟ قال: بلى. قال: أي رب، ألم تسبق رحمتك غضبك؟ قال: بلى. قال: أرأيت إن أنا تبت وأصلحت، أراجعني أنت إلى الجنة؟ قال: نعم. وفي رواية: رب، ألم تخلقني بيدك؟ قيل له: بلى. قال: ونفخت فيّ من روحك؟ قيل له: بلى. قال: وسبقت رحمتك غضبك؟ قيل له: بلى. قال: رب هل كنت كتبت هذا عليّ؟ قيل له: نعم. قال: رب، إن تبت وأصلحت، هل أنت

(١) سورة البقرة: الآية ٣٧.

(٢) أوردها السيوطي في كتابه «الدر المنثور في التفسير بالمأثور»، جلال الدين السيوطي (٨٤٩هـ-٩١١هـ)، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالحسن

التركي، بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٣م، ٣١٤/١، وما بعدها.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٢٣.

راجعني إلى الجنة؟ قيل له: نعم^(١).

ج- رب أرأيت إن أنا تبت وأصلحت؟ فقال له ربه: إني راجعك إلى الجنة. وفي رواية: يا رب، أرأيت إن أنا تبت وأصلحت؟ قال: إني إذا راجعك إلى الجنة. وفي رواية: يا رب، أرأيت إن تبت وأصلحت؟ فقال الله: إذا أرجعك إلى الجنة. فهي من الكلمات. ومن الكلمات أيضاً: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا

لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢)^(٣).

د- يا رب، خطيئي التي أخطأتها، شيء كتبت علي قبل أن تخلقني، أو شيء ابتدعته من قبل نفسي؟ قال: بلى، شيء كتبت عليك قبل أن أخلقك. قال: فكما كتبت علي فاغفره لي^(٤).

هـ- اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك، تب علي إنك أنت التواب الرحيم^(٥).

(١) تفسير الطبري ٥٨٠/١، وتفسير ابن أبي حاتم، ٩٠/١ (٤٠٧)، والدر المنثور ٣١٤/١، و«فتح القدير.. الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير»، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١٢٥٠هـ) اعتنى به وراجع أصوله يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت- لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م، ٥٠/١، وغيرهم. والحديث أخرجه الحاكم (أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، ٣٢١-٤٠٥هـ) في المستدرک على الصحيحين، عن ابن عباس، وقال: صحيح الإسناد. مطبوعات مجلس دائرة المعارف، حيدر آباد، الدكن، الطبعة الأولى ١٣٤٠هـ، ٥٤٥/٢.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٢٣.

(٣) تفسير الطبري: ٥٨٢/١.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم: ٩١/١ (٤٠٩)، وأورده الإمام عثمان بن سعيد الدارمي (ت ٢٨٠هـ)، في «الرد على الجهمية»، قدم له وخرّج أحاديثه

وعلق عليها بدر البدر، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥، ص ١٣٢ (٢٧٧).

(٥) تفسير الطبري: ٥٨٤/١، والدر المنثور: ٣١٩/١، وأخرجه البيهقي (الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي) في «شعب الإيمان» (٧١٧٥)،

و- اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، ربّ إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين، اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، ربّي إني ظلمت نفسي فارحمي إنك خير الراحمين. اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، ربّ إني ظلمت نفسي فتاب عليّ إنك أنت التواب الرحيم^(١).

ز- سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك، لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

٣- الدراسة

يقول ابن جرير الطبري بعد أن يورد مرويات متعددة لنص هذه الكلمات: «وهذه الأقوال التي حكيناها عن حكيناها عنه، وإن كانت مختلفة الألفاظ، فإن معانيها متفقة في أن الله جل ثناؤه لقي آدمَ كلماتٍ، فتلقاهنَّ آدمُ من ربه فقبلهن وعمل بهن، وتاب بقبيله إياهنَّ وعمله بهنَّ إلى الله من خطيئته، معترفًا بذنبه، متنصلاً إلى ربه من خطيئته، نادماً على ما سلف منه من خلاف أمره، فتاب الله عليه بقبوله الكلمات التي تلقاهن منه، وندمه على سالف الذنب منه.

والذي يدل عليه كتابُ الله أن الكلمات التي تلقاهنَّ آدمُ من ربه هن الكلمات

التي أخبر الله عنه أنه قالها متنصلاً بقبيلها إلى ربه، معترفًا بذنبه، وهو قوله ﴿قَالَ رَبَّنَا

تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسويوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م، ٤٣٥/٥، وابن عساکر (أبوالقاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله الشافعي، المعروف بابن عساکر الدمشقي، ٤٩٩-٥٧١هـ) في كتابه «تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واردتها وأهلها»، دراسة وتحقيق محب الدين أبي سعيد عمر العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ=١٩٩٥م، ٤٣٥/٧.

(١) تفسير الطبري: ٥٨٥/١، وتفسير ابن أبي حاتم: ٩١/١ (٤١١).

ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٢٣﴾^(١)»^(٢).

والعجيب أن الطبري بعد أن يستدل على الكلمات التي تلقاها آدم بالآية السابقة يقول: «وليس ما قاله من خالف قولنا هذا- من الأقوال التي حكيناها- بمدفوع قوله، ولكنه قولٌ لا شاهد عليه من حجة يجب التسليم لها، فيجوز لنا إضافته إلى آدم، وأنه مما تلقاه من ربه عند إنابته إليه من ذنبه، وهذا الخبر الذي أخبر الله عن آدم- من قبله الذي لقاه إياه فقال تائباً إليه من خطيئته- تعريف منه جل ذكره جميع المخاطبين بكتابه، كيفية التوبة إليه من الذنوب»^(٣)، فما دام «الذي يدل عليه كتابُ الله أن الكلمات التي تلقاهنَّ آدمٌ من ربه هن الكلمات التي أخبر الله عنه أنه قالها متنصلاً بقليلها إلى ربه، معترفاً بذنبه، وهو قوله ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾^(٤)»، وباقي الأقوال «لا شاهد عليه من حجة يجب التسليم لها»، فعلى أي أساس يكون القول المخالف للآية غير مدفوع؟.

٤- الترجيح

الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه هي قوله تعالى في سورة الأعراف ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٣.

(٢) تفسير الطبري: ٥٨٦/١.

(٣) تفسير الطبري: ٥٨٦/١.

(٤) سورة الأعراف: الآية ٢٣.

أَلْخَسِرِينَ ﴿٢٣﴾^(١)، والله تعالى أعلم.

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٣.

المبحث الثاني: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بالسنة النبوية

المطلب الأول: الاستدلال على الصلاة الوسطى

المطلب الثاني: الاستدلال على الباقيات الصالحات

المطلب الثالث: الاستدلال على الكوثر

الاستدلال على مبهم القرآن الكريم بالسنة النبوية

يقول الله تعالى، مخاطبًا نبيه ﷺ ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ

إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٤٤) (١) وغير خفي منزلة السنة المطهرة من الكتاب

العزیز، فالنبي ﷺ أفهم الناس للكتاب الذي أنزل عليه، وأدراهم به، بل إن مهمة من

مهامه الدعوية بلاغ القرآن وبيانه، وقد قام ﷺ بمهامه جميعًا خير قيام، وثبت عنه ﷺ

كثير من المرويات التفسيرية للقرآن الكريم، فرأينا أبوابًا وكتبًا خاصة بالتفسير ومروياته

في الصحاح وكتب السنة الأخرى، وتفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله ﷺ

والصحابية والتابعين، لعبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، ابن أبي حاتم (٣٢٧هـ)،

كما جمع خالد عبدالعزيز الباتلي في رسالته للدكتوراه التي قدمها لقسم السنة

وعلموها، في كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، هذه

المرويات، بعنوان «التفسير النبوي.. مقدمة تأصيلية مع دراسة حديثية لأحاديث

التفسير النبوي الصريح» (٢) ... وغير ذلك، فكان من الطبيعي، والأمر هكذا، أن

تكون السنة النبوية في المرتبة الثانية، بعد القرآن الكريم، في التفسير، ومن ثم في

الاستدلال على المبهم.

غير أن هناك أمورًا لا بد أن تؤخذ بعين الاعتبار، فليس معنى وجود النص

وجوب الاستدلال به، دون النظر إلى شروحه وتاريخه وملابساته الأخرى، من نسخ

وتخصيص وغير ذلك، كما سيأتي معنا، فوجود النص يمثل بداية الدراسة، وليس

نهايتها.

(١) سورة النحل: من الآية ٤٤.

(٢) التفسير النبوي.. مقدمة تأصيلية مع دراسة حديثية لأحاديث التفسير النبوي الصريح، خالد عبدالعزيز الباتلي، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع،

الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ = ٢٠١١م، رسالة دكتوراه نوقشت في شهر محرم ١٤٢٩هـ.

المطلب الأول: الاستدلال على الصلاة الوسطى

١- القيمة العملية أو العلمية لتحديد الصلاة الوسطى

يقول الله تعالى ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾

(١) ﴿٢٣٨﴾، فهو سبحانه يأمرنا بالمحافظة على الصلوات عامة، ثم يخص بالذكر منها واحدة لم يسمها، لكنه يذكر صفة لها «الوسطى»، ولا شك أن في ذلك خصوصية عظيمة، ومنزلة سامية، ومكانة جلييلة لها، وهو ما يدفعنا لتحديدتها وإنزالها منزلتها.

٢- اختلاف المفسرين في تحديدها

اختلف المفسرون، وكذلك الفقهاء، اختلافًا كبيرًا في تحديد الصلاة الوسطى، ما دفع الإمام الحافظ عبدالمؤمن بن خلف بن أبي الحسن، المعروف بالدمياطي^(٢)، إلى

(١) سورة البقرة: الآية ٢٣٨.

(٢) هو الإمام العلامة الحافظ شرف الدين عبدالمؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف بن الخضر بن موسى، الدمياطي الشافعي، ولد بدمياط من أعمال القاهرة عام ٦١٣هـ، ارتحل إلى القاهرة والإسكندرية وحلب وحماة وحران لسماح الحديث، وقد برع فيه، وجمع معجمًا (في مجلدين) لأساتذته وشيوخه الذين أخذ عنهم، ضمَّ أكثر من ألف وثلاثمائة شيخ، من مصر والشام والحجاز والعراق، ولازم الحافظ عبدالعظيم المنذري سنين، ومن أبرز تلاميذه المفسر أبوحيان الأندلسي، وغيره كثير، ومن مؤلفاته «المتجر الرابع في ثواب العمل الصالح»، و«الأعيان الجياد في شيوخ بغداد»، و«المجالس البغدادية»... وغيرها، توفي يوم الأحد العاشر من ذي القعدة عام ٧٠٥هـ، ودفن بمقابر باب النصر بالقاهرة. (حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، الحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى ١٩٦٧م = ١٣٨٧هـ، ٣٥٧/١، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تأليف شيخ الإسلام حافظ العصر شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد الشهرير بابن حجر العسقلاني توفي عام ٨٥٢هـ، دار الجليل، بيروت، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م، ٤١٧/٢ و٤١٨، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تأليف جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ٨١٣-٨٧٤هـ، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م، ١٧١/٨، والبداية والنهاية، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر دمشقي ٧٠١-٧٧٤هـ، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات

تصنيف كتاب خاص بهذه المسألة^(١) عنوانه بـ«كشف المغطى في تبيين الصلاة الوسطى»، جمع فيه جل الآراء فيها، وانتصر لما رآه راجحاً منها، وناقش غيره من الآراء، كما جمع الشوكاني في نيل الأوطار^(٢) سبعة عشر رأياً، وأوصلها ابن حجر في الفتح إلى عشرين^(٣)، منها أنها العصر أو الظهر أو الفجر أو المغرب أو العشاء أو واحدة منها مبهمة أو كلها جميعاً أو الجمعة أو الفجر والعصر معاً، أو على التزديد بينهما، أو العشاء والفجر معاً أو الوتر أو صلاة الخوف أو عيد الأضحى أو عيد الفطر أو صلاة الضحى أو صلاة الجماعة أو الظهر في الأيام والجمعة يوم الجمعة أو صلاة الليل، ومنهم من توقف عن الجزم بواحد من الآراء، وفيما يلي مناقشة ما استند إلى أحاديث صحيحة في النص على تحديد الصلاة الوسطى.

أ- الصلاة الوسطى.. صلاة العصر

وهو رأي كثير من المفسرين والمحدثين والفقهاء، أو رأي الجمهور - كما يقول الشوكاني^(٤) - وقد استدل أصحاب هذا الرأي بأحاديث صحيحة صريحة في النص

العربية والإسلامية بدار هجر، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ=١٩٩٨م، ٦٠/١٨، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الإمام شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحلي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي (١٠٣٢-١٠٨٩هـ)، أشرف على تحقيقه وإخراج أحاديثه عبدالقادر الأرنؤوط، حققه وعلق عليه محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ=١٩٩٢م، ٢٣/٨.

(١) «كشف المغطى في تبيين الصلاة الوسطى»، للإمام الحافظ عبدالمؤمن بن خلف بن أبي الحسن، المعروف بالدمياطي، دراسة وتحقيق مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ=١٩٨٩.

(٢) نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق محمد صبحي بن حسن حلاق، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى شوال ١٤٢٧هـ، ٨٩/٣ وما بعدها.

(٣) فتح الباري: ١٩٥/٨ وما بعدها.

(٤) فتح القدير: ١٦٤.

على أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، منها:

١- ما ثبت عند البخاري ومسلم وأهل السنن وغيرهم من حديث علي بن أبي طالب، قال: كنا نراها الفجر أو الصبح حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم الأحزاب: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله قلوبهم وأجوافهم، أو بيوتهم، نارًا»^(١).

٢- أخرج مسلم^(٢) وأحمد^(٣) وابن ماجة^(٤) من حديث ابن مسعود مثله.

٣- روى الترمذي عن عبدالله بن مسعود وسمرة بن جندب أن النبي ﷺ قال:

(١) البخاري في المغازي برقم ٤١١١، ومسلم في المساجد برقم ٧٦٢، ص ٢٠٢-٢٠٥، وأبوداود في الصلاة برقم ٤٠٩ (كتاب السنن، سنن أبي داود، الإمام أبوداود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني ٢٠٢-٢٧٥هـ، تحقيق مُجَدَّ عوامه، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة الريان، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م)، والترمذي في التفسير برقم ٢٩٨٤، وقال حسن صحيح، والنسائي في التفسير برقم ٦٥ (تفسير النسائي، الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي ٣٠٣هـ، صاحب السنن، تحقيق مركز السنة للبحث العلمي، صبري بن عبدالحالق الشافعي - سيد بن عباس، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ=١٩٩٠م)، وابن ماجة في الصلاة برقم ٦٨٤ (سنن الحافظ أبي عبدالله مُجَدَّ بن يزيد القزويني ابن ماجة ٢٠٩-٢٧٣هـ، تحقيق بشار عواد معروف، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ=١٩٩٨م)، وابن خزيمة في الصلاة برقم ١٣٣٧ (صحيح ابن خزيمة، الإمام أبوبكر مُجَدَّ بن إسحاق بن خزيمة السلمى النيسابوري ٢٢٣-٣١١هـ، تحقيق الدكتور مُجَدَّ مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م)، والإمام أحمد: ٨١/١، وعبدالرزاق في مصنفه برقم ٣١٩٢ (المصنف، الحافظ أبوبكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني ١٢٦-٢١١هـ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، من منشورات المجلس العلمي، د.ت)، والبيهقي برقم ٢١٦٢ (السنن الكبرى، أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ٤٥٨هـ، تحقيق مُجَدَّ عبدالقادر عطا، منشورات مُجَدَّ علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ٢٠٠٣هـ=١٤٢٤م)، وابن جرير الطبري: ٤/٣٢٥، واللفظ لابن أبي حاتم: ٤٤٨/١.

(٢) صحيح مسلم: برقم ٦٢٨.

(٣) المسند: ٤٠٤/١.

(٤) سنن ابن ماجة: برقم ٦٨٦.

«صلاة الوسطى صلاة العصر»^(١)، و«الصلاة الوسطى صلاة العصر»^(٢).

ب- الصلاة الوسطى.. صلاة الظهر

١- عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر بالهاجرة ولم يكن

يصلي صلاة أشد على أصحابه منها، فنزلت ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ

وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَىٰ﴾^(٣) وقال: إن قبلها صلاتين وبعدها صلاتين»^(٤).

٢- وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: هي الظهر، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي الظهر بالهجير ولا يكون وراءه إلا الصف والصفان والناس في قائلتهم وفي تجارتهم فأنزل الله

تعالى ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَىٰ﴾^(٥).

٣- الدراسة

ثمّ نصوص غير ما أوردنا كثيرة في النص على أنها صلاة العصر، لكن هناك أموراً لا بد من تأملها في هذه النصوص:

١- زيادة «صلاة العصر» في الحديث، ليست موجودة في كل الروايات، فهي عند

(١) جامع الترمذي: رقم ١٨١، وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٢) جامع الترمذي: رقم ١٨٢، وقال: حديث سمرة في الصلاة الوسطى حديث حسن.

(٣) سورة البقرة: من الآية ٢٣٨.

(٤) رواه أحمد في المسند: ١٨٣/٥، وأبوداود برقم ٤١١ والبغوي في شرح السنة (شرح السنة، الإمام الحسين بن مسعود البغوي، ٤٣٦-٤٥١٦هـ،

تحقيق شعيب الأرنؤوط، مجّد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م، ٢/٢٣٦، برقم ٣٩٨)، وغيرهم.

(٥) سورة البقرة: من الآية ٢٣٨.

(٦) رواه أحمد: ٢٠٦/٥، والنسائي (السنن الكبرى، الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي (٣٠٣هـ)، قدم له الدكتور عبدالله بن

عبدالمحسن التركي، أشرف عليه شعيب الأرنؤوط، حققه وخرج أحاديثه حسن عبدالمعتم شليبي، بمساعدة مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة،

مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ=٢٠٠١م، برقم ٣٥٤)، وابن ماجه برقم ٧٩٥.

مسلم وأبي داود، وعند الترمذي من حديث سمرة بن جندب، أن النبي ﷺ قال: «الصلاة الوسطى صلاة العصر»^(١)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»، وعند النسائي في التفسير من كلام الإمام علي عليه السلام، وعند ابن خزيمة وعند الإمام أحمد وعند ابن أبي حاتم وابن جرير وغيرهم، إلا أن من أورد الحديث للاستدلال على أنها صلاة العصر، من دون هذه الزيادة، اعتمد على نصوص أخرى في أن الصلاة التي فاتت النبي ﷺ يوم الخندق هي صلاة العصر.

٢- اختلف في الصلاة التي فاتت النبي ﷺ يوم الخندق، يقول الشوكاني: «قد اختلف العلماء في ذلك، فمنهم من رجح ما في الصحيحين، كابن العربي، ومنهم من جمع بين الأحاديث في ذلك، بأن الخندق كانت وقعت أياماً فكان ذلك كله في أوقات مختلفة في تلك الأيام، وهذا أولى من الأول»^(٢).

وعلل الشوكاني اختياره فقال: «لأن حديث أبي سعيد^(٣) رواه الطحاوي عن المزني عن الشافعي عن ابن أبي فديك عن ابن أبي ذئب عن المقبري عن عبدالرحمن ابن أبي سعيد الخدري عن أبيه، وهذا إسناد صحيح جليل، وأيضاً لا يصار إلى الترجيح مع إمكان الجمع، على أن الزيادة مقبولة بالإجماع إذا وقعت غير منافية للمزيد»^(٤).

٣- لعل الرواية الواردة عن الإمام علي عليه السلام أن الصحابة كانوا يرونها الفجر، حتى

(١) جامع الترمذي: ٢٩٨٣.

(٢) نيل الأوطار: ١٠٤/٣.

(٣) يشير إلى الحديث الذي أخرجه أحمد: ٢٥/٣، والنسائي برقم ٦١١، وابن خزيمة برقم ٩٩٦، وابن حبان برقم ٢٨٩٠، من حديث أبي سعيد قال: «شغل المشركون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أربع صلوات يوم الخندق، حتى ذهب من الليل ما شاء الله، فأمر بلالاً فأذن، ثم

أقام فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر، ثم أقام فصلى المغرب، ثم أقام فصلى العشاء».

(٤) نيل الأوطار: ١٠٤/٣.

كان يوم الخندق، تفسر لنا قول كثير منهم- عليهم رضوان الله جميعًا- إن الصلاة الوسطى صلاة الفجر، فيحتمل أن يكون ما نقل عنهم من آثار في هذا كان مما قالوه في فترة ما قبل الخندق، أو لم يصلهم ما قاله ﷺ يوم الخندق.

٤- روى مسلم^(١) وأحمد^(٢) عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «نزلت هذه الآية {حافظوا على الصلوات وصلاة العصر}، فقرأناها ما شاء الله، ثم نسخها الله تعالى فنزلت ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾^(٣)، فقال رجل: فهي إذا صلاة العصر، فقال: قد أخبرتك كيف نزلت وكيف نسخها الله، والله أعلم».

وردُّ البراء بن عازب على السائل فيه دلالة على ترجيحه السكوت عن تعيينها، كما أن النسخ هذا لا بد أن تكون له دلالة، فإما أن يكون اللفظ الناسخ معنى اللفظ المنسوخ نفسه أو مساويًا له، وفي ذلك يقول الشوكاني عن هذا الحديث: «وفيه متمسك لمن قال إن الصلاة الوسطى هي العصر بقرينة اللفظ المنسوخ، وإن لم يكن صريحًا في المطلوب، لأنه لا يجب أن يكون معنى اللفظ الناسخ معنى اللفظ المنسوخ»^(٤) أو يكون الناسخ غير المنسوخ حتى يكون للنسخ فائدة، ويرد الشوكاني على هذا فيقول: «وربما تمسك به من يرى أنها غير العصر قائلًا لو كان المراد باللفظ الناسخ معنى اللفظ المنسوخ لم يكن للنسخ فائدة، فالعدول إلى لفظ الوسطى ليس إلا لقصد الإبهام، ويجاب عنه بأنه أرشد إلى أن المراد بالناسخ المبهم نفس المنسوخ المعين

(١) صحيح مسلم برقم ٦٣٠.

(٢) المسند: ٣٠١/٤.

(٣) سورة البقرة: من الآية ٢٣٨.

(٤) نيل الأوطار: ١٠٥/٣.

ما في الباب من الأدلة الصحيحة»^(١)، والسؤال المطروح بقوة: لماذا لا يحتمل أن تكون «هذه الأدلة الصحيحة» مردها إلى الآية قبل النسخ ومعتمدا عليها؟.. قد يكون ذلك.. والله أعلم.

٥- استدل من رأى أن الصلاة الوسطى ليست صلاة العصر بحديث أبي يونس مولى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنه قال: «أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفاً، فقالت: إذا بلغت هذه الآية ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى﴾^(٢) فأذني، فلما بلغت آذنتها، فأملت علي: {حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين}، قالت عائشة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم»^(٣)، وحديث أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها أن عمرو بن عمرو كان يكتب لها مصحفاً، فقالت له إذا انتهيت إلى ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى﴾^(٤) فأذني، فأذنتها، فقالت اكتب {والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين}^(٥)، ورُدَّ على هؤلاء بأن العطف قد لا يوجب المغايرة.. وهذا صحيح، لكنه قد يوجبها.

٦- أما الحديثان الواردان في أنها صلاة الظهر فليس فيهما دليل قاطع، غاية الأمر أنهما يشيران إلى سبب نزول الآية، وأن صلاة الظهر كانت أشد الصلوات على الصحابة، فهل يمكننا أن نفهم منهما أن الصلاة الوسطى هي أي صلاة من الصلوات

(١) نيل الأوطار: ١٠٥/٣.

(٢) سورة البقرة: من الآية ٢٣٨.

(٣) أخرجه أحمد: ٧٣/٦، ومسلم برقم ٦٢٩، وأبوداود برقم ٤١٠، والترمذي برقم ٢٩٨٢.

(٤) سورة البقرة: من الآية ٢٣٨.

(٥) الموطأ برقم ٣٦٨، إمام دار الهجرة مالك بن أنس ٩٣-١٧٩هـ، رواية يحيى بن يحيى، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب

الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ=١٩٩٧م، وابن حبان برقم ١٧٢٢.

الخمسة تثقل على المؤمن؟ يحتمل! كما أنهما يعارضهما ما ورد عن الإمام علي من أن الصحابة كانوا يرونها الفجر، وما روي عن البراء بن عازب من أنها كانت العصر ونسخت.

٧- هناك استدلالات أخرى على الصلاة الوسطى، فمنهم من استدل بالقرآن

الكريم على أنها صلاة الفجر، لما جاء في سورة الإسراء من قوله تعالى ﴿ أَقِرُّ

الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنِ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ

مَشْهُودًا ﴾ (٧٨) (١)، ولما ورد في آية سورة البقرة نفسها من قوله تعالى ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ

قَانِتِينَ ﴾ (٢٣٨) (٢)، إذ أشاروا إلى أن القنوت هنا هو قنوت الفجر، يقول ابن

عاشور: «وأصح ما في هذا الخلاف ما جاء من جهة الأثر، وذلك قولان أحدهما أنها

الصبح، هذا قول جمهور فقهاء المدينة، وهو قول عمر وابنه عبدالله وعلي وابن عباس

وعائشة وحفصة وجابر بن عبدالله، وبه قال مالك، وهو عن الشافعي أيضاً، لأن

الشائع عندهم أنها الصبح، وهم أعلم الناس بما يروى عن رسول الله ﷺ من قول أو

فعل أو قرينة حال. القول الثاني أنها العصر، وهذا قول جمهور من أهل الحديث، وهو

قول عبدالله بن مسعود، وروي عن علي أيضاً، وهو الأصح عن ابن عباس أيضاً وأبي

هريرة وأبي سعيد الخدري، ونسب إلى عائشة وحفصة والحسن، وبه قال أبو حنيفة

والشافعي في رواية، ومال إليه ابن حبيب من المالكية، وحجتهم ما روي أن النبي

ﷺ قال يوم الخندق...» (٣).

(١) سورة الإسراء: الآية ٧٨.

(٢) سورة البقرة: من الآية ٢٣٨.

(٣) التحرير والتنوير: ٤٦٨/٢.

ثم يختار من القولين، مستدلاً بالمأثور وغيره، فيقول في استدلاله بالمأثور: «والأصح من هذين القولين أولهما لما في الموطأ والصحيحين أن عائشة وحفصة أمرتا كاتبي مصحفيهما أن يكتبتا قوله تعالى {حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين} وأسندت عائشة ذلك إلى رسول الله ﷺ ولم تسنده حفصة، فإذا بطل أن تكون الوسطى هي العصر، بحكم عطفها على الوسطى تعين كونها الصبح»^(١).

ويستدل بالقرآن فيقول: «... فأفضلية الصبح ثابتة بالقرآن، قال تعالى مخصصاً لها بالذكر ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾^(٢) وفي الصحيح أن ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون عند صلاة الصبح»^(٣).

ويستدل بالمعقول فيقول: «توسطها بالمعنى الحقيقي ظاهر، لأن وقتها بين الليل والنهار، فالظهر والعصر نهاريتان، والمغرب والعشاء ليليتان، والصبح وقت متردد بين الوقتين، حتى إن الشرع عامل نافلته معاملة نوافل النهار فشرع فيها الإسرار، وفريضته معاملة فرائض الليل فشرع فيها الجهر.

ومن جهة الوصاية بالمحافظة عليها، هي أجدر الصلوات بذلك، لأنها الصلاة التي تكثر المثبطات عنها، باختلاف الأقاليم والعصور والأمم، بخلاف غيرها فقد تشق إحدى الصلوات الأخرى على طائفة دون أخرى، بحسب الأحوال والأقاليم

(١) التحرير والتنوير: ٤٦٨/٢.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٧٨.

(٣) التحرير والتنوير: ٤٦٨/٢.

والفصول»^(١).

ومنهم من استدل استدلالات عقلية على أنها صلاة المغرب، لتوسط عدد ركعاتها بين أقل عدد ركعات في صلاة مكتوبة (الفجر - ركعتان)، وأكثر عدد في صلاة مكتوبة (الظهر والعصر والعشاء - أربع ركعات)، وأنها تتوسط بين النهار والليل، وقبلها سريتين وبعدها جهريتين، ومنهم من استدل عليها استدلالاً لغوياً، حاملاً معنى كلمة «الوسطى» على غير المعنى المتبادر إلى الذهن، فالوسط أو الأوسط في اللغة يأتي بمعنى ما بين طرفي الشيء، ويأتي بمعنى الأفضل والأعدل، فوسط الشيء أفضله وأعدله.. جاء في تاج العروس «الوسط من كل شيء أعدله، ويقال شيء وسط أي بين الجيد والرديء... فلما كان وسط الشيء أفضله وأعدله جاز أن يقع صفة، وذلك مثل قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾^(٢) فهذا تفسير الوسط وحقيقة معناه، وأنه اسم لما بين طرفي الشيء وهو منه»^(٣)، وفي العين «... والوسط من الناس وكل شيء أعدله وأفضله، ليس بالغالي ولا المقصر»^(٤)، وهذا ما أشار إليه الشيخ محمد عبده، إذ يقول الشيخ محمد رشيد رضا: «قال الأستاذ الإمام: ولولا أنهم اتفقوا على أنها إحدى الخمس لكان يتبادر إلى فهمي من قوله ﴿وَالصَّكَّوَّة﴾

(١) التحرير والتنوير: ٤٦٩/٢.

(٢) سورة البقرة: من الآية ١٤٣.

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق عبدالكريم العزباوي، مطبعة حكومة الكويت،

١٤٠٣هـ=١٩٨٣م، ١٦٧/٢٠ و١٧٥.

(٤) كتاب العين مرتباً على حروف المعجم، الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠هـ)، ترتيب وتحقيق الدكتور عبدالحميد هنداوي المدرس بكلية دار

العلوم - جامعة القاهرة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م ٣٧٠/٤.

أَلْوَسَطَى ﴿ أن المراد بالصلاة الفعل، وبالوسطى الفضلى، أي: حافظوا على أفضل أنواع الصلاة، وهي الصلاة التي يحضر فيها القلب وتتوجه بها النفس إلى الله تعالى وتخضع لذكره وتدبر كلامه، لا صلاة المرئين ولا الغافلين. ويقوي هذا قوله بعدها ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ (٢٣٨) فهو بيان لمعنى الفضل في الفضلى وتأکید له، إذ قالوا: إن في القنوت معنى المداومة على الضراعة والخشوع؛ أي: قوموا ملتزمين لخشية الله تعالى واستشعار هيئته وعظمته، ولا تكمل الصلاة وتكون حقيقية ينشأ عنها ما ذكر الله تعالى من فائدتها إلا بهذا، وهو يتوقف على التفرغ من كل فكر وعمل يشغل عن حضور القلب في الصلاة وخشوعه، لما فيها من ذكر الله بقدر الطاقة»^(١).

ويؤكد الشيخ رشيد قول أستاذه فيقول: «إنه ليس عندنا نص صريح في الحديث المرفوع ينافي ما ذكره الأستاذ الإمام في الصلاة الوسطى، فقد قال بعض المحدثين: إن لفظ «صلاة العصر» في حديث علي مدرج من تفسير الراوي. قالوا: ولولا ذلك لما اختلف الصحابة فيها، وأيدوا ذلك ببعض الروايات...»^(٢).

ويضاف إلى ما قاله الشيخ رشيد رضا أنه لم يثبت اتفاق على أن الوسطى إحدى الخمس، كما زعم الشيخ محمد عبده.

ومنهم من رأى أن الصلاة الوسطى مخفاة عن الأمة حتى يجتهدوا في الصلوات جميعاً شأنها شأن ليلة القدر وساعة الإجابة يوم الجمعة واسم الله الأعظم، وهذا رأى له وجاهته، لما في المسألة من خلاف، مع وجود النصوص الصريحة الصحيحة وإثبات النَّسَخ في الآية الكريمة، يقول القرطبي: «... غير معينة، قاله نافع عن ابن عمر، وقاله الربيع بن خيثم، فخبأها الله تعالى في الصلوات، كما خبأ ليلة القدر في رمضان، وكما

(١) تفسير المنار: ٤٣٧/٢.

(٢) تفسير المنار: ٤٣٧/٢.

خبأ ساعة يوم الجمعة، وساعات الليل المستجاب فيها الدعاء ليقوموا بالليل في الظلمات لمناجاة عالم الخفيات. ومما يدل على صحة أنها مبهمة غير معينة ما رواه مسلم في صحيحه في آخر الباب عن البراء بن عازب... قال البراء: قد أخبرتك كيف نزلت وكيف نسخها الله تعالى، والله أعلم. فلزم من هذا أنها بعد أن عينت نسخ تعيينها وأبهمت فارتفع التعيين، والله أعلم. وهذا اختيار مسلم، لأنه أتى به في آخر الباب، وقال به غير واحد من العلماء المتأخرين، وهو الصحيح إن شاء الله تعالى لتعارض الأدلة وعدم الترجيح، فلم يبق إلا المحافظة على جميعها وأدائها في أوقاتها والله أعلم»^(١).

إلا أن الطاهر بن عاشور يرد هذا فيقول: «ومن الناس من ذهب إلى أن الصلاة الوسطى قصد إخفاؤها ليحافظ الناس على جميع الصلوات، وهذا قول باطل، لأن الله تعالى عرفها باللام ووصفها. فكيف يكون مجموع هذين المعرفين غير مفهوم؟ وأما قياس ذلك على ساعة الجمعة وليلة القدر ففاسد، لأن كليهما قد ذكر بطريق الإبهام وصحت الآثار بأنها غير معينة»^(٢).

٨- من المفسرين^(٣) من استدل بالأحاديث الناصة على أنها العصر، ورجحوا ذلك، ومنهم من أورد الآراء الأخرى، بصيغة التضعيف «قيل» ولم يردوها أو يعلقوا عليها، يقول أبو السعود في تفسيره: «وهي العصر... وقيل هي الظهر... وقيل هي الفجر... وقيل هي المغرب... وقيل هي العشاء... فتكون حينئذٍ إحدى الأربع قد

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٤/١٨١ و ١٨٢.

(٢) التحرير والتنوير: ٢/٤٦٩.

(٣) مثل جامع البيان: ٤/٣٧٢، والبحر المحيط: ٢/٣٥٠، والكشاف: ١/٤٦٥، وفتح القدير: ١٦٤.

خصت بالذكر مع العصر لانفرادها بالفضل...»^(١).

ويمتنع تفسير الجلالين عن الاختيار من بين الآراء، فيقول: «هي العصر أو الصبح أو الظهر أو غيرها، أقوال، وأفردتها بالذكر لفضلها»^(٢)، وواضح أنه رتب الآراء حسب ما قوي عنده.

ويقول ابن كثير بعد أن يورد الآراء وأدلتها ومناقشتها: «... لم يزل التنازع فيها موجوداً من زمن الصحابة وإلى الآن»^(٣).

ونخلص من هذا كله إلى أن الأحاديث الواردة في النص على أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، على صحتها، لا تنهض بالاستدلال على ذلك، لقيام الاختلاف، حتى بين الصحابة، حول تحديدها، وثبوت النسخ في الآية الكريمة، وتعارض الأدلة في تعيينها، كما مضى.

٤ - الترجيح

يميل الباحث إلى رأي الشيخ رشيد رضا الذي عضد فيه ما أشار إليه أستاذه من أنها «الصلاة التي يحضر فيها القلب، وتتوجه بها النفس إلى الله تعالى، وتخضع لذكره وتدبر كلامه، لا صلاة المرئين ولا الغافلين»، وهذا معناه أنها ليست صلاة بعينها، بل تنتقل بين الصلوات، ولعل هذا لا يتعارض كثيراً مع رأي من رأى أن الله

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، قاضي القضاة أبو السعود بن محمد العمادي الحنفي (٩٠٠-٩٨٢هـ)، تحقيق عبدالقادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، د.ت، ٣٦٥/١.

(٢) تفسير الإمامين الجليلين (بمأمش القرآن الكريم بالرسم العثماني) جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد المحلي (٧٩١-٨٦٤هـ)، وجمال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (٨٩٤-٩١١هـ)، مديلاً بكتاب لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي، قدم له عبدالقادر الأرنؤوط، دار بن كثير، ١٤٠٧هـ، ص ٣٩.

(٣) تفسير ابن كثير: ٦٥٣/١.

أخفاها ليجتهد المسلمون في الصلوات جميعًا، إذا لم نعتبر أنها واحدة بعينها مخفاة،
لكن مبهمة تنتقل، كما هو الحال في ليلة القدر عند من يراها كذلك.. والله تعالى
أعلم.

المطلب الثاني: الاستدلال على الباقيات الصالحات

ورد ذكر الباقيات الصالحات في القرآن الكريم مرتين، الأولى في قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (٤٦) (١) والثانية في قوله تعالى في سورة مريم ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ (٧٦) (٢)، واختلف المفسرون في تحديد هذه الباقيات الصالحات، وخص هذه المسألة بالتصنيف الإمام الحافظ صلاح الدين أبي سعيد خليل بن كيكلي العلامي (٣) (٦٩٤-٧٦١هـ)، تحت عنوان «جزء في تفسير الباقيات الصالحات وفضلها» (٤).

(١) سورة الكهف: الآية ٤٦.

(٢) سورة مريم: الآية ٧٦.

(٣) هو أبوسعيد العلامي، صلاح الدين خليل بن كيكلي بن عبدالله العلامي الدمشقي الشافعي الأشعري، مفسر ومحدث وفقه ونحوي وأديب ومؤرخ، ولد سنة ٦٩٤هـ في دمشق وتعلم فيها، ثم أقام في القدس زماناً، ولي تدريس الحديث بالناصرية سنة ٧١٨هـ، ودرّس بالأسدية سنة ٧٢٣هـ، ثم درّس بملقة صاحب حمص سنة ٧٢٨هـ. ثم انتقل إلى تدريس المدرسة الصلاحية بالقدس سنة ٧٣١هـ، وتولّى مشيخة دار الحديث السيفية بالقدس، من مؤلفاته «إثارة الفوائد المجموعة في الإشارة إلى الفرائد المسموعة في الحديث»، و«تحفة القادم من فوائد أبي القاسم»، و«تفصيل الإجمال في تعارض الأقوال والأفعال»، و«تنقيح الفهوم في صيغ العلوم»، و«تهديب الوصول إلى مختصر جامع الأصول»، و«جامع التحصيل في أحكام المراسيل»، و«الدرة السنوية في مولد خير البرية»، و«رفع الأشكال عن حديث صيام ستة أيام من شوال»، و«العدة عند الكرب والشدة»، و«عقيلة الطالب في ذكر أشرف الصفات والمناقب»، و«قواعد العلامي في الفروع»، و«المائة المنتقاة من صحيح مسلم»، و«المائة المنتقاة من الترمذي»، و«المائة المنتقاة من مشيئة الفخر»، و«الوشى المعلم فيمن روى عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ». توفي في القدس سنة ٧٦١هـ (طبقات الشافعية، عبدالرحيم الأسنوي ٧٧٢هـ، تحقيق عبدالله الجبوري، مطبعة الإرشاد- بغداد، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ= ١٩٧١م، ٢/٢٣٩، الدرر الكامنة: ٩٠/٢-٩٢).

(٤) جزء في تفسير الباقيات الصالحات وفضلها، الإمام الحافظ صلاح الدين أبي سعيد خليل بن كيكلي العلامي ٦٩٤-٧٦١هـ، تحقيق علي

١ - القيمة العملية أو العلمية لتحديد الباقيات الصالحات

حديث القرآن الكريم عن الباقيات الصالحات يدفع المؤمن إلى معرفتها وكسب خير الثواب وخير الأمل وخير المرد، وليزداد هدى، وليعرف القيمة الحقيقية للحياة الدنيا وزينتها، فلا تتمكن من قلبه ونفسه.

٢ - اختلاف المفسرين في الباقيات الصالحات

قال ابن الجوزي رحمه الله: «فيها خمسة أقوال: أحدها: أنها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر^(١)... وسئل عثمان بن عفان رضي الله عنه عن الباقيات الصالحات فقال هذه الكلمات وزاد فيها: ولا حول ولا قوة إلا بالله... والثاني: أنها لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله ولا قوة إلا بالله... والثالث: أنها الصلوات الخمس^(٢)... والرابع أنها الكلام الطيب^(٣).. والخامس: جميع الأعمال الحسنة^(٤)»^(٥).

يضاف إلى ذلك ما رواه القرطبي عن الحسن بصيغة التمريض «وقد قيل إن

أبو زيد وحسن مروة، دار ابن كثير - دمشق - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.

(١) وقد وردت أحاديث مرفوعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك كما سيأتي.

(٢) رواه الطبري عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعمرو بن شرحبيل وغيرهم: ٢٧٤/١٥ و ٢٧٥، كما عزاه ابن الجوزي لابن مسعود، كما بسط هذه الآراء وعزاها لأصحابها العلائي (جزء في تفسير الباقيات الصالحات وفضلها، ص ٢٩ وما بعدها).

(٣) رواه الطبري عن ابن عباس أيضاً: ٢٨٠/١٥.

(٤) رواه الطبري عن ابن عباس وعن ابن يزيد: ٢٨٠/١٥.

(٥) زاد المسير في علم التفسير، الإمام أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي (٥٠٨-٥٩٧هـ)، المكتب

الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م، ١٥/٥ و ١٥٠.

البقيات الصالحات هي النيات والهمات، لأن بها تقبل الأعمال وترفع»^(١)، وما رواه عن عبيد بن عمير^(٢): «هن البنات، يدل عليه أوائل الآية، قال تعالى ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٣) ثم قال ﴿وَالْبَقِيَّتُ الصَّالِحَاتُ﴾^(٤) يعني البنات الصالحات هن عند الله لآبائهن خير ثوابًا، وخير أملاً في الآخرة لمن أحسن إليهن»^(٥).

ويستدل القرطبي على هذا الرأي الأخير بما روته السيدة عائشة رضي الله عنها «جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدة منهما ثمرة ورفعت إلى فيها ثمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتها فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما فأعجبني شأنها فذكرت الذي صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها بها من النار»^(٦) وما «روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لقد رأيت رجلاً من أممي أمر به إلى النار فتعلق به بناته وجعلن يصرخن ويقلن رب إنه كان يحسن إلينا في الدنيا فرحمه الله بهن»^(٧).

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٢٩٤/١٣.

(٢) هو عبيد بن عمير بن قتادة الليثي الجندعي المكي، الواعظ المفسر ولد في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحدث عن أبيه، وعن عمر بن الخطاب، وعلي، وأبي ذر، وعائشة، وأبي موسى الأشعري، وابن عباس، وطائفة... وكان من ثقات التابعين وأئمتهم بمكة، وكان يذكر الناس فيحضر ابن

عمر - رضي الله عنهما - مجلسه... توفي قبل ابن عمر بأيام يسيرة وقيل: توفي في سنة أربع وسبعين (سير أعلام النبلاء: ١٥٦/٤-١٥٧).

(٣) سورة الكهف: الآية ٤٦.

(٤) سورة الكهف: الآية ٤٦.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ٢٩٤/١٣.

(٦) صحيح مسلم: ٢٦٣٠.

(٧) الجامع لأحكام القرآن: ٢٩٤/١٣، وقال محققو تفسير القرطبي: «أخرج نحوه ابن ماجة برقم ٣٦٦٩، وابن أبي الدنيا في العيال برقم ٨٩ من

٣- الدراسة

أ- الحديثان اللذان استدل بهما القرطبي على أن الباقيات الصالحات هن البنات ليس فيهما ما يدل على ذلك، غاية الأمر أنهما، وغيرهما من الأحاديث الصحيحة الواردة في هذا المعنى، ترغيب وحث على تربية البنات ورعايتهن والإحسان إليهن.

أما ما ذكره من استدلال بسياق الآية فله وجهته، لاسيما إذا أضفنا إليه أن الآية التالية لآية الباقيات الصالحات في سورة مريم هي قوله تعالى ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ (٧٧)، غير أن ذلك يبقى اجتهادًا طيبًا مشكورًا لا دلالة قاطعة عليه.

ب- لم يرد مرفوعًا إلى النبي ﷺ من الآراء السابقة إلا الرأي الأول والثاني، ومردهما إلى رأي واحد، على اختلاف في ترتيب الكلمات، وقد أورد ابن جرير الطبري^(٢) في تفسيره والسيوطي^(٣) في الدر المنثور وصاحب كتاب «التفسير النبوي...»^(٤) وابن كيكلدي العلائي وغيرهم جملة من هذه المرويّات، ومنها:

حديث عقبة بن عامر بلفظ: من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن وأطعمهن وسقاهن وكساهن من جدته كن له حجابًا من النار يوم القيامة. لفظ ابن ماجة، ولفظ ابن أبي الدنيا: «من كانت له ثلاث بنات فصبر عليهن فأطعمهن وسقاهن وكساهن من جدته كن له حجابًا من النار» (العيال، عبدالله محمد عبيد البغدادي أبوبكر ابن أبي الدنيا ٢٨١هـ، تحقيق الدكتور نجم عبدالرحمن خلف، دار ابن القيم- الدمام، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ= ١٩٩٠م ٢٣٥/١).

(١) سورة مريم: الآية ٧٧.

(٢) الدر المنثور: ٥٥٢/٩ وما بعدها.

(٣) جامع البيان: ٢٧٥/١٥ وما بعدها.

(٤) التفسير النبوي: ٥١٣ وما بعدها.

١- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استكثروا من الباقيات الصالحات، قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: الملة، قيل وما هي يا رسول الله؟ قال: الملة. قيل وما هي يا رسول الله؟ قال: التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد ولا حول ولا قوة إلا بالله»^(١).

٢- عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في المسجد بعد صلاة العشاء... فذكر الحديث، وفيه أنه صلى الله عليه وسلم قال: «ألا وإن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هن الباقيات الصالحات»^(٢).

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خذوا جنتكم»، قلنا يا رسول الله: من عدو قد حضر؟ قال: «لا، جنتكم من النار، قولوا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإنها يأتين يوم القيامة منجيات، ومقدمات، وهن الباقيات الصالحات»^(٣).

(١) أخرجه أحمد: ٧٥/٣، وأبو يعلى (مسند أبي يعلى الموصلي، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن المنى التميمي (٢١٠-٣٠٧هـ)، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، الطبعة الثانية (١٤١٠هـ=١٩٩٠م)، ٥٢٤/٢ برقم ١٣٨٤، والطبراني في الدعاء (كتاب الدعاء، الحافظ الإمام أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠-٣٦٠هـ)، دراسة وتحقيق وتخرىج الدكتور محمد سعيد بن محمد حسن البخاري، رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى بمكة المكرمة في ٢٨ شعبان ١٤٠٥هـ، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م، ١٥٦٧/٣ برقم ١٦٩٦)، والبغوي في شرح السنة: ٦٤/٥ برقم ١٢٨٢ وغيرهم.

(٢) أخرجه أحمد: ٢٦٧/٤، والطبراني في الدعاء: ١٥٦٩/٣، برقم ١٦٩٩.

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى برقم ١٠٦١٧، وفي عمل اليوم والليلة (عمل اليوم والليلة، الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي (٣٠٣هـ)، دراسة وتحقيق الدكتور فاروق حمادة، كلية الآداب جامعة محمد الخامس، الرباط، مؤسسة الرسالة، د.ت، ص ٤٨٨، برقم ٨٤٨)، والحاكم: ٥٤١/١، وقال الحاكم: «هذا صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، والبيهقي في شعب الإيمان: ٤٢٥/١، برقم ٦٠٦، والطبراني في المعجم الأوسط، (المعجم الأوسط الحافظ الإمام أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠-٣٦٠هـ)، تحقيق قسم التحقيق بدار الحرمين، أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، وأبو الفضل عبد المحسن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ=١٩٩٥م،

٤- عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أين أنت من قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فإنهن يحططن الخطايا كما تحط الشجرة ورقها، وهي الباقيات الصالحات وهي من كنوز الجنة»^(١).

٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن عجزتم عن الليل أن تكابدوه والعدو أن تجاهدوه فلا تعجزوا عن قول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فإنهن الباقيات الصالحات»^(٢).

ب- رجح كثير من المفسرين بقاء اللفظ على عمومته في الآية، وأن الباقيات الصالحات هي كل الأعمال الصالحة التي تبقى للإنسان في آخرته: يقول ابن جرير الطبري: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: هن جميع أعمال الخير... لأن ذلك كله من الصالحات التي تبقى لصاحبها في الآخرة وعليها يجازى ويثاب وإن الله عز ذكره لم يخص من قوله ﴿وَالْبَقِيَّتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾^(٣) بعضًا دون بعض في كتاب، ولا يخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم»^(٤).

وكان الطبري قد استشعر أن أحدًا يمكنه أن يرد عليه بالآثار التي أوردها هو نفسه في تحديد الباقيات الصالحات، فسارع إلى إزالة اللبس قائلاً: «فإن ظن ظان أن

٤/٢١٩ برقم ٤٠٢٧)، وغيرهم.

(١) رواه عبدالرزاق في تفسيره (تفسير القرآن، الإمام عبدالرزاق بن همام الصنعائي (١٢٦-٢١١هـ)، تحقيق الدكتور مصطفى مسلم مجد، مكتبة

الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ=١٩٨٩م، ١٢/٢)، وابن ماجه برقم ٣٨١٣، وابن جرير الطبري: ٦١٦/١٥ وغيرهم.

(٢) الدر المنثور: ٥٥٥/٩.

(٣) سورة الكهف: الآية ٤٦.

(٤) جامع البيان ٢٨١/١٥.

ذلك مخصوص بالخبر الذي روينا عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، فإن ذلك بخلاف ما ظن، وذلك أن الخبر عن رسول الله ﷺ إنما ورد بأن قول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، هن من الباقيات الصالحات، ولم يقل: هن جميع الباقيات الصالحات، ولا كل الباقيات الصالحات، وجائز أن تكون هذه باقيات صالحات، وغيرها من أعمال البر أيضاً باقيات صالحات»^(١).

وقريب من هذا قاله الرسعي: «وقد ذكرت فيما مضى أن هذا وأمثاله ليس على سبيل الحصر، وإنما هو لبيان جنس المراد بذكر بعض أنواعه»^(٢).

وكذلك الشهاب الخفاجي: «وقوله: ويندرج... إلخ، إشارة إلى أن ما وقع من السلف من تفسيرها بما ذكر على طريق التمثيل»^(٣).

ورد الألوسي على الشهاب الخفاجي فقال: «... ويبعد ذلك قوله ﷺ وهن الباقيات المفيد للحصر بعد التنصيص على ما لا عموم فيه فتأمل»^(٤).

كما رد العلائي على الطبري فقال: «وهذا الجواب يعارضه مفهوم الحصر بين المبتدأ والخبر مع ما تقتضيه الألف واللام الدالة على العهد في قوله ﷺ هن الباقيات الصالحات، لكن المفهوم من حصر الخبر في المبتدأ أقوى منه، كما لو قال صلى الله عليه وسلم: الباقيات الصالحات هن، ومع ذلك فمفهوم حصر المبتدأ في الخبر قوي.

(١) جامع البيان: ٢٨١/١٥.

(٢) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز، الإمام الحافظ عزالدين عبدالرازق بن رزق الله الرسعي الحنبلي (٥٨٩-٦٦١هـ)، دراسة وتحقيق أ.د.عبدالمملك بن عبدالله بن دهيش، مكتبة الأسد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م، ٢٩٨/٤.

(٣) عناية القاضي وكفاية الرازي على تفسير البيضاوي (حاشية الشهاب)، أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي، الطبعة

الخدوية ١٢٨٣هـ، تصوير دار صادر- بيروت، ١٠٦/٦.

(٤) روح المعاني: ٢٨٧/١٥.

هذا من جهة التعريف المذكور، ولا يخرج عن ذلك إلا بدليل يعارضه ولم يوجد»^(١).
واستدل ابن عطية على أن هذا رأي ابن عباس بأن الآراء كلها وردت عنه قال:
«وقول^(٢) ابن عباس بكل الأقوال دليل على قوله بالعموم»^(٣)، لكن العلائي رد عليه
أيضاً فقال: «وأما ما أشار إليه بن عطية من الترجيح برواية^(٤) كل هذه الأقوال عن
ابن عباس فإنه يدل على فهم العموم في حمل الباقيات الصالحات... فتبين أن أصح
الطرق فيه عن ابن عباس هو الموافق للحديث، ويترجح ذلك أيضاً بقول عثمان وابن
عمر رضي الله عنهما وجمهور المفسرين والله أعلم»^(٥).

ج- في حين يتمسك الثعالبي بظاهر النصوص المرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيقول: «وقد
جاء ذلك مصرحاً به من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وهن الباقيات الصالحات»^(٦)، ويذكر
ويذكر بن جزي الكلبي الرأي نفسه على سبيل القطع، ويورد غيره بصيغ التمريض

(١) جزء في تفسير الباقيات الصالحات: ٤٠.

(٢) ورد في طبعة دار الكتب العلمية «قال» بدلاً من قول، وواضح أنه تحريف تداركته طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر، لكنها وقعت
في تحريف آخر في الجملة نفسها فأوردت كلمة «الأقوام» بدلاً من «الأقوال»! (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، القاضي أبو محمد عبدالحق
بن غالب بن عطية الأندلسي ٥٤٦هـ، تحقيق وتعليق الرحالة الفاروق، عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، السيد عبدالعال إبراهيم، محمد الشافعي
الصادق، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، إدارة الشؤون الإسلامية- دولة قطر، الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م، ٦١٥/٥)،
فالله المستعان على أغلاط النساخ!

(٣) المحرر الوجيز: ٥٢٠/٣.

(٤) وردت في الكتاب «برواته»، وواضح أنه خطأ والصواب ما ذكر.

(٥) جزء في تفسير الباقيات الصالحات: ٤١ و٤٢.

(٦) تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، الإمام عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المكي (٧٨٦-٨٧٥هـ)، تحقيق
الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، شارك في التحقيق الدكتور عبدالفتاح أبوسنة، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ
العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م، ٥٢٨/٣.

فيقول: «هي سبحانه الله... هذا قول الجمهور، وقد روي ذلك عن النبي ﷺ، وقيل الصلوات الخمس، وقيل الأعمال الصالحات على الإطلاق»^(١)، نرى طائفة غير قليلة من المفسرين، لاسيما مفسري العصر الحديث، يرجحون رأي الطبري وفريقه.

يقول الشوكاني: «والظاهر أن الباقيات الصالحات كل عمل خير، فلا وجه لقصرها على الصلاة كما قال بعض، ولا لقصرها على نوع من أنواع الذكر كما قال بعض آخر، ولا على ما كان يفعله فقراء المهاجرين باعتبار السبب، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهذا تعرف أن تفسير الباقيات الصالحات في الأحاديث... لا ينافي إطلاق هذا اللفظ على ما هو عمل صالح من غيرها»^(٢).

ويقول القاسمي: «وقع في كلام السلف تفسير الباقيات الصالحات بالصلوات وأعمال الحج والصدقات والصوم والجهاد والعتق وقول سبحانه الله... والكلام الطيب وبغيرها، مما روي مرفوعاً وموقوفاً، والمرفوع من ذلك كله لم يخرج في الصحيحين، وكله على طريق التمثيل، وإن اللفظ الكريم يتناولها لكونها من أفرادها»^(٣).

وكذلك رأي الشنقيطي: «والتحقيق أن الباقيات الصالحات لفظ عام يشمل الصلوات الخمس والكلمات الخمس المذكورة وغير ذلك من الأعمال التي ترضي الله تعالى، لأنها باقية لصاحبها غير زائلة ولا فانية كزينة الحياة الدنيا، ولأنها أيضاً صالحة

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي (٧٤١هـ)، ضبطه وصححه وخرج آياته محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية،

بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ=١٩٩٥م، ١/٥١٤.

(٢) فتح القدير: ٨٦٢.

(٣) تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، تأليف محمد جمال الدين القاسمي، وقف على طبعه وتصحيحه ورقمه وخرج آياته وأحاديثه وعلق عليه محمد

فؤاد عبد الباقي، عيسى الباي الحلبي، ١٣٧٦هـ=١٩٥٧م، ١١/٤٠٦٧.

لوقوعها على الوجه الذي يرضي الله تعالى»^(١).

ولم يبعد عن ذلك السعدي الذي قال: «وإن الذي يبقى للإنسان وينفعه الباقيات الصالحات، وهذا يشمل جميع الطاعات الواجبة والمستحبة من حقوق الله وحقوق عباده، من صلاة، وزكاة، وصدقة، وحج، وعمرة، وتسبيح، وتهليل، وتحميد، وقراءة، وطلب علم نافع، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وصلة رحم، وبر والدين، وقيام بحق الزوجات والمماليك والبهائم، وجميع وجوه الإحسان إلى الخلق، كل هذا من الباقيات الصالحات، فهذه خير عند الله ثوابًا وخير أملاً، فثوابها يبقى ويتضاعف على الآباد، ويؤمل أجرها وبرها ونفعها عند الحاجة»^(٢)، وهذا أيضاً رأي الشيخ محمد أبي زهرة^(٣) والمراغي^(٤).

د- من المفسرين من أورد هذا الرأي (أن الباقيات الصالحات لفظ عام) بصيغة القطع وأورد غيره بصيغة التمييز، يقول الزمخشري: «أعمال الخير التي تبقى ثمرتها للإنسان، وتفي عنه كل ما تطمح إليه نفسه من حظوظ الدنيا، وقيل: الصلوات الخمس، وقيل: سبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر»^(٥)، وإلى هذا مال الرازي

(١) أضواء البيان: ١٤١/٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، (١٣٠٧-١٣٧٦هـ)، مقدمه فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العقيل، فضيلة الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد، اعتنى به سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي، د.ت، ٩٦٥/٥.

(٣) زهرة التفاسير، الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، د.ت، ٤٥٣٩/٩.

(٤) تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، أستاذ الشريعة الإسلامية واللغة العربية بكلية دار العلوم، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى ١٣٦٥هـ=١٩٤٦م، ١٥٥/١٥.

(٥) الكشف: ٥٩٠/٣.

أيضاً^(١).

٤ - الترجيح

يخلص البحث من ذلك كله إلى أنه لا وجه لحصر الباقيات الصالحات في ذكر معين مما ورد مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ، فهذا الذكر من الباقيات الصالحات، وليس كل الباقيات الصالحات، أما الأحاديث الواردة في ذلك فقد تحمل على التمثيل، كما مر، أي تفسير الشيء بذكر مثال عليه، ولا حصر بين المبتدأ والخبر كما رأى العلائي، والدليل على ذلك قول رسول الله ﷺ «الدين النصيحة»^(٢)، أو «الحج عرفة»^(٣)،

(١) تفسير الفخر الرازي: ١٣٢/٢١.

(٢) عن أبي رقية تميم بن أوس الداري أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة»، قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»، (صحيح مسلم، كتاب الإيمان، برقم ٢٠٥، وسنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في النصيحة برقم ٤٩٤٦، وجامع الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في النصيحة برقم ٢٠٥١، وسنن النسائي، كتاب البيعة، باب النصيحة برقم ٤٢١٤، وسنن النسائي، كتاب البيعة، باب النصيحة برقم ٤٢١٥، ومسند أحمد (المسند، أحمد بن حنبل (١٦٤هـ-٢٤١هـ)، شرحه ووضع فهرسه، أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٦هـ=١٩٩٥م، برقم ١٧٢١٤).

(٣) أخرجه أبو داود برقم ١٩٤٩، والترمذي برقم ٨٨٩، والنسائي برقم ٣٩٩٧، وابن ماجه برقم ٣٠١٥، وأحمد: ٣٣٥/٤، والدارمي (مسند الدارمي، المعروف بسنن الدارمي، الإمام الحافظ أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بمرام الدارمي (١٨١-٢٥٥هـ)، تحقيق حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢١=٢٠٠٠م، ٢/١٢٠٠ برقم ١٩٢٩)، وابن الجارود (المنتقى من السنن المسندة عن رسول الله ﷺ، أبو محمد عبدالله بن الجارود (٣٠٧هـ)، تحقيق عبدالله عمر البارودي، مؤسسة الكتب الثقافية- دار الجنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م، ص ١٢٣، برقم ٤٦٨) والدارقطني (سنن الدارقطني، بذيله التعليق المغني على الدارقطني، الحافظ الكبير علي بن عمر الدارقطني، تحقيق شعيب الأرنؤوط، حسن عبدالمنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ=٢٠٠٤م برقم ٢٥١٦، ٣/٢٦٢)، والطحاوي (شرح معاني الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك ابن سلمة الأزدي الحجري المصري الطحاوي الحنفي (٢٢٩-٣٢١هـ)، تحقيق محمد زهري النجار، محمد سيد جاد الحق، مراجعة وترقيم د. يوسف عبدالرحمن المرعشلي، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ=١٩٩٤م، ٢/٢٠٩ و ٢١٠)، والحميدي (مسند الإمام أبي بكر عبدالله بن الزبير القرشي الحميدي (٢١٩هـ)، تحقيق حسين

فالنصيحة من الدين، وليست كل الدين، والوقوف بعرفة من أركان الحج وليس كل الحج.

على أنه يستفاد من الحديثين أهمية النصيحة في الدين، ومكانة الوقوف بعرفة في أركان الحج، كما يستفاد من أحاديث الباقيات الصالحات فضل الأذكار الواردة فيها، إلا أنها تبقى من الباقيات الصالحات وليست كل الباقيات الصالحات.. والله تعالى أعلم.

المطلب الثالث: الاستدلال على الكوثر في قوله تعالى

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ ﴾^(١)

١- القيمة العملية أو العلمية للاستدلال على «الكوثر»

يظهر من سياق الآية الكريمة أن الكوثر هذا منحة ربانية من الله عز وجل لنبيه مُحَمَّد ﷺ أوجبت عليه الشكر، ومعرفة منزلة رسول الله ﷺ عند ربه، وما أعده له، وما أعطاه إياه، لها في نفس المؤمن أثر عظيم يدعو إلى أن يدعو ربه أن يرفع قدره ويلحقه بالنبين والصديقين والصالحين، ويطمعه في جوار رسوله ﷺ، فينعكس ذلك على سلوكه وأخلاقه.

٢- اختلاف المفسرين في معنى الكوثر

أورد القرطبي في معنى الكوثر ستة عشر رأياً، فقال: «واختلف أهل التأويل في الكوثر الذي أعطيه النبي ﷺ على ستة عشر قولاً، الأول أنه نهر في الجنة»^(٢)، ودعم القرطبي هذا الرأي بما «رواه البخاري»^(٣) عن أنس والترمذي^(٤) أيضاً... وروى الترمذي^(٥) أيضاً عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: الكوثر نهر في الجنة، حافته من ذهب، ومجره على الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل وأبيض من

(١) سورة الكوثر: الآية: ١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٢٢/٥٢٠.

(٣) برقم ٤٩٦٤، ٤٩٦٥، ٦٥٨١، و٧٥١٧.

(٤) برقم ٣٣٥٩، و٣٣٦٠.

(٥) برقم ٣٣٦١.

الثلج، وقال: هذا حديث حسن صحيح»^(١).

ويكمل القرطبي: «الثاني أنه حوض النبي ﷺ في الموقف، قاله عطاء، وفي صحيح مسلم^(٢) عن أنس قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ أغفى إغفاءً، ثم رفع رأسه متبسماً فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: نزلت علي آناً سورة، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرِ ۝٢﴾ إِن شَأْنِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾^(٣)، ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا الله ورسوله أعلم. قال: فإنه نهر وعدنيه ربي - عز وجل - عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمي يوم القيامة آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم فأقول إنه من أمي، فيقال إنك لا تدري ما أحدث بعدك»^(٤).

وجلي أن هذا الحديث كسابقه، ويزيد عليه تعريف الكوثر بالحوض. قال السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، محقق «النكت والعيون»: «ولا ينافي هذا القول القول الذي قبله، فإن النبي ﷺ له نهر في الجنة يصب في حوض أمام باب الجنة يشرب منه الناس في أرض المحشر قبل دخول الجنة»^(٥).

ويحاول القرطبي تعليل تسمية النهر أو الحوض بالكوثر، قائلاً: «... ثم يجوز أن يسمى ذلك النهر أو الحوض كوثرًا، لكثرة الواردة والشاربة من أمة محمد عليه الصلاة

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٥٢٠/٢٢.

(٢) رقم ٤٠٠، وهو عند أحمد برقم ١١٩٩٦.

(٣) سورة الكوثر: الآيات من ١-٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ٥٢٠/٢٢.

(٥) النكت والعيون: ٣٥٤/٦.

والسلام هناك، ويسمى به لما فيه من الخير الكثير والماء الكثير»^(١).

ويجمل باقي الآراء، فيقول: «الثالث أن الكوثر النبوة والكتاب، قاله عكرمة^(٢)، والرابع: القرآن، قاله الحسن، والخامس: الإسلام، حكاه المغيرة، والسادس: تيسير القرآن وتخفيف الشرائع، قاله الحسين بن الفضل، والسابع هو كثرة الأصحاب والأمة والأشياء، قاله أبوبكر بن عياش ويمان بن رثاب، والثامن أنه الإيثار، قاله ابن كيسان، والتاسع أنه رفعة الذكر، حكاه الماوردي^(٣)، والعاشر أنه نور في قلبك ذلك عليّ، وقطعك عما سواي (قاله جعفر الصادق)^(٤)، وعنه هو الشفاعة، وهو الحادي عشر، وقيل: معجزات الرب هدى بها أهل الإجابة لدعوتك، حكاه الثعلبي، وهو الثاني عشر، والثالث عشر: قال هلال بن يساف: هو لا إله إلا الله محمد رسول الله.. وقيل: الفقه في الدين، وقيل: الصلوات الخمس، وهما الرابع عشر والخامس عشر، وقال ابن إسحق: هو العظيم من الأمر^(٥)، وذكر بيت لبيد:

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٥٢١/٢٢.

(٢) أورده الطبري: ٦٨٤/٢٤، وابن أبي شيبه (الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، الإمام الحافظ عبدالله بن محمد بن أبي شيبه إبراهيم بن

عثمان، الكوفي العسبي ٢٣٥هـ، تحقيق مختار أحمد الندوي، الدار السلفية-الهند، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ = ١٩٨١م)، قال: «الخير والنبوة

والإسلام»، ٥٠٨/١١.

(٣) النكت والعيون: ٣٥٥/٦.

(٤) عزو هذا الرأي لجعفر الصادق جاء في المحرر الوجيز: ٥٢٩/٥.

(٥) سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، أبو محمد عبد الملك بن هشام (١٨٣هـ)، تحقيق مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث بطنطا، الطبعة الأولى

١٤١٦هـ = ١٩٩٥م، ٣٩٤/١.

وصاحب ملحوب فجعلنا بفقده

وعند الرُداع بيت آخر كوثر^(١)»^(٢).

وملحوب: اسم ماء لبني أسد بن خزيمه، ورداع بالضم، وقيل بالكسر، ماء لبني الأعرج بن كعب^(٣).

ويختار القرطبي من الآراء السابقة، فيقول: «أصح هذه الأقوال الأول والثاني، لأنه ثابت عن النبي ﷺ نص في الكوثر، وسمع أنس أقوامًا يتذاكرون الحوض فقال: ما كنت أرى أن أعيش حتى أرى امثالكم يتمارون في الحوض، لقد تركت عجائز خلفي، ما تصلي امرأة منهن إلا سألت الله أن يسقيها من حوض النبي ﷺ»^(٤).

وكذلك اختار ابن جرير: «وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي قول من قال: هو اسم النهر الذي أعطيه رسول الله ﷺ في الجنة، وصفه الله بالكثرة لعظم قدره... لتتابع الأخبار عن رسول الله ﷺ بأن ذلك كذلك»^(٥).

٣- الترجيح

لا يستطيع أحد أن ينكر المنازل والمنح الربانية، المذكورة في الآراء السابقة، لرسول

(١) شرح ديوان لبدي بن ربيعة العامري، حققه وقدم له الدكتور إحسان عباس، التراث العربي (سلسلة تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت)،

مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٢م، ص ٥٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٥٢٢/٢٢ و٥٢٢.

(٣) معجم البلدان، الشيخ الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، دار صادر- بيروت، ١٣٩٧=١٩٧٧،

١٩١/٥ و٣٩/٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٥٢٢/٢٢.

(٥) جامع البيان ٦٨٥/٢٤.

الله ﷻ، لكنها تثبت له بطرق أخرى، لاسيما أن هناك نصوصاً صريحة صحيحة في أن الكوثر نهر أو حوض في الجنة، ولا صارف عن الأخذ بهذه النصوص.

وقد أورد البخاري عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال في الكوثر: «هو الخير الذي أعطاه الله إياه»، قال أبوالبشر: قلت لسعيد بن جبير: فإن الناس يزعمون أنه نهر في الجنة، فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه»^(١).

وعلق ابن حجر، راداً على ذلك فقال: «لعل سعيداً أوماً إلى أن تأويل ابن عباس أولى لعمومه، لكن ثبت تخصيصه بالنهر من لفظ النبي ﷺ، فلا معدل عنه...»^(٢).

وفيما روي عن سعيد بن جبير رضي الله عنه دلالة مهمة لا ينبغي إغفالها، ذلك أنه لم يردّ استدلال ابن عباس رضي الله عنهما، وهو استدلال لغوي، مع وجود نص صريح، بل حاول التوفيق بينهما، وهذا إن دل فإنما يدل على أنه لا بأس بالاستدلال اللغوي على المبهم، أو حتى الاسترشاد به، ولو كان في المبهم نص صريح، لاسيما إذا لم تعارض نتيجة الاستدلال النص، وأمكن الجمع بينهما، أو على الأقل كان هذا غير منكر بين المفسرين من التابعين، والدليل أن أبا البشر، أو غيره، لم يعترض على جمع سعيد بين الرأيين.

(١) فتح الباري: ٧٣١/٨.

(٢) فتح الباري: ٧٣٢/٨.

المبحث الثالث: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بأقوال الصحابة

المطلب الأول: الاستدلال على الأيام المعدودات

المطلب الثاني: الاستدلال على المقتسمين

المطلب الثالث: الاستدلال على اللتين تظاهرتا

الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بأقوال الصحابة

لا تحفى منزلة الصحابة الكرام ودورهم الجلي في نقل سنة رسول ﷺ، التي كان من بينها مرويات التفسير عنه ﷺ، وقد كان لقرهم منه ﷺ ودرايتهم باللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم، أعني العرب منهم، بحكم بيئتهم التي نشأوا فيها، دور كبير في فهمهم لكتاب الله المنزل على نبيه ﷺ، فلا غرو أن نجد لكثير منهم آراءً تفسيرية، ربما سمعوها من رسول الله ﷺ، صرحوا بذلك أو لم يصرحوا، أو اجتهدوا فيها، من خلال معاشتهم لقصص النزول وفهمهم لواقعه ومهاراتهم اللغوية وقرهم ممن تنزل عليه هذا الكتاب المبين.

ومن نافلة القول أن من الصحابة مكثرين في التفسير ومقلين، يقول السيوطي في الإتيان: «اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبوموسى الأشعري، وعبدالله بن الزبير. أما الخلفاء فأكثر من روي عنه منهم علي بن أبي طالب، والرواية عن الثلاثة نزرة جدًّا»^(١).

ويعلل السيوطي ذلك فيقول: «كان السبب في ذلك تقدم وفاتهم، كما أن ذلك هو السبب في قلة رواية أبي بكر ﷺ للحديث، ولا أحفظ عن أبي بكر ﷺ في التفسير إلا آثارًا قليلة جدًّا، لا تكاد تجاوز العشرة»^(٢).

وقد كان للصحابة الكرام، نتيجة لاهتمامهم بالتفسير بشكل عام، جهود كبيرة في كشف مبهمات القرآن، فيما يلي نماذج منها.

(١) الإتيان في علوم القرآن: ٧٨٣.

(٢) الإتيان في علوم القرآن: ٧٨٣.

المطلب الأول: الاستدلال على الأيام المعدودات في قوله تعالى

﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾^(١)

١ - القيمة العملية أو العلمية لتحديد الأيام المعدودات

في هذه الآيات أمر من الله سبحانه وتعالى للمؤمنين بذكره في أيام معدودات، فكان لزامًا على المؤمنين أن يحددوا هذه الأيام لينفذوا أمر الله سبحانه وتعالى بذكره فيها.

٢ - اختلاف المفسرين في تحديد الأيام المعدودات

يورد أبوحيان الأندلسي أربعة أقوال في تحديد الأيام المعدودات:

الأول: «ثلاثة أيام بعد يوم النحر، وليس يوم النحر من المعدودات، هذا مذهب الشافعي وأحمد ومالك وأبي حنيفة»^(٢)، ثم ينسب هذا الرأي إلى من قاله من الصحابة والتابعين، فيقول: «قاله ابن عباس وعطاء ومجاهد وإبراهيم وقتادة والسدي والربيع والضحاك»^(٣).

الثاني: «يوم النحر ويومان بعده»، وينسبه كذلك فيقول: «وقاله ابن عمر وعلي»^(٤).

الثالث: «يوم النحر وثلاثة أيام التشريق، قاله المروزي»^(٥).

(١) سورة البقرة: من الآية ٢٠٣.

(٢) البحر المحيط: ١١٨/٢.

(٣) البحر المحيط: ١١٨/٢.

(٤) البحر المحيط: ١١٨/٢.

(٥) البحر المحيط: ١١٨/٢.

الرابع: «... أيام العشر، رواه مجاهد عن ابن عباس»^(١).

ثم يضعف هذا الرأي الأخير، فيقول: «قيل: وقولهم أيام العشر غلط من الرواة، قال ابن عطية: إما أن يكون من تصحيف النسخة، وإما أن يريد العشر الذي بعد يوم النحر، وفي ذلك بعد»^(٢).

٣- الدراسة

أ- استدل أبوحيان الأندلسي- بالإضافة إلى الاستدلال برأي ابن عباس ومجاهد وإبراهيم وقتادة والسدي والربيع والضحاك- بسياق الآيات، على أن الأيام المعدودات هي أيام التشريق، فقال: «وظاهر قوله ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾^(٣)، الأمر بمطلق ذكر الله في أيام معدودات، ولم يبين ما هذه الأيام، لكن قوله ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾^(٤) يشعر أن تلك الأيام هي التي ينفر فيها، وهي أيام التشريق»^(٥)، كما استدل بالسياق كذلك على أن الموجه لهم الخطاب في الآية هم هم الحجيج، فقال: «...الخطاب بقوله واذكروا ظاهر أنه للحجاج، إذ الكلام معهم والخطاب قبل لهم، والإخبار بعد عنهم، فلا يدخل غيرهم معهم في هذا الذكر المأمور به»^(٦).

ب- استدل ابن عطية على الرأي نفسه، أن الأيام المعدودات هي أيام التشريق،

(١) البحر المحيط: ١١٨/٢.

(٢) البحر المحيط: ١١٨/٢.

(٣) سورة البقرة: من الآية ٢٠٣.

(٤) سورة البقرة: من الآية ٢٠٣.

(٥) البحر المحيط: ١١٩/٢.

(٦) البحر المحيط: ١١٩/٢.

وهي الثلاثة بعد يوم النحر، وليس يوم النحر منها، بالإجماع، فقال: «ودل على ذلك إجماع الناس على أنه لا ينفر أحد يوم القر، وهو ثاني يوم النحر، ولو كان يوم النحر في المعدودات لساغ أن ينفر من شاء متعجلاً يوم القر، لأنه قد أخذ يومين من المعدودات»^(١)، وتعقبه أبوحيان فقال: «ولا يلزم ما قاله، لأن قوله ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾^(٢) لا يمكن حمله على ظاهره، لأن الظرف المبني إذا عمل فيه الفعل فلا بد من وقوعه في كل واحد من اليومين، لو قلت: ضربت زيداً يومين، فلا بد من وقوع الضرب به في كل واحد من اليومين، وهنا لا يمكن ذلك، لأن التعجيل بالنفر لم يقع في كل واحد من اليومين، فلا بد من ارتكاب مجاز، إما بأن يجعل وقوعه في أحدهما، كأنه وقوع فيهما، ويصير نظير ﴿نَسِيًا حُوتَهُمَا﴾^(٣)، و﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَاتُ﴾^(٤)، وإنما الناسي أحدهما، وكذلك إنما يخرجان من أحدهما، أو بأن يجعل ذلك على حذف مضاف، التقدير: فمن تعجل في ثاني يومين بعد يوم النحر، فيكون اليوم الذي بعد يوم القر المتعجل فيه، ويحتمل أن يكون المحذوف: في تمام يومين أو إكمال يومين، فلا يلزم أن يقع التعجل في شيء من اليومين، بل بعدهما، وعلى هذا يصح أن يعد يوم النحر من الأيام المعدودات، ولا يلزم أن يكون النفر يوم القر، كما ذكره ابن عطية»^(٥).

(١) الخمر الوجيز: ٢٧٧/١.

(٢) سورة البقرة: من الآية ٢٠٣.

(٣) سورة الكهف: من الآية ٦١.

(٤) سورة الرحمن: الآية ٢٢.

(٥) البحر المحيط: ١١٨/٢ و١١٩.

على أية حال لم ينف أبوحيان رأي ابن عطية، إنما اعترض على الاستدلال فقط، بل نقل الإجماع على هذا الرأي فقال: «قال في ري الظمان: أجمع المفسرون على أن الأيام المعدودات أيام التشريق»^(١).
أما الطبري فيستدل بمرويات^(٢) يعزوها إلى ابن عباس رضي الله عنهما، ثم يقول: «وإنما قلنا: إن الأيام المعدودات هي أيام منى، وأيام رمي الجمار، لتظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول فيها: إنها أيام ذكر»^(٣)، ويورد جملة من المرويات عن رسول الله ﷺ في ذلك.

٤ - الترجيح

تنوعت، كما رأينا، طرق استدلال المفسرين على الأيام المعدودات، غير أنهم اتفقوا على أنها أيام التشريق، وإن كان بعضهم قد نقل بعض الآراء حول تحديد أيام التشريق هذه، أمنها يوم النحر أم لا؟ وهل هي يومان بعد النحر أو ثلاثة؟ ورجح عندهم، كما مر أنها ثلاثة أيام بعد العيد، وهو ما جعل الماوردي ينقل الإجماع عن المفسرين «هي أيام منى، قول جميع المفسرين»^(٤)، والله تعالى أعلم.

(١) البحر المحيط: ١١٩/٢.

(٢) البحر المحيط: ١١٩/٢.

(٣) منها ما أخرجه البيهقي: ٢٢٨/٥، وفي الشعب ٣٧٧٠، والسيوطي في الدر المنثور: ٢٣٤/١.

(٤) النكت والعيون: ٦٢٣/١.

المطلب الثاني: الاستدلال على المقتسمين في قوله تعالى

﴿ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴾^(١)

١- القيمة العملية أو العلمية لمعرفة المقتسمين

كثيراً ما يقدم لنا القرآن نماذج لأقوام أطاعوا الله تعالى وعبدوه، فأنعّم عليهم بكرمه ورضوانه، ونماذج لأقوام عصوه وكفروه، فحل عليهم عقابه وانتقامه، من هذه النماذج من قص الله قصصهم دون تسميتهم، ومنهم من سماهم، مركزاً في هذا وذاك على الاعتبار بالقصص، وضرورة ترك المؤمنين فعل ما أهلك هؤلاء، وأهمية فعل ما كان سبب نجاتهم.

غير أن كثيراً من المفسرين شُغِلوا بالبحث وراء معلومات أكثر حول من أغفل القرآن كثيراً من الأمور عنهم، ولعلمهم كانوا يجدون في ذلك مزيد فهم لكتاب الله تعالى، ومعرفة أكثر حول أسباب النجاة وموارد الهلاك، مما يزيد العظات والعبر، ولا مانع من ذلك، بشرط عدم الركون إلى واهي المرويات، والتعسف في التأويل، ولي عنق النص، وغير ذلك من السبل غير المحمودة.

من ذلك معرفة المقصود بالمقتسمين في قوله تعالى ﴿ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى

الْمُقْتَسِمِينَ ﴾^(٢) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ

(١) سورة الحجر: الآية ٩٠.

(٢) سورة الحجر: الآية ٩٠ و٩١.

٢ - اختلاف المفسرين فيهم

ينقل الرازي الاختلاف في تحديد المقتسمين فيقول: «اختلفوا في أن المقتسمين من هم؟ وفيه أقوال:

القول الأول: قال ابن عباس: هم الذين اقتسموا طرق مكة يصدون الناس عن الإيمان برسول الله ﷺ...»

القول الثاني: وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما في بعض الروايات أن المقتسمين هم اليهود والنصارى»^(١).

وحول سبب تسميتهم هذه التسمية يقول: «واختلفوا في أن الله تعالى لم سماهم مقتسمين؟ ف قيل لأنهم جعلوا القرآن عضين، آمنوا بما وافق التوراة وكفروا بالباقي، وقال عكرمة: لأنهم اقتسموا القرآن استهزاء به، فقال بعضهم: سورة كذا لي، وقال بعضهم: سورة كذا لي، وقال مقاتل بن حبان: اقتسموا القرآن فقال بعضهم سحر، وقال بعضهم شعر، وقال بعضهم كذب، وقال بعضهم: أساطير الأولين»^(٢).

القول الثالث: «هم قوم صالح تقاسموا لبنيتنه وأهله، فرمتهم الملائكة بالحجارة حتى قتلوهم، فعلى هذا، الاقتسام من القسَم لا من القسمة»^(٣).

٣ - الدراسة

أ- يلاحظ في هذه المسألة نسبة الرأيين الأول والثاني إلى ابن عباس رضي الله عنهما، فالثاني رواه البخاري بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما

(١) تفسير الفخر الرازي: ٢١٦/١٩.

(٢) تفسير الفخر الرازي: ٢١٦/١٩.

(٣) تفسير الفخر الرازي: ٢١٦/١٩.

﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾^(١)، «قال: هم أهل الكتاب، جزأوه أجزاء، فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه»^(٢)، وفي رواية أخرى للبخاري عن ابن عباس أيضاً ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾^(٣) «قال: آمنوا ببعض وكفروا ببعض: اليهود والنصارى»^(٤).

والأول رواه البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما «أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش، وكان ذا سن فيهم، وقد حضر الموسم، فقال لهم: يا معشر قريش، إنه قد حضر الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ويرد قولكم بعضه بعضاً، قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقل، وأقم لنا رأياً نقل به. فقال: بل أنتم فقولوا وأسمع. قالوا: نقول: إنه كاهن. قال: ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزممة الكاهن ولا سجعه. قالوا: فنقول: إنه مجنون. قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته. قالوا: فنقول: إنه شاعر. قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله، رجزه وهزجه وقريضه، ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشاعر. قالوا: فنقول ساحر. قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنفثهم ولا عقدهم. قالوا: فما تقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لمغدق، وإن فرعه لجناة، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر، يفرق بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجه،

(١) سورة الحجر: الآية ٩١.

(٢) رقم ٣٩٤٥ و ٤٧٠٥.

(٣) سورة الحجر: الآية ٩٠.

(٤) رقم ٤٧٠٦.

وبين المرء وعشيرته، فتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون للناس حين قدموا الموسم، لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه، وذكروا لهم من أمره، فأنزل الله عز وجل في الوليد بن المغيرة، وذلك من قوله ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ (١١) إلى قوله تعالى: ﴿سَاصِلِيهِ سَقَرًا﴾ (٢٦) (٢) وأنزل الله عز وجل في النفر الذين كانوا معه، ويصنعون له القول في رسول الله ﷺ فيما جاء به من عند الله ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ (٩١) ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩٢) (٣) «(٤)» (٤).

ومع أن الرأي الثاني أوثق سندًا، فإن جامع تفسير ابن عباس ومروياته في كتب السنة الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله الحميدي يرجح الرأي الأول، مستندًا إلى سياق الآيات، إذ يقول: «لا شك أن رواية البخاري السابقة أصح من هذه الرواية، ولكن هذه الرواية أنسب لسياق الآيات، حيث جاء في سياق هذه الآيات ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ (٩١) (٥)، وهذا ينطبق على كفار مكة الذين وصفوا القرآن بأنه كهانة وسحر وشعر وقت نزول هذه الآيات، أما اليهود والنصارى فإن كان المراد بهم الذين سبقوا بعثة النبي محمد ﷺ فلا ينطبق عليهم أنهم جزأوا القرآن فأمنوا ببعضه وكفروا ببعضه، فلا بد من تأويل كلمة «القرآن» بالمقروء حتى ينطبق عليهم، لأنها

(١) سورة المدثر: الآية ١١.

(٢) سورة المدثر: الآية ٢٦.

(٣) سورة الحجر: الآية ٩١ و٩٢.

(٤) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي أبو بكر (٣٨٤-٤٥٨هـ)، تحقيق عبدالمعطي قلعجي،

دار الكتب العلمية - دار الريان للتراث، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م، ٢/١٩٩-٢٠٠١.

(٥) سورة الحجر: الآية ٩٠ و٩١.

مكية ولم يحصل الجدل إلا في المدينة»^(١)، ويقوي استدلاله هذا بأدلة أخرى.

ب- وما قاله الحميدي عن أهل الكتاب ممن سبقوا بعثة النبي محمد ﷺ ينطبق تمامًا على قوم صالح الذين رأى أصحاب الرأي الثالث أنهم هم المقتسمون، فما علاقتهم بالقرآن؟ وكيف جعلوه عضين؟ الحق أن أحدًا من موردي هذا الرأي لم يتعرض للإجابة على ذلك، بل لم يقم دليلاً على الرأي أصلاً، اللهم إلا الاستشهاد بقوله تعالى في سورة النمل ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾^(٢)، على أن المقتسمين بمعنى المتحالفين، وواضح أن هذا يرده السياق بقوة، ثم إن الوارد في سورة النمل الفعل تقاسم، واسم الفاعل منه متقاسم، وفي الحجر مقتسم وفعله اقتسم.

ج- أورد المفسرون هذه الآراء دون الترجيح بينها.

٤- الترجيح

يظهر من خلال ما سبق أن المقتسمين قوم كانت لهم صلة بالقرآن، فقد جعلوه عضين، على الخلاف الدائر حول معنى الكلمة (فرقوه أو سموه سحرًا أو... إلخ) فليسوا قوم صالح، وليسوا اليهود والنصارى ممن لم يدركوا القرآن، أما من أدركوه منهم فمحتمل، حتى وإن كانت الآية مكية، لأنه ربما وقع ذلك منهم قبل الهجرة لما سمعوا عن القرآن، ويبقى أنهم نفر من أهل مكة المذكورين في الرأي الأول.

(١) تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة، الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله الحميدي، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، من التراث الإسلامي، الكتاب الثالث والخمسون،

د.ت، ٥٢٣/٢.

(٢) سورة النمل: الآية ٤٩.

ولعل ابن عباس رضي الله عنهما لما رأى ما وقع من أهل الكتاب تجاه القرآن
ألحقهم بالنفر من قريش، فكانت رواية البخاري، والله أعلم.

المطلب الثالث: اللتان تظاهرتا في قوله تعالى ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾^(١)

ليس ثمَّ خلاف بين المفسرين على أن اللتين تظاهرتا في قوله تعالى في سورة التحريم ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾^(٢) هما أما المؤمنین عائشة وحفصة رضي الله عنهما، اعتمادًا على الخبر الذي أخرجه البخاري وغيره، والذي يعد أصلًا في البحث عن المبهم في القرآن، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: «أردت أن أسأل عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله ﷺ فمكثت سنة، فلم أجد له موضعًا حتى خرجت معه حاجًّا، فلما كنا بظهران، ذهب عمر لحاجته، فقال أدركني بالوضوء، فأدركته بالإداوة، فجعلت أسكب عليه، ورأيت موضعًا، فقلت يا أمير المؤمنين: من المرأتان اللتان تظاهرتا؟ فما أتممت كلامي حتى قال عائشة وحفصة»^(٣)، ونلاحظ من هذا الحديث:

١ - لم يرفع عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذا الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنما قصه باعتباره شاهدًا على الحدث.

٢ - ظل ابن عباس مشغولًا بمعرفة اللتين تظاهرتا سنة كاملة يتحين الفرصة للسؤال عنهما، مع أن الذي يظهر أنه ليس هناك فائدة كبيرة ترجع على ابن عباس رضي الله عنهما من معرفتهما، ولعل هذا ما دفع عمرًا رضي الله عنه إلى أن يقول، كما في بعض الروايات، في البخاري أيضًا، واعجبًا لك يا ابن عباس! وينقل الطبري عن الزهري أنه

(١) سورة التحريم: من الآية ٤.

(٢) سورة التحريم: من الآية ٤.

(٣) فتح الباري برقم ٤٩١٥: ٦٥٩/٨.

قال: «وكره والله ما سأله عنه ولم يكتم»^(١)، ومع ذلك فقد أجاب عمر، ولم يكتف بالإجابة إنما قص القصة كاملة على نحو ما جاء عند الإمام البخاري، رحمه الله. وقد ناقش الحافظ ابن حجر ذلك بشيء من التفصيل فقال: «... عمر تعجب من ابن عباس مع شهرته بعلم التفسير، كيف خفي عليه هذا القدر مع شهرته وعظمته في نفس عمر، وتقدمه في العلم على غيره... ومع ما كان ابن عباس مشهوراً به من الحرص على طلب العلم ومداخلة كبار الصحابة وأمهات المؤمنين فيه، أو تعجب من حرصه على طلب فنون التفسير حتى معرفة المبهم، ووقع في «الكشاف» كأنه كره ما سأله عنه. قلت: وقد جزم بذلك الزهري في هذه القصة بعينها فيما أخرجه مسلم من طريق معمر عنه، قال بعد قوله: «قال عمر واعجباً لك يا ابن عباس»: قال الزهري: كره والله ما سأله عنه ولم يكتمه، واستبعد القرطبي ما فهمه الزهري، ولا بعد فيه»^(٢).

وهذا يدفعنا إلى تقرير أن بعض المبهم قد لا يكون في تحديده فائدة عملية أو علمية كبيرة إلا أن الطريق إلى تحديده ممكن، فهذا لا بأس بمعرفته.

(١) جامع البيان: ٢٣/٩٥.

(٢) فتح الباري: ٢٨٠/٩.

المبحث الرابع: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بأقوال التابعين

المطلب الأول: الاستدلال على نعمة الله التي ينكرها الكافرون في سورة النحل

المطلب الثاني: الاستدلال على البيان الذي علمه الله الإنسان

المطلب الثالث: الاستدلال على النجم

الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بأقوال التابعين

التابعون تلامذة الصحابة، تربوا علميًا على أيديهم، وأخذوا عنهم العلم، ولآرائهم في التفسير وغيره مكانة عظيمة، وقد اشتهر بالتفسير من التابعين مجموعة كبيرة، منهم سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الكوفي، ومجاهد بن جبر الإمام الحبر المكي، وعكرمة مولى ابن عباس، والحسن البصري، وسعيد بن المسيب، وأبو عبد الرحمن السلمي... وغيرهم^(١).

وقد نقلت إلينا مرويات كثيرة عن هؤلاء التابعين، نقل أكثرها ابن جرير الطبري في جامع البيان، والسيوطي في الدر المنثور، وغيرهما. لكن الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني يثير أمورًا مهمة حول هذه المرويات، فيقول: «يغلب على الظن أن ما يروى عنهم من تفسير القرآن إنما هو من قبيل الرأي لهم، فليس له قوة المرفوع إلى النبي ﷺ... ينذر فيه الإسناد الصحيح... اشتماله على إسرائيليات وخرافات انسابت إليه تارة من زنادقة الفرس، وأخرى من بعض مسلمة أهل الكتاب، إما بحسن نية، أو بسوء نية»^(٢).

على كل حال فإن الاستدلال على المبهم بأقوال التابعين غير قليل في كتب التفسير، وفيما يلي نماذج منه ودراستها.

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني، تحقيق فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ=١٩٩٥م،

(٢) لمعرفة المزيد حول تفسير التابعين وأهميته ومناهجهم في التفسير ودورهم فيه ومشاهير المفسرين منهم وغير ذلك، يراجع تفسير التابعين.. عرض

ودراسة مقارنة، محمد بن عبدالله بن علي الخضيري، دار الوطن للنشر، د.ت.

المطلب الأول: الاستدلال على نعمة الله في قوله تعالى ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ

اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١)

١ - القيمة العملية أو العلمية لتحديد المبهم في الآية

في الآية وعيد لمن أقر نعمة الله، أو عرفها، ثم أنكرها، ولا شك أن ذلك عام في نعم الله كلها، لكن هذه النعمة التي خصها الله تعالى بالذكر، وختم الآية بالحكم بالكفر على كثير من جاحديها، جديرة بأن يبحث عنها المؤمن حتى يشكر الله عليها ولا يكفره، لكي يتجنب مصير من كفرها.

٢ - اختلاف المفسرين فيها

ينقل الطبري أربعة آراء في المقصود بنعمة الله في الآية:

الأول: أن المقصود بها هو «النبي ﷺ عرفوا نبوته ثم جحدوها وكذبوه»^(٢)، ويروي ذلك بسنده إلى السدي، والثاني: «أنهم يعرفون أن ما عدد الله تعالى ذكره في هذه السورة من النعم من عند الله، وأن الله هو المنعم بذلك عليهم، ولكنهم ينكرون ذلك، فيزعمون أنهم ورثوه عن آبائهم»^(٣)، وينقل الطبري هذا الرأي عن مجاهد وابن جريج، والثالث: يرويه عن عبدالله بن عتبة «إنكارهم إياها أن يقول الرجل لولا فلان ما كان كذا وكذا، ولولا فلان ما أصبت كذا وكذا»^(٤)، والرابع:

(١) سورة النحل: الآية ٨٣.

(٢) جامع البيان: ٣٢٥/١٤.

(٣) جامع البيان: ٣٢٥/١٤.

(٤) جامع البيان: ٣٢٦/١٤.

ينقله دون عزوه لأحد، فيقول: «وقال آخرون: معنى ذلك أن الكفار إذا قيل لهم: من رزقكم؟ أقروا بأن الله هو الذي رزقهم، ثم ينكرون ذلك بقولهم: رزقنا ذلك بشفاعة آهتنا»^(١).

والرأيان الثالث والرابع تبين لكيفية إنكار النعمة، دون توضيح النعمة نفسها، وإن كان الرأي الرابع أشار إلى أن النعمة مقصود بها الرزق.

ويرجح الطبري من بين هذه الأقوال المروية كلها عن تابعين، فيقول: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب وأشبهها بتأويل الآية قول من قال: عنى بالنعمة التي ذكرها الله في قوله ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾^(٢) النعمة عليهم بإرسال محمد صلى الله عليه وسلم إليهم، داعيًا إلى ما بعثه بدعائهم إليه»^(٣)، ويعلل اختياره فيقول: «وذلك أن هذه الآية بين آيتين كلتاها خبر عن رسول الله ﷺ وعمما بعث به، فأولى ما بينهما أن يكون في معنى ما قبله وما بعده، إذ لم يكن معنى يدل على انصرافه عما قبله وعمما بعده»^(٤)، وجلي أن هذا ترجيح بالسياق.

ويزيد البغوي رأيًا خامسًا، فيقول: «وقال قوم: هي الإسلام»^(٥)، هكذا دون أن يعزوه لأحد، ويبدو أن هذا ما مال إليه الطاهر بن عاشور، إذ يقول: «... توليهم عن الإسلام مع وفرة أسباب اتباعه يثير سؤالاً في نفس السامع: كيف خفيت عليهم دلائل الإسلام؟ فيجاب بأنهم عرفوا نعمة الله، ولكنهم أعرضوا عنها إنكارًا

(١) جامع البيان: ٣٢٦/١٤.

(٢) سورة النحل: الآية ٨٣.

(٣) جامع البيان: ٣٢٦/١٤.

(٤) جامع البيان: ٣٢٦/١٤ و ٣٢٧.

(٥) جامع البيان: ٣٢٦/١٤ و ٣٢٧.

ومكابرة»^(١).

ويختار الشوكاني السياق العام فيقول: «هم يعرفون نعمة الله التي عددها، ويعترفون بأنها من عند الله سبحانه ثم ينكرونها بما يقع من أفعالهم القبيحة من عبادة غير الله وبأقوالهم الباطلة...»^(٢)، ويورد الرأي الأول بصيغة التمريض: «وقيل نعمة الله: نبوة محمد»^(٣).

ويختار النسفي الرأي الثاني، أن النعمة مقصود بها النعم المذكورة، والرأي الأول، أن نعمة الله مقصود بها محمد ﷺ، غير مرجح بينهما، فيقول: «يعرفون نعمت الله التي عدناها... أو نعمة الله نبوة محمد ﷺ كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عناداً»^(٤).

٣- الدراسة:

١- اعتمد الطبري في اختياره على السياق القريب، مغفلاً تماماً سياق السورة، الذي يؤدي الاعتماد عليه إلى اختيار الرأي الثاني، أن النعمة هي ما عدد الله تعالى ذكره في هذه السورة من النعم من عند الله، وقد يكون الاعتماد على سياق السورة أولى من الاعتماد على السياق القريب للآية.

٢- هل هناك ما يحمل على ضرورة تخصيص النعمة في الآية بالسياق القريب أو البعيد؟ وماذا لو فهمنا النعمة على أنها كل نعم الله عز وجل، المذكورة في السورة وغير المذكورة؟ هل هناك ما يمنع ذلك؟

(١) التحرير والتنوير: ٢٤٢/١٤.

(٢) معالم التنزيل: ٣٦/٥.

(٣) فتح القدير: ٧٩٦.

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي أبوالبركات (٧٠١هـ)، تحقيق سيد ذكريا، مكتبة نزار مصطفى الباز، د.ت.

٣- الترجيح

تطمئن النفس إلى عدم تخصيص النعمة في الآية الكريمة، بسياق قريب أو بعيد، أو بغير ذلك، فلا حاجة ولا داعي إلى هذا التخصيص، ولعل هذا ما يراه البقاعي، إذ يقول عن هذه النعمة: «... التي تقدم عدُّ بعضها في هذه السورة وغيرها»^(١)، والله أعلم.

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبوالحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (٨٨٥هـ=١٤٨٠م)، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة،

المطلب الثاني: الاستدلال على البيان الذي علمه الله الإنسان

١- القيمة العملية أو العلمية لمعرفة البيان الذي علمه الله الإنسان

يقول الله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ ۙ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۚ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۚ﴾

عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۚ^(١)، وكلها نعمٌ يمتن الله عز وجل بها على الإنسان، فلا بد من معرفة هذه النعم حتى يؤدي الإنسان شكر الله تعالى عليها، ولذا كان من الضروري أن يعرف المسلم المقصود بالبيان في هذه الآيات، بعد أن فهم جيدًا نعمة الخلق ونعمة تعليم القرآن.

٢- اختلاف المفسرين في تحديد البيان

ينقل الماوردي بعض الآراء الواردة في معنى البيان فيقول: «وفيه ستة تأويلات: أحدها: أن البيان الحلال والحرام، قاله قتادة. الثاني: الخير والشر^(٢)، قاله الضحاك والربيع بن أنس. الثالث: المنطق والكلام، قاله الحسن. الرابع: الخط، وهو مأثور. الخامس: الهداية، قاله ابن جريج^(٣). السادس: العقل، لأن بيان اللسان مترجم عنه»^(٤).

ويضيف الماوردي رأيًا سابعًا فيقول: «ويحتمل سابعًا أن يكون البيان ما اشتمل على أمرين: إبانة ما في نفسه ومعرفة ما بين له»^(٥)، ويورد رأيًا ثامنًا

(١) سورة الرحمن: الآيات من ١-٤.

(٢) تفسير الضحاك: ١١٥/٢.

(٣) تفسير ابن جريج: ص ٣٢٥، ولفظه الهدى، و«بين له سبيل الهدى وسبيل الضلالة».

(٤) النكت والعيون: ٤٢٣/٥.

(٥) النكت والعيون: ٤٢٣/٥.

فيقول: «قول ثامن لبعض أصحاب الخواطر: خلق الإنسان جاهلاً به (يعني الله عز وجل)، فعلمه السبيل إليه»^(١).

وأضاف البغوي: «أسماء كل شيء، وقيل: علمه اللغات كلها... وقال الآخرون: النطق والكتابة والفهم والإفهام، حتى عرف ما يقول وما يقال له. هذا قول أبي العالية وابن زيد والحسن، وقال السدي: علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به»^(٢).

أما القرطبي فيضيف: «... والبيان بيان الحلال من الحرام، والهدى من الضلال. وقيل: ما كان وما يكون، لأنه بين عن الأولين والآخين ويوم الدين. وقال الضحاك: البيان الخير والشر. وقال الربيع بن أنس: هو ما ينفعه وما يضره، وقاله قتادة... وقال يمان: الكتابة والخط بالقلم»^(٣).

وزيد الأندلسي في البحر المحيط رأيين آخرين فيقول: «... أو علم الدنيا والآخرة، أو الاسم الأعظم الذي علم به كل شيء»^(٤).

وكذلك يزيد الألويسي رأياً له وجاهته فيقول: «قال ابن كيسان: الإنسان مُخَدَّ صلى الله تعالى عليه وسلم، وعليه قيل: المراد بالبيان بيان المنزل والكشف عن المراد به، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُّوْنَ﴾^(٥) أو الكلام الذي يشرح به المجلد والمبهم في

(١) النكت والعيون: ٤٢٣/٥.

(٢) معالم التنزيل: ٤٤١/٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١١٣/٢٠-١١٤.

(٤) البحر المحيط: ١٨٧/٨.

(٥) سورة النحل: من الآية ٤٤.

القرآن، أو القرآن نفسه... أو نحو ذلك مما يناسبه عليه الصلاة والسلام ويليق به من المعاني السابقة»^(١).

كما يستبعد الألوسي رأيًا آخر يورده، فيقول: «وجوز أن يراد به القرآن، وقد سماه الله تعالى بيانًا في قوله سبحانه ﴿هَذَا بَيَانٌ﴾^(٢) وأعيد ليكون الكلام تفصيلًا لإجمال علم القرآن، وهذا في غاية البعد»^(٣).

٣- الدراسة

١- الآراء السابقة الواردة في المقصود بـ«البيان» في سورة الرحمن، في مجملها، منقولة عن التابعين، ولم يرد عن الصحابة منها شيء، وهو ما قد يشير إلى أن اللفظ لم يكن مبهمًا ولا غامضًا عند الصحابة، وأنهم فهموه بسليقتهم اللغوية ومعرفتهم بمدلولات اللغة، أو على الأقل لم يتوقفوا معه طويلاً.

٢- يورد أبوحيان الأندلسي إجماعًا في المسألة فيقول: «وقال ابن زيد والجمهور: البيان: المنطق والفهم والإبانة، وهو الذي فضل به الإنسان على سائر الحيوان»^(٤)، والرأي نفسه يختاره ابن كثير: «... وقول الحسن هاهنا أحسن وأقوى»^(٥)، ويقويه بالاستدلال بالسياق فيقول: «لأن السياق في تعليمه تعالى القرآن، وهو أداء تلاوته، وإنما يكون ذلك بتيسير النطق على الخلق وتسهيل

(١) روح المعاني: ٩٩/٢٧.

(٢) سورة آل عمران: من الآية ١٣٨.

(٣) روح المعاني: ٩٩/٢٧.

(٤) البحر المحيط: ١٨٧/٨.

(٥) تفسير القرآن العظيم: ٤٨٩/٧.

خروج الحروف من مواضعها من الحلق واللسان والشففتين، على اختلاف مخارجها وأنواعها»^(١).

٣- وللطبري رأي آخر في المسألة، فبعد أن ينقل بسنده بعض الآراء السابقة يقول: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: معنى ذلك أن الله علم الإنسان ما به الحاجة إليه من أمر دينه ودنياه من الحلال والحرام، والمعاش والمنطق، وغير ذلك مما به الحاجة إليه، لأن الله - جل ثناؤه - لم يخصص بخبره ذلك أنه علمه من البيان بعضاً دون بعض، بل عمّ فقال: علمه البيان، فهو كما عمّ، جل ثناؤه»^(٢).

٤- الترجيح

تطمئن النفس إلى رأي الجمهور في المسألة، فهو ما يستقيم مع اللغة، وما يغلب على الظن أن الصحابة فهموه بسليقتهم اللغوية ومعرفتهم باللغة، وهو المتبادر إلى الذهن، كما يقول الألويسي: «والمتبادر إلى الذهن من الآيات الكريمة لا يخفى عليك، ولا أظنك في مرية من تبادر ما ذكرناه فيها أولاً»^(٣) ولا دليل على الآراء الأخرى، مثل الهدى والضلال والحرام والحلال وعلم الدنيا والآخرة والمعاش والمناطق... وغير ذلك، فضلاً عن الجمع بينها، كما حاول الطبري.

هذا إذا اعتبرنا أن الإنسان في الآيات مقصود به جنس الإنسان، أما إذا اعتبرنا أن المقصود به محمد ﷺ فمن الوارد بقوة أن يكون البيان هنا «بيان المنزل

(١) تفسير القرآن العظيم: ٤٨٩/٧.

(٢) جامع البيان: ١٧٠/٢٢.

(٣) روح المعاني: ٩٩/٢٧.

والكشف عن المراد به»^(١)، كما يرى الألوسي، وفي المقصود بالإنسان هنا أورد المفسرون ثلاثة آراء: أنه آدم عليه السلام، أو مُحَمَّدٌ ﷺ، أو جنس الإنسان.. والله تعالى أعلى وأعلم.

(١) روح المعاني: ٢٧/٩٩.

المطلب الثالث: الاستدلال على النجم في قوله تعالى ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾^(١)

١ - القيمة العملية أو العلمية لمعرفة النجم

أقسم الله سبحانه وتعالى بالنجم إذا هوى، ولا يُقسم عادة إلا بذي شأن، وحري بالمسلم أن يقف على ما عظمه الله سبحانه وتعالى من مخلوقاته وأقسم به، «وإقسامه تعالى ببعض مخلوقاته دليل على أنها من عظيم آياته»^(٢).

أضف إلى ذلك ما أشارت إليه الدكتورة عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطي) في كتابها «التفسير البياني للقرآن الكريم» من علاقة بيانية قوية بين المقسم به والمقسم عليه^(٣)، وفي هذا ما لا يخفى من الإعانة على فهم كتاب الله عز وجل وتدبره، ولعل هذا ما يحاول أن يستجليه في هذا الموطن الطاهر بن عاشور، إذ يقول: «ومناسبة القسم بالنجم إذا هوى أن الكلام مسوق لإثبات أن القرآن وحي من الله منزل من السماء، فشابه حال نزوله الاعتباري حال النجم في حالة هويته، مشابهة تمثيلية حاصلة من نزول شيء منير إنارة معنوية نازل من محل رفعة معنوية، شبه بحالة نزول نجم من أعلى الأفق إلى أسفله، وهو تمثيل المعقول بالمحسوس، أو الإشارة إلى مشابهة حالة نزول جبريل من السموات بحالة نزول النجم من أعلى مكانه إلى أسفله، أو بانقضاض الشهاب تشبيه محسوس بمحسوس، وقد يشبهون

(١) سورة النجم: الآية ١.

(٢) التبيان في أقسام القرآن، ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي (٧٥١هـ) مكتبة المتنبّي، القاهرة، د.ت،

ص٧٠.

(٣) التفسير البياني للقرآن الكريم، الدكتورة عائشة بنت الشاطي، دار المعارف، الطبعة السابعة، د.ت، الطبعة الأولى ١٩٦٢م، كما ذكرت المؤلف في

مقدمتها، ٢٥/١، وما بعدها.

سرعة الجري بانقضاء الشهاب»^(١).

٢ - اختلاف المفسرين في تحديد المقصود من النجم

ينقل ابن كثير اختلاف المفسرين في تحديد النجم فيقول: «اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾^(٢)، فقال ابن أبي نجیح عن مجاهد^(٣): يعني بالنجم: الثريا إذا سقطت مع الفجر، وكذا روي عن ابن عباس، وسفيان الثوري، واختاره ابن جرير، وزعم السدي أنها الزهرة، وقال الضحاك: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾^(٤) إذا رمي به الشياطين»^(٥)، ويتحمس ابن كثير لهذا الرأي فيقول: «وهذا القول له اتجاه»^(٦)، ويكمل باقي الآراء قائلاً: «وروى الأعمش عن مجاهد في قوله ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾^(٧) يعني: القرآن إذا نزل، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾^(٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ^(٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ^(٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ^(٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ^(٧٩) تَنْزِيلٌ

(١) التحرير والتنوير: ٩٢/٢٧ و٩١/٩٢.

(٢) سورة النجم: الآية ١.

(٣) تفسير مجاهد، أبوالحجاج مجاهد بن جبر القرشي المخزومي (١٠٤هـ)، ضبط نصه وخرج أحاديثه أبو محمد الأسيوطي، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م=١٤٢٦هـ، ص ٢٧٢.

(٤) سورة النجم: الآية ١.

(٥) تفسير القرآن العظيم: ٤٤٢/٧.

(٦) تفسير القرآن العظيم: ٤٤٢/٧.

(٧) سورة النجم: الآية ١.

مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ (١) «(٢)».

أما عن مشكل أن الثريا مجموعة نجوم، والنجم المقسم به هنا مفرد، فيجيب القرطبي: «والعرب تسمي الثريا نجمًا وإن كانت في العدد نجومًا، يقال: إنها سبعة أنجم، ستة منها ظاهرة وواحد خفي يمتحن الناس به أبصارهم» (٣)، وينقل عن القاضي القاضي عياض في كتابه «الشفاء» «أن النبي ﷺ كان يرى في الثريا أحد عشر نجمًا» (٤).

ويتابع نقل الآراء الواردة في النجم وحل مشكل التعبير بالمفرد عن الجمع، فيقول: «عن مجاهد أيضًا أن المعنى: والقرآن إذا نزل، لأنه كان ينزل نجومًا» (٥). وقاله الفراء. وعنه أيضًا: يعني نجوم السماء كلها حين تغرب، وهو قول الحسن قال: أقسم الله بالنجوم إذا غابت. وليس يمتنع أن يعبر عنها بلفظ واحد ومعناه جمع، كقول الراعي:

فباتت تعد النجم في مستحيرة

سريع بأيدي الآكلين جمودها

وقال عمر بن أبي ربيعة:

أحسن النجم في السماء الثريا

(١) سورة الواقعة: الآيات من ٧٥ - ٨٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٤٤٢/٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٦/٢٠.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ٦/٢٠، وانظر «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى»، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى البحصي (٤٧١-٥٥٤هـ)،

تحقيق محمد أمين قره علي وأسامة الرفاعي وجمال السيروان ونورالدين قره علي وعبدالفتاح السيد، طبعة دار الوفاء - دمشق، د.ت، ١/١٦٤.

(٥) أي منجمًا يعني مفرقًا.

والثريا في الأرض زين النساء

وقال الحسن أيضاً: المراد بالنجم النجوم إذا سقطت يوم القيامة. وقال السدي: إن النجم هاهنا الزهرة، لأن قومًا من العرب كانوا يعبدونها. وقيل: المراد به النجوم التي ترجم بها الشياطين»^(١).

ومع أن القرطبي ينقل هذا الرأي بصيغة التمریض دون أن يعزوه لأحد، فإنه يحاول أن يبين له سببًا، فيقول: «وسببه أن الله تعالى لما أراد بعث محمد ﷺ رسولاً أكثر انقضا الكواكب قبل مولده، فذعر أكثر العرب منها وفزعوا إلى كاهن كان لهم ضرياً، كان يخبرهم بالحوادث فسأله عنها فقال: انظروا البروج الاثني عشر، فإن انقضى منها شيء فهو ذهاب الدنيا، فإن لم ينقض منها شيء فسيحدث في الدنيا أمر عظيم، فاستشعروا ذلك، فلما بعث رسول الله ﷺ كان هو الأمر العظيم الذي استشعروه، فأنزل الله تعالى: والنجم إذا هوى أي ذلك النجم الذي هوى هو لهذه النبوة التي حدثت»^(٢).

ويتابع باقي الآراء فيقول: «وقيل: النجم هنا هو النبات الذي ليس له ساق، وهوى أي سقط على الأرض»^(٣). وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم: والنجم يعني محمداً ﷺ إذا هوى إذا نزل من السماء ليلة المعراج»^(٤).

وينحو الطاهر بن عاشور منحى لغويًا تحليليًا في الاستدلال على النجم فيقول: «وتعريف النجم باللام يجوز أن يكون للجنس كقوله ﴿وَالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٧٠٦/٢٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٧/٢٠، ذكرها الماوردي في تفسيره الموطن نفسه، ولم أفق عليها في كتب أسباب النزول.

(٣) عزاه البغوي إلى الأخفش، انظر معالم التنزيل: ٤٠٠/٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ٧/٢٠.

﴿١٦﴾ (١) وقوله ﴿وَالنَّجْمِ وَالشَّجَرِ يَسْجُدَانِ﴾ ﴿٦﴾ (٢)، ويحتمل تعريف العهد. وأشهر النجوم بإطلاق اسم النجم عليه الثريا...» (٣).

ويضيف إلى الآراء السابقة فيقول: «وقيل النجم: الشعرى اليمانية، وهي العبور، وكانت معظمة عند العرب وعبدها خزاعة، ويجوز أن يكون المراد بالنجم: الشهاب، وبهويه: سقوطه من مكانه إلى مكان آخر، قال تعالى ﴿إِنَّا زَيْنًا أَلْمَاءَ الدُّنْيَا زَيْنَةً﴾ ﴿٦﴾ وَالنَّجْمِ وَالشَّجَرِ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ (٤) وقوله ﴿وَلَقَدْ زَيْنَّا السَّمَاءَ﴾ ﴿٥﴾ (٥) أَلْمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ (٦).

أما الشنقيطي فيرى «أن المراد بالنجم إذا هوى هنا في هذه السورة، وبمواقع النجوم في الواقعة هو نجوم القرآن التي نزل بها الملك نجمًا فنجمًا، وذلك لأمرين: أحدهما: أن هذا الذي أقسم الله عليه بالنجم إذا هوى الذي هو أن النبي ﷺ على حق وأنه ما ضل وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، موافق في المعنى لما أقسم عليه بمواقع النجوم، وهو قوله ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ (٧)،

(١) سورة النحل: من الآية ١٦.

(٢) سورة الرحمن: الآية ٦.

(٣) التحرير والتنوير: ٢٧/٨٩.

(٤) سورة الصافات: الآيتان ٦ و ٧.

(٥) سورة الملك: الآية ٥.

(٦) التحرير والتنوير: ٢٧/٨٩ و ٩٠.

(٧) سورة الواقعة: الآيات من ٧٧ - ٨٠.

والإقسام بالقرآن على صحة رسالة النبي ﷺ وعلى صدق القرآن العظيم وأنه منزل من الله جاء موضحًا في آيات من كتاب الله (يدل على ذلك بأول يس وأول الزخرف)... والثاني أن كون المقسم به المعبر بالنجوم هو القرآن العظيم أنسب لقوله بعده: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَتَّعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۗ (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۗ (٧٧)﴾ (١)، لأن هذا التعظيم من الله يدل على أن هذا المقسم به في غاية العظمة، ولا شك أن القرآن الذي هو كلام الله أنسب لذلك من نجوم السماء ونجم الأرض.. والعلم عند الله تعالى» (٢).

وهذا استدلال حسن من الشنقيطي بسياق القرآن، القريب منه والبعيد، لكن يردده أن الله تعالى أقسم بعدد من مخلوقاته في الكون على صحة الرسالة أيضًا، فقال: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ۗ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنُوسِ ۗ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۗ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۗ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۗ (١٩)﴾ (٣) وقوله تعالى ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصَرُونَ ۗ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصَرُونَ ۗ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۗ (٤٠)﴾ (٤).

ويغرب الألووسي فيذكر رأيين آخرين في النجم، فيقول: «وقيل: هو الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وقيل: العلماء على إرادة الجنس، والمراد بهويهم قيل: عروجهم في معارج التوفيق إلى حظائر التحقيق. وقيل: غوصهم في بحار الأفكار

(١) سورة الواقعة: الآيات من ٧٦ - ٧٧.

(٢) أضواء البيان: ٧٤٥/٧ و٧٤٦.

(٣) سورة التكويد: الآيات من ١٥ - ١٩.

(٤) سورة الحاقة: الآيات من ٣٨ - ٤٠.

لاستخراج درر الأسرار»^(١).

٣- الدراسة

١- سبق أن رد البحث استدلال الشنقيطي على أن النجم إذا هوى هو القرآن إذا نزل.

٢- «ال» التعريف في كلمة «النجم» إما أن تكون عهدية ذهنية، أو عهدية حضورية، أو جنسية، فأما إن كانت عهدية ذهنية فإن المقصود بالنجم هنا الثريا، على ما مر من أن كلمة «النجم» تطلق عليها، وأما إن كانت عهدية حضورية، فإن المذكور من النجوم في سياق السورة «الشعري»، فتكون هي النجم المقصود حينئذٍ، وأما إن كانت جنسية فيكون المقصود من النجم جنس النجوم، ويدخل هنا رأي من قال إنها النجوم ترمى بها الشياطين، أو النجوم تتساقط لمبعث النبي صلى الله عليه وسلم.

٣- الرأي القائل إن النجم مقصود به الثريا نقله بعض المفسرين عن ابن عباس رضي الله عنه والذي في تفسير الطبري أن ابن عباس فسّر كيفية الهوي، ولم يفسر النجم «عن ابن عباس... قال ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾^(٢)، إذا انصب»^(٣)، لذلك حينما اختار الطبري هذا الرأي نسبه إلى مجاهد وليس إلى ابن عباس: «الصواب من القول في ذلك عندي ما قاله مجاهد من أنه عنى بالنجم في هذا الموضع الثريا، وذلك أن العرب تدعوها النجم»^(٤)، ويقوي السمين الحلبي هذا الرأي لغويًا فيقول: «...»

(١) روح المعاني: ٤٥/٢٧.

(٢) سورة النجم: الآية ١.

(٣) جامع البيان: ٥/٢٢.

(٤) جامع البيان: ٧/٢٢.

والصحيح أنها الثريا، لأن هذا صار علمًا بالغلبة. ومنه قول العرب: إذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعي كساء. وقالوا أيضًا: طلع النجم غدية فابتغى الراعي كسبية»^(١).

٤ - يقول الله عز وجل حكاية عن الجن ﴿ وَأَنَا كُنَّا نَقَعُدُّ مِنْهَا مَقْعِدَ لِسَمْعٍ ۗ

فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ۗ ١ ﴾^(٢)، ويقول ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ

فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۗ ١٠ ﴾^(٣)، وكان قذف الجن بالشهاب بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم.

٥ - الترجيح

الذي تطمئن إليه النفس أن المقصود بالنجم الشُّهْب التي تُرمى بها الشياطين، لأنه لما كان رمي الشياطين بالشهب مرتبطًا بمبعث الرسول ﷺ ناسب ذلك المقسوم عليه وهو قوله تعالى ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۗ ٢ ﴾^(٤) فهو قسم على صدق رسالته وتبرئته من الزيغ والضلال، على نحو ما أشار إليه ابن عاشور، ولا يبعد أن يكون المقصود هو الثريا أو الشعري على نحو ما بينا في رقم ٢ في الدراسة.. والله تعالى أعلى وأعلم.

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (٧٥٦هـ)، تحقيق أحمد محمد الخراط، دار القلم - دمشق،

د.ت، ١٠/٨٢.

(٢) سورة الجن: الآية ٩.

(٣) سورة الصافات: الآية ١٠.

(٤) سورة النجم: الآية ٢.

الفصل الرابع: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بالمعقول

المبحث الأول: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بالسياق

المبحث الثاني: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم باللغة

المبحث الثالث: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بالاستنباط

المبحث الأول: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بالسياق

المطلب الأول: تعريف السياق لغة واصطلاحًا

المطلب الثاني: مشروعية الاستدلال بالسياق في التفسير

المطلب الثالث: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بالسياق

المسألة الأولى: الاستدلال على المتقدمين والمستأخرين

المسألة الثانية: الاستدلال على «أمر الله» في أول سورة النحل

المسألة الثالثة: الاستدلال على الذي نادى مريم

المطلب الأول: تعريف السياق لغة واصطلاحًا

١- السياق لغة

«السياق ككتاب، وهو من سوق، وأصله سِواق، فقلبت الواو ياء لكسرة السين»^(١)، و«السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حدو الشيء، يقال ساقه يسوقه سوقًا»^(٢).

و«سوق الإبل جلبها وطردها، يقال سقته فانساق... والسُّوق المكان الذي يجلب له المتاع للبيع، والسُّويق سمي بذلك لانسياقه في الحلق من غير مضغ»^(٣)، وقال ابن دريد: «والسُّوق معروفة، تؤنث وتذكر، وأصل اشتقاقها من سوق الناس إليها بضائعهم»^(٤).

و«انساق وتساقوت الإبل تساقًا إذا تتابعت... والمساوقة: المتابعة، كأن بعضها يسوق بعضًا... تقول العرب: ساق فلان من امرأته أي أعطها مهرها، وساق إليها الصداق والمهر سياقًا وأساقه، وإن كان دراهم ودنانير، لأن أصل الصداق عند العرب الإبل، وهي التي تساق، فاستعمل ذلك في الدرهم والدينار وغيرهما من العملات»^(٥).

«ومن المجاز... وهو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك سياق الحديث،

(١) القاموس المحيط، مجد الدين نُجْد بن يعقوب الفيروزآبادي (٨١٧هـ)، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف نُجْد نعيم العرقسوسي،

مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة ٢٠٠٥م=١٤٢٦هـ، ص ٨٩٥، مادة سوق.

(٢) مقاييس اللغة: ١١٧/٣.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (٤٢٥هـ)، تحقيق صفوان عدنان داودي، دار القلم، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ، ص ٤٣٦.

(٤) جمهرة اللغة، أبو بكر نُجْد بن الحسن بن دريد (٣٢١هـ)، تحقيق الدكتور رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى نوفمبر ١٩٨٧،

٨٥٣/٢.

(٥) لسان العرب: ٢١٥٤/٣.

وهذا الكلام مساقه كذا، وجئتك بالحديث على سوقه، أي سرده»^(١)، ف«سياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه»^(٢).

والخلاصة أن «أغلب هذه التعريفات والاستعمالات تدور على معنى التتابع والتوالي والجمع والاتصال والتسلسل، فسوق الإبل والدواب من تتابعها واتصالها ببعضها، وكذلك مهر المرأة، فقد كان الأصل فيه أن يكون من الإبل والدواب فتساق إليها، فاستعمل بعد ذلك في الدراهم والدنانير، وكذا السُّوق لما يجمع إليه ويتتابع عليه من البضائع... وسياق الكلام من تواليه وتتابعه وتسلسله»^(٣).

(١) أساس البلاغة، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد (٥٣٨هـ)، تحقيق مُجَدِّد باسل عيون السود، منشورات مُجَدِّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م، ٤٨٤/١.

(٢) المعجم الوسيط: ٣٣٠.

(٣) السياق القرآني وأثره في التفسير.. دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم

القرآن، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين قسم الكتاب والسنة، إعداد الباحث عبدالرحمن عبدالله سرور

جرمان المطيري، الرقم الجامعي ٤٢٧٨٠٠٦٧، إشراف الدكتور خالد بن عبدالله القرشي، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م، ص ٦٣.

٢- السياق اصطلاحًا

لا نجد تعريفًا للسياق في كتب الأقدمين رغم دورانه على ألسنتهم كثيرًا، ولعل من أشهر ما جاء في حديثهم عن السياق ما بوب به الإمام الشافعي قائلًا: «الصنف الذي يبين سياقه معناه»^(١).

ولقد حاول الباحثون- كل في مجاله- في العصر الحديث تعريف السياق، فتوافرت لدينا تعريفات للسياق عند اللغويين والبلاغيين والأصوليين والمفسرين^(٢)، والذي يعيننا هنا تعريف السياق عند المفسرين.

فقد رأى الباحث ردة الله الطلحي أن «كلمة السياق في تعبير المفسرين تطلق على الكلام الذي خرج مخرجًا واحدًا، واشتمل على غرض واحد، هو المقصود الأصلي للمتكلم، وانتظمت أجزاءه في نسق واحد، مع ملاحظة أن الغرض من الكلام أو المعاني المقصودة بالذات هي العنصر الأساسي في مفهوم السياق»^(٣).

ويعرف الباحث عبدالحكيم القاسم السياق بأنه «تتابع الكلام وتساوقه وتقاوده»^(٤)، ودلالة السياق بأنها «فهم النص بمراعاة ما قبله وما بعده»^(١).

(١) الرسالة، الإمام المطليبي محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠-٢٠٤هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د.ت، ٦٢/١.

(٢) وقد أفرد الباحث ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي الفصل الأول من الباب الأول من رسالته للدكتوراه في علم اللغة، المقدمة لجامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية، تحت إشراف الدكتور عبدالفتاح عبدالعليم البركاوي، بعنوان «دلالة السياق»، للحديث عن السياق عند هؤلاء جميعًا، انظر الرسالة ص ٤٧ وما بعدها.

(٣) دلالة السياق: ص ٥١.

(٤) دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير.. دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير، عبدالحكيم القاسم، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ص ٦٢.

ويعرف دلالة السياق في التفسير بأنها بيان اللفظ أو الجملة في الآية بما لا يخرجها عن السابق واللاحق إلا بدليل صحيح يجب التسليم له»^(٢).

وكذلك من تعريفات السياق عند الباحثين أنه «تتابع المفردات والجمل والتراكيب القرآنية المترابطة لأداء المعنى»^(٣)، ومن تعريفات دلالة السياق القرآني أنها «بيان الكلمة أو الجملة القرآنية منتظمة مع ما قبلها وما بعدها»^(٤).

ويخلط بعض الباحثين بين السياق وقريئة الحال، كما يسميها الأصوليون، فيقول الباحث محمود الربيعة إن السياق هو «الغرض الذي ينتظم به جميع ما يرتبط بالنص من القرائن اللفظية والحالية»^(٥)، ويقول الباحث فهد بن شتوي الشتوي إن السياق هو «الغرض الذي تتابع الكلام لأجله مدلولاً عليه بلفظ المتكلم، أو حاله، أو أحوال الكلام، أو المتكلم فيه، أو السامع»^(٦).

على كل حال فالمقصود هنا في هذا البحث من الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بالسياق «محاولة معرفة المبهم بتتابع الكلام وتساوقه، ومراعاة السابق واللاحق، سواء في الآية الواحدة أو المقطع الواحد أو السورة

(١) دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير: ص ٦٢.

(٢) دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير: ص ٦٢.

(٣) السياق القرآني وأثره في التفسير: ص ٧١.

(٤) دلالة السياق القرآني في تفسير أضواء البيان للعلامة الشنقيطي.. دراسة موضوعية تحليلية، أحمد لاني المطيري، رسالة ماجستير مقدمة للجامعة الأردنية، ص ١٤.

(٥) دلالة السياق وأثرها في توجيه التشابه اللفظي في قصة موسى - عليه السلام - دراسة نظرية تطبيقية، فهد بن شتوي الشتوي، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم القرى بالملكة العربية السعودية، ص ٢٧.

(٦) أثر السياق القرآني في التفسير.. دراسة نظرية تطبيقية على سورتي الفاتحة والبقرة، محمود الربيعة، رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ص ١٩.

الواحدة، أو حتى في القرآن كله^(١)، من غير نص صريح على ذلك المبهم»، فالنص الصريح على المبهم يدخل تحت باب الاستدلال على المبهم في القرآن بالقرآن، وقد مرت معنا نماذج منه، وتأتي نماذج من الاستدلال على المبهم في القرآن بالسياق، إن شاء الله.

وقد خلط الباحث عبدالرحمن المطيري بين تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بسياق القرآن فقال: «تستمد دلالة السياق القرآني أهميتها من كونها تفسيراً للقرآن الكريم بالقرآن نفسه، حيث إنها بيان المعنى من خلال تتابع المفردات والجمل والتراكيب القرآنية المترابطة، بل إن سياق الآية وسياق المقطع من أعلى مراتب تفسير القرآن بالقرآن، لأنه في محل واحد»^(٢)!

وقد أشار العز بن عبدالسلام إلى التفرقة بين النوعين، فذكر كل واحد منهما على حدة، والتعدد يعني التغاير، لا سيما أنه فصل بينهما بمرجحات أخرى، يقول: «وقد يتردد (أي معنى الآية) بين محامل كثيرة يتساوى بعضها مع بعض،

(١) وسع الدكتور محمد إقبال عروي مفهوم السياق فقال: «... وهذا يجعل مفهوم السياق يتسع ليصير ذا أربع شعب، شعبة السياق النصي القريب... شعبة السياق المقامي، وهو الداخل في مفهوم أسباب النزول... شعبة السياق الكلي للخطاب... شعبة السياق المقاصدي للخطاب القرآني». (انظر «دور السياق في الترجيح بين الأقاويل التفسيرية»، د. محمد إقبال عروي، الإصدار رقم ١ من سلسلة إصدارات «روافد»، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، قطاع الشؤون الثقافية، إدارة الثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى أبريل ٢٠٠٧م = ربيع الأول ١٤٢٨هـ، ص ٣٧)، غير أن الشعبة الثانية من هذه الشعب لا تندرج تحت السياق اللفظي الذي نحن بصدد الحديث عنه. كما جاء في كتاب «دلالة السياق.. منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم»، عبدالوهاب أبوصفية الحارثي، عمان- الأردن، الطبعة الأولى ١٩٨٩ أن «السياق قد يضاف إلى مجموعة من الآيات التي تدور حول غرض أساسي واحد، كما أنه قد يقتصر على آية واحدة، ويضاف إليها، وقد يكون له امتداد في السورة كلها، بعد أن يمتد إلى ما يسبقه ويلحقه، وقد يطلق على القرآن بأجمعه، ويضاف إليه، بمعنى أن هناك: سياق الآية، وسياق النص، وسياق السورة، والسياق القرآني، فهذه دوائر متداخلة متكافلة حول إيضاح المعنى»، ص ٨٨.

(٢) السياق القرآني وأثره في التفسير: ص ٧٦.

ويترجح بعضها على بعض، وأولى الأقوال ما دل عليه الكتاب في موضع آخر أو السنة أو إجماع الأمة أو سياق الكلام، وإذا احتمل الكلام معنيين وكان حملة على أحدهما أوضح وأشد موافقة للسياق كان الحمل عليه أولى»^(١).

(١) الإشارة إلى الإنجاز في بعض أنواع المجاز، العز بن عبدالسلام (٥٧٧-٦٦٠هـ)، دار الحديث، القاهرة، د.ت، ص ٢٢٠.

المطلب الثاني: مشروعية الاستدلال بالسياق في التفسير

أول من استدل بالسياق في التفسير هو رسول الله ﷺ حينما سأله أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها عن قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً تَوْأَمًا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ (٦٠) ^(١)، فقالت: هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ فقال رضي الله عنه: « لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصلون، ويصومون، ويتصدقون، وهم يخافون ألا يقبل منهم ﴾ ﴿ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ (٦١) ^(٢)»، وهذا استدلال منه رضي الله عنه باللاحق في السياق.

ومن الصحابة، رضوان الله عليهم، من استدل بالسياق في التفسير كذلك، فهذا الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه سأله رجل قائلاً: يا أمير المؤمنين: رأيت قول الله ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ (١٤١) ^(٤)، وهم يقاتلوننا فيظهرون ويقتلون؟! فقال له الإمام علي رضي الله عنه: أدنه! أدنه! ثم قال ﴿ فَأَلَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾

(١) سورة المؤمنون: الآية ٦٠.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٦١.

(٣) رواه الترمذي في جامعه: ٢٣٦/٥ في أبواب تفسير القرآن، باب «ومن سورة المؤمنين»، برقم ٣١٧٥، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ١٦٢ (السلسلة الصحيحة وشيء من فقهها، مجّد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م)،

وابن ماجة في سننه، في كتاب الزهد، باب التوقي على العمل، برقم ٤١٩٨، والحاكم في مستدركه وصححه: ٣٩٣/٢-٣٩٤.

(٤) سورة النساء: من الآية ١٤١.

﴿١٤١﴾ (١) .. يوم القيامة (٢)، وهذا استدلال منه ﷺ بالسابق في السياق.

ولما قال نافع بن الأزرق لابن عباس رضي الله عنهما: تزعم أن قومًا يخرجون من النار، وقد قال الله عز وجل ﴿وَمَا هُمْ بِمُخْرَجِينَ مِنْهَا﴾ (٣)، قال له ابن عباس رضي الله عنهما: ويحك اقرأ ما فوقها، هذه للكفار (٤)، وهذا استدلال منه ﷺ وعن أبيه بالسابق في السياق.

وقال الإمام أحمد بن حنبل ﷺ عن قوله تعالى ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ (٥): «قالوا إن الله عز وجل معنا وفينا، فقلنا لم قطعتم الخبر من أوله؟ إن الله عز وجل يقول ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (٦) ثم قال ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ (٧) يعني أن الله بعلمه رابعهم ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ﴾ (٨) يعني الله بعلمه بعلمه ﴿سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ (٩) يعني بعلمه فيهم

(١) سورة النساء: من الآية ١٤١.

(٢) جامع البيان: ٦٠٩/٧ و٦١٠، ورواها الطبري كذلك عن ابن عباس، وتفسير الصنعاني: ١٧٥/١.

(٣) سورة المائدة: من الآية ٣٧.

(٤) جامع البيان: ٤٠٦/٨ و٤٠٧.

(٥) سورة المجادلة: من الآية ٧.

(٦) سورة المجادلة: من الآية ٧.

(٧) سورة المجادلة: من الآية ٧.

(٨) سورة المجادلة: من الآية ٧.

(٩) سورة المجادلة: من الآية ٧.

﴿أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يَنْتَهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٧) ^(١) يفتح الخبر بعلمه، ويختتم الخبر بعلمه» ^(٢).

أما كلام العلماء عن أهمية مراعاة السياق في التفسير فطويل، نكتفي بإيراد بعضه، فيما يأتي:

- ١ - روى أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن عن مسلم بن يسار ^(٣) يسار ^(٣) أنه قال: «إذا حدثت عن الله حديثاً فقف حتى تنظر ما قبله قبله وما بعده» ^(٤).
- ٢ - يقول الأنباري ^(٥): «إن كلام العرب يصحح بعضه بعضاً، ويرتبط أوله

(١) سورة المجادلة: من الآية ٧

(٢) الرّد على الزنادقة والجهميّة فيما شكّت فيه من مُتشابه القرآن وتأوّلته على غير تأويله، إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن مُجَدِّد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ)، ومعه تقارير وافية مجموعة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١-٧٢٨هـ)، تقرّظ فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، ومعالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، دراسة وتحقيق دغش بن شبيب العجمي، دار غراس، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م ص ٢٩٦ و ٢٩٧، واجتماع الجيوش الإسلامية، شمس الدين أبو عبد الله مُجَدِّد بن أبي بكر بن أيوب، المعروف بابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٤هـ، ص ١٢٣، والعلو للعلي العظيم وإيضاح صحيح الأخبار من سقيمها، شمس الدين الذهبي (٧٤٨هـ)، تحقيق عبد الله بن صالح البراك، دار الوطن للنشر، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م، ١١١٤/٢.

(٣) هو أبو عبد الله مسلم بن يسار البصري، تابعي جليل توفي سنة ١٠٠هـ، قيل إنه كان مولى لبني أمية، فقيه ثقة، وزاهد عابد، كان لا يفضل عليه أحد في زمانه (المعارف، عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢١٣-٢٧٦هـ)، تحقيق: د. ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، ص ٢٣٤).

(٤) فضائل القرآن، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (٢٢٤هـ)، تحقيق مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير - لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ=١٩٩٥م، ص ٣٧٧.

(٥) هو أبو بكر مُجَدِّد بن القاسم بن مُجَدِّد بن بشار الأنباري البغدادي الحنبلي، ولد في بغداد سنة ٢٧١هـ، إمام، حافظ مقرئ مفسر نحوي أديب من مؤلفاته المشكل في معاني القرآن، وغريب الحديث، وإيضاح الوقف والابتداء، والأضداد... وغيرها. توفي سنة ٣٢٨هـ (طبقات الحنابلة،

أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه، واستكمال جميع حرفه»^(١).

٣- يرى الإمام الجويني^(٢) أن «المعاني يتعلق معظمها بفهم النظم والسياق»^(٣).

٤- ينصح ابن تيمية من يريد فهم معنى آية فيقول: «فتأمل ما قبل الآية وما بعدها يطلعك على حقيقة المعنى»^(٤).

٥- يبين ابن القيم بعض أدوار السياق فيقول: «السياق يرشد إلى تبين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته»^(٥).

مُجَّد بن أبي يعلى الفراء الحنبلي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، نشر الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م، ١٣٣/٣ ومعجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ = ١٩٩١م، ٤١٠/٥، وتاريخ بغداد، أحمد بن علي بن ثابت أبوبكر الخطيب البغدادي (٣٩٢هـ- ٤٦٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٨١/٣).

(١) الأضداد، مُجَّد بن قاسم الأنباري، تحقيق مُجَّد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الإعلام الكويتية، الطبعة الأولى ١٩٨٦م، ص ٢.

(٢) هو إمام الحرمين ضياء الدين أبو المعالي عبد الملك بن عبدالله بن يوسف الجويني ثم النيسابوري الشافعي، ولد سنة ٤١٩ هـ، كان إماماً في مذهب الشافعي، من مؤلفاته البرهان في أصول الفقه، وحماية المطلب في دراية المذهب، والرسالة النظامية في الأحكام الإسلامية، وغيث الأمم في الإمامة... وغيرها، توفي سنة ٤٧٨ هـ (ذيل تاريخ بغداد، مُجَّد بن محمود بن الحسن البغدادي، الشهير بابن النجار، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ١٥/١٦).

(٣) الأضداد، مُجَّد بن قاسم الأنباري، تحقيق مُجَّد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الإعلام الكويتية، الطبعة الأولى ١٩٨٦م، ص ٢.

(٤) البرهان في أصول الفقه، عبد الملك بن عبدالله الجويني (٤٧٨هـ)، تحقيق د. عبدالعظيم الديب، دار الوفاء، الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ، ٨٧٠/٢.

(٥) بدائع الفوائد، مُجَّد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٩١ هـ - ٧٥١ هـ = ١٢٩٢م - ١٣٤٩م)، تحقيق علي مُجَّد العمران، دار عالم

٦- يقول الإمام الشاطبي صاحب الموافقات: «فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره»^(١).

الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ، ٣١٤/٤.

(١) الموافقات، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، المملكة العربية السعودية، الطبعة

الأولى، ١٤١٧هـ=١٩٩٧م، ٢٦٦/٤.

المطلب الثالث: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بالسياق المسألة الأولى: الاستدلال على المستقدمين والمستأخرين

١ - القيمة العملية أو العلمية لمعرفة المستقدمين والمستأخرين

يقول الله تعالى في سورة الحجر ﴿٢٤﴾^(١)، وإذا عرفنا أن من بين الآراء الواردة في تحديد المستقدمين والمستأخرين رأياً يقول إنهم أناس كانوا يتأخرون في صفوف الصلاة أو يتقدمون بسبب النساء، أي بسبب القرب منهن في الصفوف الأخيرة للرجال، والابتعاد عنهن في الصفوف الأولى منها، فإن نفي ذلك أو إثباته يعطينا صورة، أيًا كانت طبيعتها، عن هذا المجتمع الإسلامي الأول، هذا فضلاً عما يمكن أن تضيفه معرفة المبهم في الآية من فهم دلالاتها في سياقها.

٢ - اختلاف المفسرين في المستقدمين والمستأخرين

يحكي القرطبي الخلاف الوارد في المستقدمين والمستأخرين فيقول: «فيه ثماني تأويلات: الأول: المستقدمين في الخلق إلى اليوم، والمستأخرين الذين لم يخلقوا بعد، قاله قتادة وعكرمة وغيرهما، والثاني: المستقدمين الأموات، والمستأخرين الأحياء، قاله ابن عباس والضحاك، والثالث: المستقدمين من تقدم أمة محمد، والمستأخرين أمة محمد ﷺ، قاله مجاهد، والرابع: المستقدمين في الطاعة والخير، والمستأخرين في المعصية والشر، قاله الحسن وقتادة أيضاً، والخامس: المستقدمين في صفوف الحرب، والمستأخرين فيها، قاله سعيد بن المسيب، والسادس: المستقدمين من قتل في

(١) سورة الحجر: الآية ٢٤.

الجهاد، والمستأخرين من لم يقتل، قاله القرطبي، السابع: المتقدمين أول الخلق، والمستأخرين آخر الخلق، قاله الشعبي، الثامن: المتقدمين في صفوف الصلاة، والمستأخرين فيها بسبب النساء...»^(١).

ويختار القرطبي الرأي الثامن معللاً اختياره بأن هذا هو سبب النزول، يقول: «وكل هذا معلوم لله - تعالى - فإنه عالم بكل موجود ومعدوم، وعالم بمن خلق وما هو خالقه إلى يوم القيامة، إلا أن القول الثامن هو سبب نزول الآية، لما رواه النسائي^(٢) والترمذي^(٣) عن أبي الجوزاء^(٤) عن ابن عباس قال: كانت امرأة تصلي خلف رسول الله ﷺ حسناء من أحسن الناس، فكان بعض القوم يتقدم حتى يكون في الصف الأول لئلا يراها، ويتأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر، فإذا ركع نظر من تحت إبطه، فأنزل الله - عز وجل - ولقد علمنا المتقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين»^(٥) ثم يقوي نسبة الخبر لأبي الجوزاء دون ابن عباس فيقول: «وروي عن أبي الجوزاء ولم يذكر ابن عباس، وهو أصح»^(٦)، وهذا ما قاله الترمذي^(٧).

والرأيان التاسع والعاشر نقلهما الخازن في تفسيره، عن الأوزاعي أن الله عز

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١٢/٢٠١ و٢٠٠.

(٢) رواه النسائي في السنن الكبرى برقم ١١٢٠٩، كتاب التفسير، سورة الحجر، ١٠/٤٣.

(٣) الحديث رقم ٣١٢٢، أبواب التفسير، باب ومن سورة الحجر.

(٤) هو أوس بن عبدالله الربيعي البصري، من كبار العلماء، حدث عن عائشة، وابن عباس، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وروى عنه أبو الأشهب

العطارد، وعمرو بن مالك النكري، وبديل بن ميسرة، وجماعة، سير أعلام النبلاء ٤/٣٧١.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ١٢/٢٠١.

(٦) الجامع لأحكام القرآن: ١٢/٢٠١.

(٧) الحديث رقم ٣١٢٢، أبواب التفسير، باب ومن سورة الحجر.

وجل «أراد بالمستقدمين المصلين في أول الوقت، وبالمستأخرين المؤخرين لها إلى آخره»^(١)، وعن ابن عيينة «من يسلم أولاً ومن يسلم آخرًا»^(٢).

٣- الدراسة

أ- الحديث الذي أورده القرطبي سبباً لنزول الآية ذكره جمع من المفسرين، منهم الطبري والبعوي وابن العربي^(٣) وابن عطية وابن كثير والشوكاني وابن عاشور^(٤)، عاشور^(٤)، وأخرجه أحمد^(٥) والترمذي^(٦) والنسائي^(٧) وابن ماجة^(٨) وابن خزيمة^(٩) وابن حبان^(١٠) والحاكم^(١١)، وأورده الواحدي^(١٢) والسيوطي في

(١) تفسير الخازن، المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، الشهرير بالخازن (٧٢٥هـ)، ضبطه

وصححه عبدالسلام محمد علي شاهين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م=١٤٢٥هـ،

٥٤/٣.

(٢) تفسير الخازن: ٥٤/٣.

(٣) أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن عبدالله، المعروف بابن العربي (٤٦٨-٥٤٣هـ) راجع أصوله وخرج أحاديثه محمد عبدالقادر عطا، منشورات محمد

محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٣م=١٤٢٤هـ، ١٠١/٣.

(٤) راجع تفاسيرهم للآية الكريمة.

(٥) برقم ٢٧٨٤.

(٦) برقم ٣١٢٢، أبواب التفسير، باب ومن سورة الحجر.

(٧) برقم ١١٢٧٣، في كتاب التفسير.

(٨) برقم ١٠٤٦، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب الخشوع في الصلاة.

(٩) برقم ١٦٩٧ و١٦٩٦.

(١٠) برقم ٤٠١.

(١١) ٣٥٣/٢.

(١٢) أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي (٤٦٨هـ)، رواية بدر الدين أبي نصر محمد بن عبدالله الأرميني

أسباب النزول^(١).

ب- أورد الواحدي رواية أخرى في سبب نزول الآية، فقال: «وقال الربيع بن أنس^(٢) حرض رسول الله ﷺ على الصف الأول في الصلاة فزدحم الناس عليه، وكان بنو عذرة دورهم قاصية عن المسجد، فقالوا: نبيع دورنا ونشتري دوراً قريبة من المسجد فأنزل الله تعالى هذه الآية»^(٣).

ت- قال ابن كثير عن الحديث الذي أورده الطبري وغيره وسبق تخريجه: «وهذا الحديث فيه نكارة شديدة... فالظاهر أنه من كلام أبي الجوزاء فقط، ليس فيه لابن عباس ذكر»^(٤)، ولم يوضح لنا وجه هذه النكارة ولا سببها.

ث- يحاول الألباني الذي أورد الحديث في السلسلة الصحيحة^(٥) معرفة وجه هذه النكارة والرد عليه فيقول: «وأما النكارة الشديدة التي زعمها ابن كثير رحمه الله، فالظاهر أنه يعني أنه من غير المعقول أن يتأخر أحد من المصلين إلى الصف الآخر لينظر إلى امرأة! وجوابنا عليه أنهم قد قالوا: إذا ورد الأثر بطل النظر، فبعد ثبوت الحديث لا مجال لاستنكار ما تضمنه من الواقع، ولو أننا فتحنا باب الاستنكار لمجرد الاستبعاد العقلي للزم إنكار كثير من الأحاديث

(١) تحقيق د. ماهر ياسين الفحل، دار الميمان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م، ص ٤٥٧.

(٢) أسباب النزول المسمى «لباب النقول في أسباب النزول»، جلال الدين أبو عبد الرحمن السيوطي (٩١١هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م، ص ١٥٤.

(٣) علق محقق الكتاب في الحاشية على اسم الربيع بن أنس فقال: «قوله الربيع بن أنس لم نقف عليه، والذي وجدناه عن ابن عباس، انظر زاد المسير... وتفسير الخازن».

(٤) أسباب نزول القرآن: ٤٥٨.

(٥) تفسير القرآن العظيم: ٥٣٢/٤.

(٥) برقم ٢٤٧٢: ٦٠٨/٥، وكذلك صححه الشيخ أحمد شاکر في تحقيق مسند الإمام أحمد برقم ٢٧٨٤.

الصحيحة، وهذا ليس من شأن أهل السنة والحديث، بل هو من دأب المعتزلة وأهل الأهواء، ثم ما المانع أن يكون أولئك الناس المستأخرون من المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويبتغون الكفر؟ بل وما المانع أن يكونوا من الذين دخلوا في الإسلام حديثًا، ولما يتهدبوا بتهديب الإسلام، ولا تأدبوا بأدبه؟^(١)، ويقوي الألباني الاستشهاد بالحديث، مع اعترافه بما فيه من ضعف، وأن الآية نزلت في صفوف الصلاة، وأنه لا تعارض بين سياق الآيات والحديث، فيقول: «فهذه الروايات وإن كانت لا تخلو من ضعف، فبعضها يشد بعضًا، فهي صالحة للاستشهاد ويدل مجموعها على أن الآية الكريمة نزلت في صفوف الصلاة، فأين الغرابة؟! وإن كان المقصود بها غرابة المعنى ومباينة تفسير الآية بما دل عليه سبب النزول لما قبلها من الآيات... فالجواب: أن المعنى المستفاد من سبب النزول ليس مباينًا للعموم الذي تدل عليه الآية بسباقها وسياقها، ومن المعلوم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب...»^(٢). ويوافق صاحب كتاب «أسباب النزول وأثرها في التفسير» الدكتور عصام حميدان ابن كثير في نكارة الحديث، مع إقراره بأن السند جيد، فيقول: «لا ندعي العصمة للصحابة، إلا أن السبب المذكور يوضح، كما هو ظاهره، أن القضية ليست قضية شخص بعينه، لكنها قضية عدة أشخاص... وأيضًا نقول: ألم يكن رسول الله ﷺ على علم بما يجري في مسجده؟ أم أنه علم وسكت؟ ألم يكن بمقدوره إرجاع هذه المرأة للصفوف الخلفية؟ ألم يكن أمهات المؤمنين يصلين في ذات المكان ويرين ذلك؟ إني لا أشك في نكارة هذا السبب وشدوده، بل

(١) السلسلة الصحيحة: ٦١٢/٥.

(٢) السلسلة الصحيحة: ٦١٢/٥.

وإدخاله بطريقة ما في حديث الثقات، فإن الحديث سنده جيد، إلا أنه بالرغم من ذلك لم يوقف الإمام الحافظ ابن كثير في إصدار حكمه بنكارتة، ونحن نوافقه على ذلك»^(١).

ج- قال صاحب كتاب «المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة.. دراسة الأسباب رواية ودراية»، د. خالد بن سليمان المزيني: «والحديث مداره على عمرو بن مالك النكري، ولم يوثقه كبير أحد، وغاية ما وقفت عليه فيه أن ابن حبان ذكره في الثقات وقال: يخطئ ويغرب، كما نقل هذا عنه ابن حجر في تهذيبه... وعليه فعمرو إلى الضعف أقرب، ومع ذلك تفرد به، ومثله لا يحتمل منه التفرد بمثل هذا الخبر، ومما يؤيد ضعف الخبر أنه اختلف على عمرو في وصله وإرساله... وبما تقدم يعلم أن في تصحيح ابن خزيمة وابن حبان والحاكم لهذا الحديث نظرًا. والله أعلم»^(٢)، ويخلص من دراسته المستفيضة حول الحديث إلى «أن الحديث المذكور ليس سببًا للنزول، لضعف سنده، ومخالفته للسياق، وطعنه في بعض أصحاب رسول الله ﷺ والله أعلم»^(٣)، وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على الحديث: «إسناده ضعيف ومتمنه منكر، عمرو بن مالك النكري لا يؤثر توثيقه عن غير ابن حبان ذكره في الثقات وقال يخطئ ويغرب، وقال الحافظ في التقريب صدوق له أوهام، وأخطأ الذهبي في الميزان والضعفاء فوثقه

(١) أسباب النزول وأثرها في التفسير، عصام حميدان، رسالة ماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ، بإشراف الدكتور محمد أبوفراخ، ص ٦٦١ و٦٦٢.

(٢) المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة.. دراسة الأسباب رواية ودراية، د. خالد بن سليمان المزيني، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ، ٦٤٧/٢.

(٣) المحرر في أسباب نزول القرآن: ٦٥٠/٢.

مع أنه ذكره في الكاشف ولم يوثقه وإنما اقتصر على قوله «وثق» وهو يطلق هذه اللفظة على من انفرد ابن حبان بتوثيقه... سبق أن حسنا إسناده هذا الحديث في تعليقنا على صحيح ابن حبان، وقد تبين لنا هنا أنه ضعيف لا يستحق التحسين فاقضى التنبيه»^(١).

ح- سورة الحجر مكية بالاتفاق^(٢)، كما حكاه غير واحد من المفسرين^(٣)، ومعلوم أن الصلاة في صفوف خلف رسول الله ﷺ لم تكن إلا في المدينة، وهو ما دفع السيوطي إلى استثناء هذه الآية دون غيرها من آيات السورة، مستنداً إلى هذا

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ)، أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط، حقق هذا الجزء (الخامس) شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، د.ت، ٦٥/٥.

(٢) نقل هذا الاتفاق الفيروزآبادي في كتابه بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٨١٧هـ)، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د.ت، ٢٧٢/١، والبقاعي في كتابه مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي (٨٨٥هـ)، تحقيق الدكتور عبدالسميع محمد أحمد حسنين، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ=١٩٨٧م، مكتبة المعارف، الرياض، ٢٠٢/٢، وانظر المكي والمدني في القرآن.. دراسة تأصيلية نقدية للسور والآيات.. من أول القرآن إلى نهاية سورة الإسراء، عبدالرزاق حسين أحمد، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م، ٣٤٨/١، وراجع المرويات في ذلك في النسخ والمسنوخ في كتاب الله واختلاف العلماء في ذلك، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (٣٣٨هـ)، تحقيق د. سليمان بن إبراهيم اللاحم، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ٤٨٢/٢، وفضائل القرآن ومعاله وأدبه، أبو القاسم بن سلام (٢١٧هـ)، تحقيق وتعليق وهي سليمان غاوجي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، ص ٣٤٠، وفضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة، أبو عبد الله محمد بن أيوب بن الضريس البجلي (٢٩٤)، تحقيق عروة بدير، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ=١٩٨٧م، ص ٣٤، والبيان في عد آي القرآن، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (٤٤٤هـ)، تحقيق د. غانم قدوري الحمد، نشر مركز المخطوطات والوثائق، الكويت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ=١٩٩٤م، ص ٣٦ و ١٧٣، وفنون الأفتان في علوم القرآن، أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي (٥٩٧هـ)، تحقيق حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ=١٩٨٧م، ٣٧٧ و ٣٨٨.

(٣) كابن الجوزي وأبو حيان وابن عاشور.

الحديث، موطن الخلاف، ولا دليل له على مدنيته غير، يقول: «وينبغي استثناء قوله ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ﴾^(١) لما أخرجه الترمذي وغيره في سبب نزولها، وأنها في صفوف الصلاة»^(٢).

خ- رجع كثير من المفسرين القول بدلالة السياق في الآية، يقول ابن عطية: «ثم أخبر تعالى بإحاطة علمه بمن تقدم من الأمم ومن تأخر في الزمن، من لدن أهبط آدم إلى الأرض إلى يوم القيامة، وأعلم أنه هو الحاضر لهم، الجامع لعرض يوم القيامة على تباعدهم في الأقطار والأزمان، وأن حكمته وعلمه يأتيان بهذا كله على أتم غاياته التي قدرها وأرادها... بهذا سياق معنى الآية، وهو قول جمهور المفسرين... وإن كان اللفظ يتناول كل من تقدم وتأخر على جميع وجوهه، فليس يطرد سياق معنى الآية إلا كما قدمنا»^(٣).

ثم قال بعد أن أورد خبر المتأخرين والمتقدمين من أجل المرأة الحسنة:

«وما تقدم الآية من قوله ﴿وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾^(٤) وما تأخر من قوله ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾^(٥) يضعف هذه التأويلات، لأنها تذهب بإصـال المعنى»^(٦).

ويقول ابن جرير الطبري: «وأولى الأقوال عندي في ذلك بالصحة قول

(١) سورة الحجر: الآية ٢٤.

(٢) الإتيان في علوم القرآن: ص ٤٤.

(٣) المحرر الوجيز: ٣/٣٥٨.

(٤) سورة الحجر: من الآية ٢٣.

(٥) سورة الحجر: من الآية ٢٥.

(٦) المحرر الوجيز: ٣/٣٥٨.

من قال: معنى ذلك: ولقد علمنا الأموات منكم يا بني آدم فتقدم موته، ولقد علمنا المستأخرين الذين استأخر موتهم ممن هو حي ومن هو حادث منكم ممن لم يحدث بعد، لدلالة ما قبله من الكلام... وما بعده... على أن ذلك كذلك، إذ كان بين هذين الخبرين، ولم يجر قبل ذلك من الكلام ما يدل على خلافه، ولا جاء بعد»^(١)، ثم يحاول أن يجمع بين الرأي الذي اختاره وخبر المستقدمين في الصف لأجل النساء فيقول: «وجائز أن تكون نزلت في شأن المستقدمين في الصف لشأن النساء والمستأخرين فيه لذلك، ثم يكون الله عز وجل عم بالمعنى المراد منه جميع الخلق، فقال جل ثناؤه لهم: قد علمنا ما مضى من الخلق وأحصيناهم، وما كانوا يعملون، ومن هو حي منكم، ومن هو حادث بعدكم أيها الناس، وأعمال جميعكم خيرها وشرها، وأحصينا جميع ذلك ونحن نحشر جميعهم، فنجازي كلاً بأعماله، إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرّاً. فيكون ذلك تهديداً ووعيداً للمستأخرين في الصفوف لشأن النساء ولكل من تعدى حد الله وعمل بغير ما أذن له به، ووعداً لمن تقدم في الصفوف لسبب النساء، وسارع إلى محبة الله ورضوانه في أفعاله كلها»^(٢).

ويقول أبو السعود بعد أن يورد الرأيين: «والأول هو المناسب لما سبق وما لحق»^(٣).

أما الألوسي فلا يغفل السياق في الآية كذلك، ويسميه المناسبة، فيقول: «وقيل: من تقدم ولادة وموتاً ومن تأخر كذلك مطلقاً، وهو من

(١) جامع البيان: ٥٥٤/١٤.

(٢) جامع البيان: ٥٥/١٤.

(٣) إرشاد العقل السليم: ٣٠٣/٣.

المناسبة بمكان»^(١)، ويرد على من قال إن الآية نزلت في التقدم والتأخر في القتال فيقول: «ليس في تفسير ذلك بالمستقدمين والمستأخرين فيها كمال مناسبة»^(٢)، لكنه في الأخير يبدو أنه مال إلى الجمع بين الآراء فقال: «وأنت تعلم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ومن هنا قال بعضهم: الأولى الحمل على العموم، أي علمنا من اتصف بالتقدم والتأخر في الولادة والموت والإسلام وصفوف الصلاة وغير ذلك»^(٣).

وأما ابن عاشور فكان الأقوى والأوضح رفضاً لخبر المرأة وإعمالاً للسياق: يقول: «لما ذكر الإحياء والإماتة وكان الإحياء بكسر الهمزة يذكر بالأحياء بفتحها، وكانت الإماتة تذكر بالأموات الماضين تخلص من الاستدلال بالإحياء والإماتة على عظم القدرة إلى الاستدلال بلازم ذلك على عظم علم الله وهو علمه بالأمم البائدة، وعلم الأمم الحاضرة، فأريد بالمستقدمين الذين تقدموا الأحياء إلى الموت أو إلى الآخرة، فالتقدم فيه بمعنى الماضي، وبالمستأخرين الذين تأخروا وهم بعد انقراض غيرهم إلى أجل يأتي... وقد تقدم في طالع تفسير هذه السورة الخبر الذي أخرجه الترمذي في جامعه من طريق نوح بن قيس ومن طريق جعفر بن سليمان في سبب نزول هذه الآية، وهو خبر واهٍ لا يلاقي انتظام الآيات ولا يكون إلا من التفاسير الضعيفة»^(٤).

(١) روح المعاني: ٣٢/١٤.

(٢) روح المعاني: ٣٢/١٤.

(٣) روح المعاني: ٣٣/١٤.

(٤) التحرير والتنوير: ١٤٠/١٤.

د- ممن مال إلى الجمع بين جميع الأقوال الفخر الرازي، يقول: «ولا ينبغي أن نخص الآية بحالة دون حالة»^(١)، ويقول أبوحيان الأندلسي: «والأولى حمل هذه الأقوال على التمثيل لا على الحصر»^(٢).

٤- الترجيح

تطمئن النفس بعد الدراسة السابقة إلى رأي من رجح بالسياق أن المستقدمين هم الأموات، والمستأخرين هم الأحياء، ولا صحة للاستدلال بالخبر الوارد في ذلك لضعفه ونكارتة.. والله تعالى أعلم.

(١) مفاتيح الغيب: ١٨٢/١٩.

(٢) البحر المحيط: ٤٣٩/٥.

المسألة الثالثة: الاستدلال على المراد بـ«أمر الله» في قوله تعالى

﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾^(١)

١ - القيمة العملية أو العلمية لمعرفة المراد بـ«أمر الله»

يؤكد الله عز وجل في الآية الكريمة إتيان أمره ويأمرنا بألا نستعجله، فما هذا الأمر حتى لا نستعجله ونحن جاهلون بحقيقته، فنقع فيما نهي الله عنه؟ هنا تكمن أهمية تحديد المبهم في الآية الكريم.

٢ - اختلاف المفسرين في المراد بـ«أمر الله»

ينقل الماوردي أن في المراد بـ«أمر الله» أربعة أقوال: «أحدها أنه إنذار رسول الله ﷺ^(٢)، قاله أبو مسلم، والثاني: أنه فرائضه وأحكامه، قاله الضحاك، والثالث أنه وعيد أهل الشرك ونصرة الرسول ﷺ، قاله ابن جريج، الرابع: أنه القيامة^(٣)، وهو قول الكلبي^(٤).

٣ - الدراسة

أ - وردت كلمة «أمر الله» في القرآن الكريم في مواطن عدة، يحسن بنا، بدءاً، أن نتأملها:

١ - ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُونَ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ

(١) سورة النحل: من الآية ١.

(٢) أي إن مبعثه ﷺ إنذار، هكذا روى السيوطي عن ابن عباس رضي الله عنهما في الدر المنثور، وذكره الألويسي عن ابن عباس رضي الله عنهما: «فسر الأمر بخروج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم».

(٣) عبر بعضهم عن هذا الرأي بـ«الساعة»، بدلاً من القيامة، والمقصود واحد.

(٤) النكت والعيون: ١٧٧/٣ و١٧٨.

أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدُّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ
وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ (١)

٢- ﴿لَقَدْ ابْتَغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ
وَوَضَّعَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (٢)

٣- ﴿قَالَ سَتَأْتِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ
اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ (٣)

٤- ﴿قَالُوا اتَّعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ
حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ (٤)

٥- ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (٥)

٦- ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ
حِجَابٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا
﴾ (٦)

(١) سورة النساء: الآية ٤٧ .

(٢) سورة التوبة: الآية ٤٨ .

(٣) سورة هود: الآية ٤٣ .

(٤) سورة هود: الآية ٤٣ .

(٥) سورة الرعد: من الآية ١١ .

(٦) سورة الأحزاب: من الآية ٣٧ .

٧- ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ (٣٨) (١).

٨- ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (٧٨) (٢).

٩- ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (٩) (٣).

١٠- ﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ (١٤) (٤).

١١- ﴿ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ (٥) (٥).

ويدخل تحت ذلك أيضًا قوله تعالى

١- ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنَّا بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٨.

(٢) سورة غافر: من الآية ٧٨.

(٣) سورة الحجرات: الآية ٩.

(٤) سورة الحديد: الآية ١٤.

(٥) سورة الطلاق: الآية ٥.

كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَأَعْفُوا
وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ (١).

٢- ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ
وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ
إِلَيْكُمْ مِّنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ
بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٢).

التأمل في الآيات السابقة يتبين له أن المقصود بـ«أمر الله» فيها ليس واحداً،
ولمعرفته أو تحديده لا بد من قراءة السياق القريب في الآية، في كل موطن على حدة،
سابقاً أو لاحقاً، وهنا تكمن أهمية إعمال السياق في الكشف عن المبهم.

كما أن التأمل في هذه الآيات أيضاً يتبين له إلام رجع أصحاب الآراء
السابقة في «أمر الله في سورة النحل»، فمن قال مثلاً إن أمر الله هو «فرائضه
وأحكامه» واضح أنه مستنبط قوله- أو متأثر على الأقل- من قوله تعالى في سورة
الطلاق: ﴿ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ

أَجْرًا ﴾ (٣) ... وهكذا.

ب- من المفسرين من رجح بين الآراء السابقة بالسياق، يقول الطبري: «وأولى
القولين في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: هو تهديد من الله أهل الكفر به

(١) سورة البقرة: الآية ١٠٩.

(٢) سورة التوبة: الآية ٢٤.

(٣) سورة الطلاق: الآية ٥.

وبرسوله، وإعلام منه لهم قرب العذاب منهم والهلاك، وذلك أنه عقب ذلك بقوله سبحانه ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(١) فدل بذلك على تفريعه المشركين ووعيده لهم^(٢)، ثم يقوي هذا الرأي فيقول: «وبعد، فإنه لم يبلغنا أن أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ استعجل فرائض قبل أن تفرض عليهم، فيقال لهم من أجل ذلك: قد جاءكم فرائض الله فلا تستعجلوها، وأما مستعجلو العذاب من المشركين، فقد كانوا كثيراً»^(٣).

لكن القرطبي حاول جاهداً أن يبحث عن أحد استعجل الفرائض من الصحابة، فقال: «قلت: قد يستدل الضحاك بقول عمر رضي الله عنه: وافقت ربي في ثلاث: في مقام إبراهيم، وفي الحجاب، وفي أسارى بدر»^(٤)، وهذا تأويل بعيد لم يرد به خبر، كما أورده القرطبي بصيغة التمريض، وعمر رضي الله عنه لم يكن يستعجل الحكم، إنما كان يرى رأياً، مجرد رأي، فينزل القرآن موافقاً له، ولو افترضنا جدلاً أن الآية نزلت في ذلك، فما وجه ختام الآية إذاً بقوله تعالى ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٥)؟

ويقول ابن عطية بعد أن يورد قول الضحاك السابق، مستدلاً بالسياق أيضاً: «ويبعده قوله ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾^(٦)، لأننا لا نعرف استعجالاً إلا ثلاثة: اثنان منها للكفار في القيامة وفي العذاب، والثالث للمؤمنين في النصر وظهور الإسلام»^(٧).

(١) سورة النحل: من الآية ١.

(٢) جامع البيان: ١٤/١٥٩ و١٦٠.

(٣) المحرر الوجيز: ٣/٣٧٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ١٠/٦٦.

(٥) سورة النحل: من الآية ١.

(٦) سورة النحل: من الآية ١.

(٧) جامع البيان: ١٤/١٥٩ و١٦٠.

كما يستبعد القرطبي قول من قال إن «أمر الله» فرائضه وأحكامه للسبب نفسه فيقول: «... وفيه بعد، لأنه لم ينقل أن أحدًا من الصحابة استعجل فرائض الله من قبل أن تفرض عليهم، وأما مستعجلو العذاب والعقاب فذلك منقول عن كثير من كفار قريش وغيرهم، حتى قال النضر بن الحارث (كما جاء في الآية) ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَاهُ أَلْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٣٢) (١)، فاستعجل العذاب» (٢)... قال هذا الكلام قبل أن يحاول البحث عن استعجل فرائض الله من الصحابة، كما مر!، واستبعد الألويسي ما استبعده الطبري: «... وفيما ذكره بعد إذ لم ينقل عن أحد أنه استعجل فرائض الله تعالى وحدوده سبحانه» (٣).

كما يتعجب ابن كثير من رأي الضحاك هذا، فيقول: «قد ذهب الضحاك في تفسير هذه الآية إلى قول عجيب، فقال في قوله ﴿آتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾ (٤) أي: فرائضه وحدوده، وقد رده ابن جرير فقال: لا نعلم أحدًا استعجل الفرائض والشرائع قبل وجودها بخلاف العذاب فإنهم استعجلوه قبل كونه، استبعادًا وتكذيبًا» (٥)، معنى هذا أنه وافق ابن جرير، ثم يستشهد بسياق القرآن العام على أن من المشركين من استعجل الساعة فيقول: «قلت: كما قال تعالى ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

(١) سورة الأنفال: الآية ٣٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ١٠/٦٥ و٦٦.

(٣) روح المعاني: ٩٠/١٤.

(٤) سورة النحل: من الآية ١.

(٥) تفسير القرآن العظيم: ٥٥٥/٤.

بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ
فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ (١) «(٢)».

أما ابن عاشور فقد استدل على معرفة «أمر الله» بسياق السورة كلها، فيقول: «لما كان معظم أغراض هذه السورة زجر المشركين عن الإشراف وتوابعه، وإنذارهم بسوء عاقبة ذلك، وكان قد تكرر وعيدهم من قبل في آيات كثيرة بيوم يكون الفارق بين الحق والباطل فتزول فيه شوكتهم وتذهب شدتهم، وكانوا قد استبطأوا ذلك اليوم حتى اطمأنوا أنه غير واقع، فصاروا يهزأون بالنبى ﷺ والمسلمين فيستعجلون حلول ذلك اليوم، صدرت السورة بالوعيد المصوغ في صورة الخبر بأن قد حل ذلك المتوعد به...» (٣).

وفي محاولة لمعرفة سبب إبهام «أمر الله» في السورة يقول ابن عاشور: «وفي التعبير عنه بأمر الله إبهام يفيد تهويله وعظمته، لإضافته لمن لا يعظم عليه شيء، وقد عبر عنه تارات بوعد الله ومرات بأجل الله ونحو ذلك»، وقد سبقه الألوسي إلى هذا، فقال: «والتعبير عن ذلك بأمر الله للتهويل والتفخيم، وفيه إيذان بأن تحققه في نفسه وإتيانه منوط بحكمه تعالى النافذ وقضائه الغالب» (٤).

كما يرى ابن عاشور أن الخطاب في الآية ليس للمشركين وحدهم «والخطاب للمشركين ابتداءً، لأن استعجال العذاب من خصالهم، قال تعالى ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ

(١) سورة الشورى: الآية ١٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٥٥٥/٤.

(٣) التحرير والتنوير: ٩٦/١٤.

(٤) التحرير والتنوير: ٩٧/١٤.

بِالْعَذَابِ ﴿٤٧﴾^(١) ويستعجلونك بالعذاب، ويجوز أن يكون شاملاً للمؤمنين، لأن عذاب الله - وإن كان الكافرون يستعجلون به تحكماً لظنهم أنه غير آتٍ - فإن المؤمنين يضمرون في نفوسهم استبطاءه، ويجبون تعجيله للكافرين»^(٢).

وما أورده ابن عاشور من أن الخطاب قد يشمل المؤمنين والكافرين معاً سبقه أبو السعود إلى رفضه تماماً، يقول: «والخطاب للكفرة خاصة، كما يدل عليه القراءة على صيغة نهي الغائب، واستعجالهم. وإن كان بطريق الاستهزاء، لكنه حمل على الحقيقة، ونهوا عنه بضرب من التهكم لا مع المؤمنين، سواء أريد بأمر الله ما ذكر (أي الساعة)، أو العذاب الموعود للكفرة خاصة، أما الأول: فلأنه لا يتصور من المؤمنين استعجال الساعة، أو ما يعمها وغيرها من العذاب، حتى يعمهم النهي عنه. وأما الثاني: فلأن استعجالهم له بطريق الحقيقة، واستعجال الكفرة بطريق الاستهزاء كما عرفته، فلا ينتظمها صيغة واحدة، والالتجاء إلى إرادة معنى مجازي يعمهما معاً، من غير أن يكون هناك رعاية نكتة سرية تعسف لا يليق بشأن التنزيل الجليل»^(٣).

يجمع الرازي بين الرأيين الثالث والرابع فيقول: «... رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بعذاب الدنيا تارة وهو القتل والاستيلاء عليهم كما حصل في يوم بدر، وتارة بعذاب يوم القيامة، وهو الذي يحصل عند قيام الساعة، ثم إن القوم لما لم يشاهدوا شيئاً من ذلك احتجوا بذلك على تكذيبه، وطلبوا منه الإتيان بذلك العذاب، وقالوا له: ائتنا به...»^(٤).

(١) سورة الحج: من الآية ٤٧، وسورة العنكبوت: من الآية ٥٣.

(٢) التحرير والتنوير: ٩٧/١٤.

(٣) إرشاد العقل السليم: ٣٣٢/٣ و٣٣٣.

(٤) مفاتيح الغيب: ٢٢٢/١٩ و٢٢٣.

وعن إشكالية مجيء الفعل في الآية على صيغة الماضي (أتى) يقول الرازي: «... وإن لم يأت ذلك العذاب إلا أنه كان واجب الوقوع، والشيء إذا كان بهذه الحالة والصفة، فإنه يقال في الكلام المعتاد أنه قد أتى ووقع، إجراء لما يجب وقوعه بعد ذلك مجرى الواقع، يقال لمن طلب الإغاثة وقرب حصولها: قد جاءك الغوث فلا تجزع، والوجه الثاني هو أن يقال إن أمر الله بذلك وحكمه به قد أتى وحصل ووقع، فأما المحكوم به فإنما لم يقع، لأنه تعالى حكم بوقوعه في وقت معين، فقبل مجيء ذلك الوقت لا يخرج إلى الوجود، والحاصل كأنه قيل: أمر الله وحكمه بنزول العذاب قد حصل ووجد من الأزل إلى الأبد، فصح قولنا أتى أمر الله، إلا أن المحكوم به والمأمور به إنما لم يحصل، لأنه تعالى خصص حصوله بوقت معين فلا تستعجلوه، ولا تطلبوا حصوله قبل حضور ذلك الوقت»^(١).

وهكذا يرى الشيخ محمد الغزالي (السقا) أيضاً في كتابه «نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم»، يقول: «وما يتحقق وقوعه يمكن الجزم به»^(٢).

٤ - الترجيح

تطمئن النفس مما سبق إلى أن المراد بـ«أمر الله» في أول سورة النحل هو يوم القيامة أو ما وعد الله الكافرين إياه مجازة على كفرهم (الرأيان الثالث والرابع)، فهو ما دل عليه السياق، وعضده ما أورده الواحدي^(٣) سبباً لنزول الآية: «قال ابن عباس لما

(١) مفاتيح الغيب: ٢٢٣/١٩.

(٢) نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، محمد الغزالي، دار الشروق، الطبعة الرابعة ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م، ص ٢٠٥.

(٣) أسباب نزول القرآن ٤٦١، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير، والخازن والطبري.

أنزل الله تعالى ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (١) قال الكفار بعضهم لبعض: إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر ما هو كائن، فلما رأوا أنه لا ينزل شيء قالوا: ما نرى شيئاً فأنزل الله تعالى ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ (٢) فأشفقوا وانتظروا قرب الساعة فلما امتدت الأيام قالوا: يا محمد ما نرى شيئاً مما تخوفنا به فأنزل الله تعالى ﴿أَنْتَ أَمْرٌ أَلَهٌ﴾ (٣) فوثب النبي ﷺ ورفع الناس رءوسهم فنزل ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ (٤) فاطمأنوا فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ بعثت أنا والساعة كهاتين، وأشار بإصبعه إن كادت لتسبقني»، والله تعالى أعلم.

(١) سورة القمر: الآية ١.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ١.

(٣) سورة النحل: من الآية ١.

(٤) سورة النحل: من الآية ١.

المسألة الثالثة: الاستدلال على الذي نادى مريم في قوله تعالى

﴿فَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ (٢٤) (١)

١ - القيمة العملية أو العلمية للمبهم

ربما يبدو أنه لا قيمة كبيرة في تحديد المبهم في هذه الآية الكريمة، فأياً ما كان المنادي، فإن النداء كان مقصده طمأنة مريم وتثبيتها في هذا الموقف الصعب، ومع هذا فقد حاول كثير من المفسرين تحديد المنادي على وجه الدقة، ويمكننا أن نحمل القيمة في معرفة هذا المبهم على أهمية دراسة السياق القرآني بعناية، ومعرفة مرجع الضمائر فيه، وما يمكن أن يضيفه ذلك إلى دراسة القصص القرآني وعبره وعظاته ودلالاته وطبائع شخصياته وصفاتهم ومواقفهم... إلخ، وفي ذلك قيمة علمية معتبرة.

٢ - اختلاف المفسرين في المنادي مريم

اختلف المفسرون في تحديد المنادي مريم في قوله تعالى ﴿فَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا

تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ (٢٤) (٢) إلى قولين ينقلهما الشنقيطي فيقول: «... فقال بعض العلماء: هو عيسى، وقال بعض العلماء: هو جبريل» (٣)، ويعزو الجصاص في كتابه «أحكام القرآن» القولين إلى قائلتهما ملخصاً، فيقول: «قال ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي: جبريل عليه السلام، وقال مجاهد والحسن وسعيد

(١) سورة مريم: الآية ٢٤.

(٢) سورة مريم: الآية ٢٤.

(٣) أضواء البيان: ٣٠٩/٥.

بن جبير ووهب بن منبه: الذي ناداها عيسى»^(١).

وقد أورد جل المفسرين الرأيين، فمنهم من اكتفى بذكرهما، دون ترجيح، كالماوردي مثلاً، ومنهم من رجح بينهما، وهو فعل أكثرهم، ومنهم من أورد رأيه أو اختياره فقط، كما فعل صاحب الظلال: «يا الله! طفل ولد اللحظة يناديها من تحتها، يطمئن قلبها ويصلها برحما، ويرشدها إلى طعامها وشرابها، ويدلها على حاجتها وبرهانها!»^(٢).

٣- الدراسة

أ- لا بد أولاً من معرفة أن ثمة قراءتين صحيحتين مرويتين ضمن القراءات العشر المتواترة في الآية، فقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص وروح وخلف وأبوجعفر والبراء بن عازب وابن عباس والحسن وزيد بن علي والضحاك وابن محيصن والأعمش وعمرو بن ميمون، بكسر الميم في ﴿مِنْ﴾^(٣) فهو حرف جر، وكسر التاء في ﴿تَحْنَهَا﴾^(٤) وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمر وشعبة ويعقوب واليزيدي، وزر بن حبيش ومجاهد والجحدري والحسن في رواية وابن عباس في رواية ومحيصن في رواية، بفتح الميم على أنها اسم موصول، وفتح التاء على أنها ظرف^(٥).

(١) أحكام القرآن، أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص (٣٧٠هـ)، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ

العربي، بيروت- لبنان، ١٤١٢هـ=١٩٩٢م، ٤٦/٥.

(٢) في ظلال القرآن: ٢٣٠٧/٤.

(٣) سورة مريم: من الآية ٢٤.

(٤) سورة مريم: من الآية ٢٤.

(٥) انظر الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، عبدالفتاح عبدالغني القاضي (١٤٠٢هـ)، مكتبة السوادى للتوزيع، جدة، الطبعة الخامسة

ب- ينقل الرازي رأياً يمزج بين الرأيين السابقين في المنادي، في ضوء القراءتين، فيقول: «المنادي على القراءة بالكسر هو الملك وعلى القراءة بالفتح هو عيسى عليه السلام، وهو مروى عن ابن عيينة وعاصم»^(١)، ويختار الرازي الرأي الأول أن المنادي هو عيسى عليه السلام، ويستدل على ذلك بسياق الكلام والاستنباط العقلي منه معاً، غير مغفل دلالة القراءتين، فيقول: «قوله ﴿فَنَادَيْنَاهَا مِن تَحْتِهَا﴾^(٢) بفتح الميم إنما يستعمل إذا كان قد علم قبل ذلك أن تحتها أحداً والذي علم كونه حاصلاً تحتها هو عيسى عليه السلام فوجب حمل اللفظ عليه، وأما القراءة بكسر الميم فهي لا تقتضي كون المنادي جبريل عليه السلام...»^(٣).

وفي استنباط عقلي يرفض أن يكون المنادي جبريل، تنزيهاً له عن أن يكون تحت مريم، يقول: «ذلك الموضع موضع اللوث والنظر إلى العورة، وذلك لا يليق بالملائكة»^(٤).

«ويرجع إلى الاستدلال بالسياق ومرجع الضمير فيه فيقول: «فناداها فعل، ولا بد أن يكون فاعله قد تقدم ذكره، ولقد تقدم قبل هذه الآية ذكر جبريل وذكر عيسى

(الأولى للسوداني) ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م، ص ٣١٧، والنشر في القراءات العشر، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (٨٢٣هـ)،

قدم له صاحب الفضيلة الأستاذ علي محمد الضباع، خرج آياته الشيخ زكريا عميرات، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية،

بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ=١٩٩٨م، ٢/٢٣٨، ومعجم القراءات، الدكتور عبداللطيف الخطيب، دار سعدالدين للطباعة والنشر

والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م، ٥/٢٥٣ و ٣٥٤.

(١) مفاتيح الغيب: ٢١/٢٠٥.

(٢) سورة مريم: من الآية ٢٤.

(٣) مفاتيح الغيب: ٢١/٢٠٥.

(٤) مفاتيح الغيب: ٢١/٢٠٥.

عليهما السلام، إلا أن ذكر عيسى أقرب، لقوله تعالى ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ ﴾^(١) والضمير ههنا عائد إلى المسيح، فكان حمله عليه أولى^(٢).

وينقل عن الحسن بن علي رضي الله عنهما استدلالاً عقلياً على أن المنادي هو عيسى عليه السلام فيقول: «... عيسى عليه السلام لو لم يكن كلمها لما علمت أنه ينطق، فما كانت تشير إلى عيسى عليه السلام بالكلام»^(٣).

والكلام على أن مرجع الضمير يعود إلى أقرب مذكور قاله الطبري: «وأولى القولين في ذلك عندنا قول من قال: الذي ناداها ابنها عيسى، وذلك أنه من كناية ذكره أقرب منه من ذكر جبرائيل، فرده على الذي هو أقرب إليه أولى من رده على الذي هو أبعد منه»^(٤). ثم يتابع الاستدلال بالسياق فيقول: «ألا ترى في سياق قوله ﴿ فَحَمَلَتْهُ

فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾^(٥) يعني به: فحملت عيسى فانتبذت به، ثم قيل: فناداها نسفاً على ذلك من ذكر عيسى والخبر عنه»^(٦).

ويتابع الطبري: «ولعلة أخرى وهي قوله ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ﴾^(٧)، ولم تشر إليه إليه إن شاء الله إلا وقد علمت أنه ناطق في حاله تلك، وللذي كانت قد عرفت

(١) سورة مريم: من الآية ٢٢.

(٢) مفاتيح الغيب: ٢١/٢٠٥.

(٣) مفاتيح الغيب: ٢١/٢٠٥.

(٤) جامع البيان: ١٥/٥٠٥٠٤.

(٥) سورة مريم: الآية ٢٢.

(٦) جامع البيان: ١٥/٥٠٥.

(٧) سورة مريم: من الآية ٢٩.

ووثقت به منه بمخاطبته إياها بقوله لها ﴿أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْنُكَ سِرًّا

﴿٢٤﴾^(١) وما أخبر الله عنه أنه قال لها أشيري للقوم إليه، ولو كان ذلك قولاً من جبرائيل، لكان خليفاً أن يكون في ظاهر الخبر، مبيناً أن عيسى سينطق، ويحتج عنها للقوم، وأمر منه لها بأن تشير إليه للقوم إذا سألوها عن حالها وحاله^(٢).

وإلى هذا أيضاً ذهب الشنقيطي، مستدلاً بالسياق، ومصرحاً بذلك، ثم بالاستنباط العقلي: «أظهر القولين عندي أن الذي ناداها هو ابنها عيسى، وتدل على ذلك قرينتان: الأولى أن الضمير يرجع إلى أقرب مذكور إلا بدليل صارف عن ذلك يجب الرجوع إليه، وأقرب مذكور في الآية هو عيسى لا جبريل، لأن الله قال

﴿فَحَمَلَتْهُ﴾^(٣) يعني عيسى ﴿فَأَنْبَذَتْ بِهِ﴾^(٤)، أي بعيسى، ثم قال بعده:

بعده: ﴿فَنَادَاهَا﴾^(٥) فالذي يظهر ويتبادر من السياق أنه عيسى.

والقرينة الثانية أنها لما جاءت به قومها تحمله، وقالوا لها ما قالوا أشارت إلى عيسى ليكلموه، كما قال تعالى عنها: فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً، وإشارتها إليه ليكلموه قرينة على أنها عرفت قبل ذلك أنه يتكلم على سبيل خرق العادة لندائه لها عندما وضعته، وبهذه القرينة الأخيرة استدل سعيد بن جبير في

(١) سورة مريم: من الآية ٢٤.

(٢) جامع البيان: ٥٠٥/١٥.

(٣) سورة مريم: من الآية ٢٢.

(٤) سورة مريم: من الآية ٢٢.

(٥) سورة مريم: من الآية ٢٤.

إحدى الروایتین عنه علی أنه عیسی، كما نقله عنه غیر واحد»^(١).

والذي في تفسير ابن كثير عن سعيد بن جبير استدلال بالسياق، وليس بهذه القرينة الأخيرة التي ذكرها الشنقيطي، يقول ابن كثير: «وهو إحدى الروایتین عن

سعيد بن جبير أنه ابنها، قال: أو لم تسمع الله يقول: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾^(٢)؟»^(٣).

ج- الغريب في الأمر أن من أصحاب الرأي الثاني (أن المنادي هو جبريل) من استدل بالسياق أيضاً: يقول الشيخ محمد أبو زهرة «وضمير الفاعل يعود على جبريل،

لأنه المذكور، وهو روح الله تعالى الذي أرسله الله تعالى ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا

فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾^(٤)»^(٥).

ويذكر الرأي الأول بصيغة التمريض، ويرد عليه فيقول: «وقيل: إن ضمير

الفاعل يعود على عيسى، ويكون ذلك النداء خارقاً للعادة، ولكن نستبعد هذا، أولاً:

لأنه لم يكن هنا ذكر للغلام حتى يعود إليه، وثانياً: لأن الله لم يذكره آية خارقة لنظام

الأسباب والمسببات»^(٦).

ورد كلام الشيخ أبي زهرة يكون من وجه أنه كيف لم يكن هنا ذكر للغلام والله

عز وجل يقول ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾^(٧)، أما أن الله لم

(١) أضواء البيان: ٣١٠/٥ و٣١١.

(٢) سورة مريم: من الآية ٢٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ٢٢٤/٥.

(٤) سورة مريم: من الآية ١٧.

(٥) زهرة التفاسير: ٩/٤٦٢٨..

(٦) زهرة التفاسير: ٩/٤٦٢٨ و٤٦٢٨.

(٧) سورة مريم: الآية ٢٢.

يذكره آية خارقة لنظام الأسباب والمسببات، فهو عجيب حقاً، ألا يعد خلق عيسى آية الآيات في خرق نظام الأسباب والمسببات، ثم إن الإخبار عن أنه هو المنادي ذكر لهذا الخرق للأسباب والمسببات.

د- القائلون إن المنادي هو جبريل عليه السلام كان عليهم أن يجلوا إشكالية ﴿فَنَادَيْنَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾^(١)، سواء بالفتح أو الكسر، فكيف يكون جبريل تحتها؟ يقول الشيخ أبوزهرة «وقالوا... إنه كان قد جعله ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾^(٢) قابلاً للغلام الطاهر عند نزوله، كما تستقبل القابلة المولود، وذلك من كلاءة الله تعالى وحمایته لها، إذ كانت معزولة عن النساء، وهي عذراء، ليس لها تجربة في الحمل والولادة من قبل، فكان من رعاية الله تعالى أن يسخر لها روح القدس، ليكون القريب منها في هذه العزلة، وهذا الانفراد عن المعاون والقريب»^(٣)، وقال أبوالسعود: «قيل: إنه كان يقبل يقبل الولد، وقيل: من تحتها، أي: من مكان أسفل منها تحت الأكمة، وقيل: من تحت النخلة»^(٤)، ويقول ابن عطية، وهو ممن رجحوا أن المنادي عيسى: «وقالت فرقة: المراد جبريل المجاور لها قبل، قالوا: وكان في سعة من الأرض أخفض من البقعة التي كانت هي عليها»^(٥)، ويستنكر الألويسي، وهو من القائلين إن المنادي جبريل، أن يكون جبريل قابلاً للمولود، تنزيهاً له، يقول: «ناداها جبريل عليه السلام وكان في بقعة من الأرض أخفض من البقعة التي كانت عليها... ولعله إنما كان موقفه عليه

(١) سورة مريم: من الآية ٢٤.

(٢) سورة مريم: من الآية ٢٤.

(٣) زهرة التفاسير: ٤٦٢٨/٩.

(٤) إرشاد العقل السليم: ٥٧٨/٣.

(٥) المحرر الوجيز: ١١/٤.

السلام هناك إجلالاً لها وتحاشياً من حضوره بين يديها في تلك الحال، والقول بأنه عليه السلام كان تحتها يقبل الولد مما لا ينبغي أن يقال لما فيه من نسبة ما لا يليق بشأن أمين وحي الملك المتعال، وقيل: ضمير «تحتها» للنخلة»^(١).

ذ- روى الطبري وابن عطية والقرطبي وابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما «أن المنادي جبريل ولم يتكلم عيسى حتى أتت به قومها»^(٢).

٤- الترجيح

يظهر مما سبق أن أدلة القائلين إن المنادي هو عيسى عليه السلام أوجه وأقرب إلى سياق الآيات، ولا يجافي كون عيسى عليه السلام هو المنادي القراءتين في الآية، كما أن هذا القول لا يحتاج إلى تأويلات كالقول الثاني (أنه جبريل)، ويدل عليه المنطق العقلي أيضاً، كما مر.. والله تعالى أعلم.

(١) روح المعاني: ١٦/٨٢.

(٢) انظر تفاسيرهم للآية في سورة مريم.

المبحث الثاني: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم باللغة

المطلب الأول: التفسير اللغوي.. تعريفه.. أهميته.. مشروعيته
المطلب الثاني: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم باللغة
الاستدلال على الرقيم

المطلب الأول: التفسير اللغوي.. تعريفه.. أهميته.. مشروعيته

أ- تعريف التفسير اللغوي

يعرف الدكتور مساعد الطيار التفسير اللغوي فيقول: إنه «بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب»^(١)، غير أن الباحث مشرف بن أحمد بن جمعان الزهراني يرى أن «هذا التعريف لا يتضح منه دخول قوانين اللغة وقواعدها في عملية التفسير، حتى فيما يتعلق باللفظة المفردة، فكيف بقوانين السياق نحوية وبلاغية؟»^(٢)، ويحاول أن يتدارك ما رآه من نقص فيقول: «ومن ثم يمكن توضيحه بقولنا التفسير اللغوي: بيان معاني القرآن ومراميه وفق القوانين المستفادة من كلام العرب»^(٣).

ويعلل الباحث مشرف بن أحمد كلامه فيقول: «وذلك لأن هذه الألفاظ والأساليب العربية مرت بمرحلتين: الأولى مرحلة الرواية، وهي مجرد نقل اللفظة والأسلوب والمعنى المأخوذ منها بذاتها. الثانية: مرحلة التقنين، وهي تقنين القوانين العامة التي تضبط فهم الألفاظ عامة والأساليب عامة، بناءً على هذا المسموع»^(٤). وقد أشار إلى ذلك ابن خلدون، فقال: «ثم صارت علوم اللسان صناعية من

(١) التفسير اللغوي للقرآن الكريم، د.مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، ص ٣٨.

(٢) أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه «التحرير والتنوير»، أطروحة علمية مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، للباحث

مشرف بن أحمد بن جمعان الزهراني، مقدمة لجامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة،

شعبة التفسير وعلوم القرآن، إشراف الأستاذ الدكتور أمين محمد عطية باشه، الرقم الجامعي ٤٢٣٧٠٠٦٧، ص ٥٧.

(٣) أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور: ص ٥٧.

(٤) أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور: ص ٥٧.

الكلام في موضوعات اللغة وأحكام الإعراب والبلاغة في التراكيب، فوضعت الدواوين في ذلك، بعد أن كانت ملكات للعرب لا يرجع فيها إلى نقل ولا كتاب، فثنوسي ذلك وصارت تُتلقى من كتب أهل اللسان، فاحتجج إلى ذلك في تفسير القرآن، لأنه بلسان العرب، وعلى منهاج بلاغتهم»^(١).

والعجيب أن الباحث مشرف بن أحمد أدخل ما رآه ناقصًا وحذف جزءًا مهمًا احتواه تعريف الدكتور مساعد الطيار، فجاء تعريفه ناقصًا كذلك، قال مشرف بن أحمد «بيان معاني القرآن ومراميه وفق القوانين المستفادة من كلام العرب»، هكذا، مركزًا على القوانين المستفادة من كلام لغة العرب، ومغفلاً ما ورد في لغة العرب من غير قوانينها التي صيغت في مراحل متأخرة، أعني الألفاظ المفردة.

لذلك يختار البحث تعريفًا يضم الأمرين معًا، فالتعريف المختار للتفسير اللغوي هو: «بيان معاني القرآن ومراميه وفق المستفاد من كلام العرب، قوانينه ومروياته»، وبإمكاننا حذف المقطع الأخير ليبقى الكلام جامعًا مانعًا غير مقيد بقيد، فنقول: «بيان معاني القرآن ومراميه وفق المستفاد من كلام العرب»، أو نضيف كلمة «وقوانينها» إلى تعريف الدكتور مساعد الطيار فنقول هو: «بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب وقوانينها».

(١) مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون أبوزيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (٨٠٨هـ)، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية،

ب- أهمية التفسير اللغوي

شَرَّفَ اللهُ عز وجل اللغة العربية بأن أنزل بها كتابه الخالد ورسالته الخاتمة إلى الأرض، وكان حفظه، سبحانه وتعالى، لكتابه حفظاً لها وصيانة من الضياع والنسيان، وقد أكد القرآن في أكثر من موضع أنه عربي وبلسان عربي مبين^(١)، ولعل في هذا دلالة لكل من أراد أن يتلقاه، متدبراً متفهماً منفذاً ما فيه، أن يلم بمفردات هذا اللسان وتراكيبه وقوانينه.

ولعل هذا أيضاً ما يفسر لنا زيغ من زاغ عن الحق، وضلال من ضل عن الهدى، يقول ابن جني في خصائصه: «وذلك أن أكثر من ضل من أهل الشريعة عن القصد فيها وحاد عن الطريقة المثلى إليها فإنما استهواه واستخف حلمه ضعفه في هذه اللغة الكريمة الشريفة»^(٢)، «وإنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره واتسع علمه وفهم مذاهب العرب، وافتنانها في الأساليب، وما خص الله به لغتها دون جميع اللغات»^(٣).

وإذا كان «القرآن نزل بألفاظ العرب ومعانيها ومذاهبها في الإيجاز والاختصار والإطالة والتوكيد والإشارة إلى الشيء وإغماض بعض المعاني حتى لا يظهر عليه إلا اللقن»^(٤) وإظهار بعضها وضرب الأمثال لما خفي»^(١) فإنه لن يتأتى لأحد معرفة

(١) منها الآية ١ من سورة يوسف، و ١١٣ من سورة طه، والآية ٢٨ من سورة الزمر وغيرها.

(٢) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٥هـ)، تحقيق د. عبد الحميد هندراوي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢١هـ، ص ٤٥١/٢.

(٣) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة (٢١٣-٢٧٦هـ)، شرح السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ، ص ١٢.

(٤) سريع البديهة، حاضر الذهن، قوي الفهم.

القرآن إلا بمعرفة ذلك، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.
وهذا ما دفع ابن فارس إلى إيجاب تعلم العربية على المتعلق بعلم القرآن
والسنة: «إن العلم بلغة العرب واجب على كل متعلق من العلم بالقرآن والسنة والفتيا
بسبب، حتى لا غناء بأحد منهم عنه، وذلك أن القرآن نازل بلغة العرب، ورسول الله
ﷺ عربي، فمن أراد معرفة ما في كتاب الله جل وعز، وما في سنة رسول الله ﷺ من
كل كلمة غريبة أو نظم عجيب، لم يجد من العلم باللغة بدًّا»^(٢).

(١) تأويل مشكل القرآن: ص ٨٦.

(٢) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر، نشر

مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٧٧م، ص ٥٠.

ج- مشروعية التفسير اللغوي

أول من فسر القرآن باللغة هو رسول الله ﷺ، روى البخاري عن أبي سعيد الخدري في تفسير قوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً ﴾^(١) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «... الوسط: العدل»^(٢)، وهو بالمصطلح الحديث تفسير معجمي للكلمة، قال ابن حجر عن هذه العبارة (الوسط: العدل): «وهو مرفوع من نفس الخبر، وليس بمدرج من قول بعض الرواة كما وهم بعضهم»^(٣).

وربما يدخل في ذلك أيضاً تفسير النبي ﷺ للخيط الأبيض والخيط الأسود في قوله تعالى ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾^(٤)، لما أخذ الصحابي الجليل عدي بن حاتم بظاهر الآية، فقال له: «بل هو سواد الليل وبياض النهار»^(٥)، فقد علم ﷺ هذا من أساليب اللغة وتراكيبها، ولعل هذا أيضاً كان متكأ الصحابة الأوّل في فهم القرآن الكريم، أعني معرفتهم بأساليب اللغة وتراكيبها، وعلى هذا أيضاً سار التابعون.

وقد اهتم جل المفسرين ببيان غريب القرآن وألفاظه وإيضاح تراكيب اللغة وأساليبها، وأفردوا لذلك الصفحات، كما أفردت للفنون التفسيرية المعتمدة على اللغة

(١) سورة البقرة: من الآية ١٤٣.

(٢) فتح الباري: ١٧١/٨ و١٧٢، برقم ٤٤٨٧.

(٣) فتح الباري: ١٧٢/٨.

(٤) سورة البقرة: من الآية ١٨٧.

(٥) فتح الباري: ١٨٢/٨، برقم ٤٥١٠.

مؤلفات عدة، في معاني القرآن وغريبه ومجازه... إلخ^(١).

المطلب الثاني: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم باللغة

الاستدلال على الرقيم

١ - القيمة العملية أو العلمية للاستدلال على الرقيم

يقول الله عز وجل في سورة الكهف ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ

وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۝٩ ﴾^(٢)، ويفصل القرآن القول في أصحاب

الكهف في الآيات التالية، دون ذكر آخر للرقيم، ما دفع بعض المفسرين إلى القول

إن أصحاب الكهف غير أصحاب الرقيم، وتحديد الرقيم قد يكون حاسماً لهذه

المسألة.

كما أن في الرقيم رأياً قد يضيف شيئاً إلى ثقافة أهل الكهف وحضارتهم

وطبائعهم، وهو أن الرقيم بمعنى مرقوم، أي مكتوب، أي إن الرقيم لوح مكتوب، وهو

ما يعني أنهم سجلوا، أو سجل قومهم، شيئاً ما من قصتهم أو معتقدتهم... إلخ على

هذا الرقم، وفي هذا ما فيه من دلالة في مجريات القصة وسمات أبطالها وطبائعهم

وحضارتهم، يقول ابن عطية: «ويظهر من هذه الروايات أنهم كانوا قومًا مؤرخين

للحوادث»^(٣).

٢ - اختلاف المفسرين في الرقيم

(١) مثل معاني القرآن للكسائي، وغريب القرآن لأبان بن تغلب، ومجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى وغيرها كثير.

(٢) سورة الكهف: الآية ٩.

(٣) المحرر الوجيز: ٥٦٨/١٥.

ينقل الماوردي الآراء في الرقيم فيقول: «وأما الرقيم ففيه سبعة أقاويل: أحدها: أنه اسم القرية التي كانوا منها، قاله ابن عباس. الثاني: أنه اسم الجبل، قاله الحسن. الثالث: أنه اسم الوادي، قاله الضحاك... الرابع: أنه اسم كلبهم. قاله سعيد بن جبير، وقيل هو اسم لكل كهف. الخامس: أن الرقيم الكتاب الذي كتب فيه شأنهم، قاله مجاهد. مأخوذ من الرقم في الثوب، وقيل كان الكتاب لوحًا من رصاص على باب الكهف، وقيل في خزائن الملوك لعجيب أمرهم. السادس: الرقيم الدواة بالرومية، قاله أبو صالح. السابع: أن الرقيم قوم من أهل الشراة كانت حالهم مثل حال أصحاب الكهف»^(١).

ويضيف ابن عطية رأيًا ثامنًا: «الرقيم الصخرة التي كانت على الكهف»، ثم يورد الرأي الخامس السابق (أن الرقيم هو الكتاب الذي كتب فيه شأنهم) معزوًا إلى ابن عباس ومصحوبًا بشيء من التفصيل حول ذلك المكتوب، فيقول: «وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الرقيم كتاب مرقوم كان عندهم، فيه الشرع الذي تمسكوا به من دين عيسى عليه السلام، وقيل: من دين قبل عيسى عليه السلام، وقال ابن زيد: كتاب عمى الله علينا أمره ولم يشرح لنا قصته. وقالت فرقة: الرقيم كتاب في لوح نحاس، وقال ابن عباس في لوحين من رصاص كتب فيهما القوم الكفار الذين فر الفتية منهم قصتهم، وجعلوها تاريخًا لهم، ذكروا وقت فقدهم، وكم كانوا، وبني من كانوا. وقال سعيد بن جبير: الرقيم لوح من حجارة كتبوا فيه قصة أصحاب الكهف ووضعوه على باب الكهف»^(٢).

(١) النكت والعيون: ٢٨٦/٣ و٢٨٧.

(٢) المحرر الوجيز: ٤٩٧/٣.

٣- الدراسة

أ- استدل جل المفسرين على «الرقيم» بالتحليل اللغوي للكلمة، يقول الطبري: «وأولى هذه الأقوال بالصواب في الرقيم أن يكون معنيًا به لوح، أو حجر، أو شيء كتب فيه كتاب... وإنما الرقيم فعيل، أصله: مرقوم، ثم صرف إلى فعيل، كما قيل للمجروح: جريح، وللمقتول: قتيل، يقال منه: رقمت كذا وكذا: إذا كتبت، ومنه قيل للرقم في الثوب رقم، لأنه الخط الذي يعرف به ثمنه، ومن ذلك قيل للحية: أرقم، لما فيه من الآثار، والعرب تقول: عليك بالرقمة، ودع الضفة: بمعنى عليك برقمة الوادي حيث الماء، ودع الضفة الجانبية. والضفتان: جانب الوادي»^(١)، ويحاول الطبري أن يجد مرجعًا لمن قال إن الرقيم هو الوادي، انطلاقًا من تحليله السابق، فيقول: «وأحسب أن الذي قال: الرقيم الوادي ذهب به إلى هذا، أعني به إلى رقمة الوادي»^(٢).

وينقل الرازي إجماع «أهل المعاني والعربية» على هذا الرأي فيقول: «قال سعيد بن جبير ومجاهد: الرقيم لوح من حجارة، وقيل من رصاص كتب فيه أسماءهم وقصتهم، وشد ذلك اللوح على باب الكهف، وهذا قول جميع أهل المعاني والعربية، قالوا: الرقيم الكتاب، والأصل فيه المرقوم، ثم نقل إلى فعيل، والرقم الكتابة، ومنه قوله تعالى ﴿كُنِبٌ مَّرْقُومٌ﴾^(٣) أي مكتوب...»^(١).

(١) جامع البيان: ١٥/١٦١.

(٢) جامع البيان: ١٥/١٦١.

(٣) سورة المطففين: الآية ٩.

ويستدل الشنقيطي استدلالاً لغوياً صريحاً فيقول: «وأظهر الأقوال عندي بحسب اللغة العربية وبعض آيات القرآن أن الرقيم معناه المرقوم، فهو فعيل بمعنى مفعول من رقت الكتاب إذا كتبه، ومنه قوله تعالى ﴿ كَتَبَ مَرْقُومًا ﴾ (٢) سواء قلنا إن الرقيم كتاب كان عندهم فيه شرعهم الذي تمسكوا به، أو لوح من ذهب كتبت فيه أسماءهم وأنسابهم وقصتهم وسبب خروجهم، أو صخرة نقشت فيها أسماءهم، والعلم عند الله تعالى» (٣).

ويرد الشنقيطي رأي من قال إن أصحاب الكهف غير أصحاب الرقيم فيقول: «والظاهر أن أصحاب الكهف والرقيم طائفة واحدة أضيفت إلى شيئين أحدهما معطوف على الآخر، خلافاً لمن قال: إن أصحاب الكهف طائفة، وأصحاب الرقيم طائفة أخرى، وإن الله قص على نبيه في هذه السورة الكريمة قصة أصحاب الكهف ولم يذكر له شيئاً عن أصحاب الرقيم، وخلافاً لمن زعم أن أصحاب الكهف هم الثلاثة الذين سقطت عليهم صخرة فسدت عليهم باب الكهف الذي هم فيه، فدعوا الله بأعمالهم الصالحة، وهم البار بوالديه، والعفيف، والمستأجر، وقصتهم مشهورة ثابتة في الصحيح، إلا أن تفسير الآية بأنهم هم المراد بعيد كما ترى» (٤).

ب- من المفسرين من رجح أن الرقيم هو اسم كلب أهل الكهف، واستدل هؤلاء باللغة أيضاً، يقول أبو السعود: «والرقيم: كلبهم، قال أمية بن أبي الصلت:

وَأَيْسَ بِهَا إِلَّا الرَّقِيمُ مُجَاوِرًا

(١) مفاتيح الغيب: ٨٣/٢١.

(٢) سورة المطففين: الآية ٩.

(٣) أضواء البيان: ٢٦/٤.

(٤) أضواء البيان: ٢٦/٤ و٢٧.

وَصَيْدَهُمْ وَالْقَوْمُ فِي الْكَهْفِ هُمُّدٌ^(١)»^(٢)

وكذلك قال الزمخشري^(٣) والألوسي^(٤)، وهو لا يعدو أن يكون «اعتقاد أمية بن أبي الصلت»^(٥) كما يرى الشنقيطي، وليس استدلالاً لغوياً كما زعموا، فاستدلّاهم هنا بالشعر في غير محله، والله أعلم.

ج- نقل الطبري والرازي والقرطبي وابن كثير عن ابن عباس أنه قال: «كل القرآن أعلمه إلا أربعة: غسلين وحناناً والأواه والرقيم»^(٦)، ومع ذلك فقد ورد كلام لابن عباس في «الرقيم» كما مضى، مما يؤكد أن كثيراً من هذه المرويات تحتاج إلى إعادة نظر وتدقيق ودراسات موسعة.

٤- الترجيح

يظهر مما سبق أن الرقيم هو الكتاب، سواء كُتبت فيه قصة أهل الكهف، أو كُتبت فيه شيء من عقيدتهم أو أسماؤهم أو نسبهم أو غير ذلك، كما يظهر أن أصحاب الكهف والرقيم مجموعة واحدة لا علاقة لهم بقصة أصحاب الغار الذين أوامهم المبيت إلى غار فدخلوه فانسد عليهم الباب... إلى آخر القصة كما جاءت في كتب الصحاح.. والله تعالى أعلم.

(١) ديوان أمية بن أبي الصلت، تحقيق سجيح جميل الجبيلي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨، ص ٤٧.

(٢) إرشاد العقل السليم: ٤٩٧/٣.

(٣) الكشف: ٥٦٦/٣.

(٤) روح المعاني: ٢٠٩/١٥.

(٥) أضواء البيان: ٢٦/٤.

(٦) الكشف: ٥٦٦/٣.

ويكتفي البحث بهذا المثال من الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم باللغة، فقد قام به الغرض، وهو إثبات أن المفسرين استدلووا على المبهم في القرآن الكريم باللغة، كما أنه ضم نموذجًا خاطئًا للاستدلال على المبهم في القرآن الكريم باللغة، وهو قول من قال إن الرقيم هو الكلب، مستشهدًا ببيت أمية بن أبي الصلت، بالإضافة إلى أنه قد تمت الإشارة في ثنايا البحث إلى نماذج أخرى من الاستدلال على المبهم باللغة، فلا داعي للتكرار.

المبحث الثالث: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بالاستنباط

المطلب الأول: تعريف الاستنباط لغة واصطلاحًا

المطلب الثاني: مشروعية التفسير بالاستنباط

المطلب الثالث: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بالاستنباط

المطلب الأول: تعريف الاستنباط لغة واصطلاحاً

أ- تعريف الاستنباط لغة

النون والباء والطاء كلمة تدل على استخراج شيء^(١)، و«النَّبَطُ: الماء الذي ينبط من قعر البئر إذا حفرت، وقد نبط ماءؤها ينبط وينبُط نبطاً ونبوطاً، وأنبطنا الماء أي استنبطناه وانتهينا إليه... والاستنباط: الاستخراج»^(٢).

«وتنبَّط (القوم): تشبه بهم، أو تنسب إليهم، والكلام: استخرجه... وكل ما أظهر بعد خفاء فقد أنبط واستنبط... واستنبط الفقيه: استخرج الفقه الباطن بفهمه واجتهاده»^(٣).

وقد جاءت مادة الاستنباط في قوله تعالى في سورة النساء ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٤) «أي يستخرجونه»^(٥).

(١) مقاييس اللغة: ٣٨١/٥.

(٢) لسان العرب: ٤٣٢٥/٦.

(٣) القاموس المحيط: ٦٨٩.

(٤) سورة النساء: الآية ٨٣.

(٥) مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المنذر التيمي (٥٢١٠هـ)، عارضه بأصوله وعلق عليه فؤاد سركين، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت، ١٣٤/١.

«وهو استفعال من أنبطت كذا»^(١).

ويشير الباحث فهد بن مبارك بن عبدالله الوهبي إلى أمور مهمة لدى تعريفه الاستنباط لغويًا، فيقول: «ويظهر من استعمالات العلماء لمادة نبط أن لفظ الاستنباط في اللغة يستخدم لكل ما أخرج أو أظهر بعد خفاء... واشتغال الكلمة على (همزة الوصل) والسين والتاء الدالة على الطلب يدل على ما فيها من الجهد، فليس المراد مجرد الإنباط، بل الاستنباط، وعلى تطلب الشيء لأجل الحصول عليه، وكأن فيها معنى التكلف في إعمال العقل الذي يحتاج إليه المستنبط حال الاستنباط... وفي الأمر المستنبط معنى الخفاء والغموض قبل الاستنباط، فالماء قبل استخراجه من البئر كان خفيًا مستترًا عن الأبصار، وكذلك العلم أو الخبر يكون مستترًا عن الأسماع فيحصل بالاستنباط إظهاره بعد خفائه، وكذلك ما يستنبط من الفوائد والأحكام من النصوص، فإنه يظهر بعد أن كان مستترًا عن الأذهان والعقول إلى حيز المعارف والمعلومات»^(٢).

وغريب القرآن وتفسيره، أبو عبدالرحمن عبدالله بن يحيى بن المبارك الزاوي (٢٣٧هـ)، تحقيق محمد سليم الحاج، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، ص ١٢٢، وتفسير غريب القرآن، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٣٩٨هـ، ص ١٣٢، ومعاني القرآن وإعرابه، الزجاج أبو إسحق إبراهيم بن السري (٣١١هـ)، شرح وتعليق د. عبدالجليل عبده شلي، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، ٨٣/٢، ومعاني القرآن، أبو جعفر النحاس (٣٣٨هـ)، تحقيق محمد علي الصابوي، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مركز إحياء التراث الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ١٤١/٢، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ.. معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم، أحمد بن يوسف بن عبدالدائم المعروف بالسمين الحلبي (٧٥٦هـ)، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ=١٩٩٦م، ١٣٨/٤.

(١) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ)، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم والدار

الشامية، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ، ٧٨٨.

(٢) منهج الاستنباط من القرآن الكريم، فهد بن مبارك بن عبدالله الوهبي، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، معهد الإمام الشاطبي التابع

ب- تعريف الاستنباط اصطلاحًا

وردت تعريفات عدة للاستنباط بين ثنايا كتب الفقه والأصول والتفسير وغيرها، منها:

١- قول الماوردي: «... والاستنباط مختص باستخراج المعاني من النصوص»^(١).

٢- قول ابن حزم: «إخراج الشيء المغيب من شيء آخر كان فيه»^(٢).

٣- قوله أيضًا: «استخراج الحكم من لفظ هو خلاف لذلك الحكم»^(٣).

٤- قول أبي المظفر السمعاني: «هو استخراج العلم»^(٤).

٥- وقول السرخسي: «والاستنباط ليس إلا استخراج المعنى من النصوص بالرأي»^(٥).

٦- وقول الزمخشري: «... ما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني

للجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بمحافظة جدة، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م، وأصل الكتاب رسالة ماجستير مقدمة لقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بالرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص ٣٢ و٣٣، بتصرف.

(١) أدب القاضي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (٤٥٠هـ)، تحقيق محيي هلال السرحان، طبعة إحياء التراث الإسلامي، مطبعة الرشيد، بغداد، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ، ٥٣٥/١.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام، الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (٤٥٦هـ)، قدم له الدكتور إحسان عباس، منشورات دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ، ٤٨/١.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام: ٢١/٦.

(٤) تفسير القرآن للسمعاني، أبوالمظفر السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي المروزي الشافعي السلفي (٤٨٩هـ)، تحقيق أبي تميم ياسر بن إبراهيم، وأبي بلال غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، ٤٥٣/١.

(٥) أصول السرخسي، الإمام أبو بكر بن أحمد بن أبي سهل السرخسي (٤٩٠هـ)، حقق أصوله أبو الوفا الأصفهاني، دار المعرفة ١٣٩٣هـ، ١٢٨/٢.

والتدابير فيما يعضّل ويهم»^(١).

٧- وما أورده النووي: «قال العلماء: الاستنباط هو استخراج ما خفي المراد

به من اللفظ»^(٢).

٨- قول ابن القيم: «استخراج الأمر الذي من شأنه أن يخفى على غير

المستنبط»^(٣).

٩- قول الجرجاني: «استخراج المعاني من النصوص بفرط الذهن وقوة

القريحة»^(٤).

والذي يقصده البحث بالاستنباط هنا هو قول الزمخشري وقول الجرجاني،
لنصهما في تعريفيهما على استخدام الذهن في الاستنباط.

«... ما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يعضّل

ويهم»^(٥)، أو «استخراج المعاني من النصوص بفرط الذهن وقوة القريحة»^(٦).

(١) الكشف: ١١٧/٢.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات، أبوزكريا محيي الدين بن شرف النووي (٦٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان د.ت، القسم الثاني/١/١٥٨.

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، المعروف بابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، قرأه وقدم له وعلق عليه وخرج

أحاديثه وآثاره أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، شارك في التخريج أبو عمر أحمد عبد الله أحمد، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة

العربية السعودية، الطبعة الأولى رجب ١٤٢٣هـ، ٧٩٣/٢.

(٤) التعريفات، الشريف علي بن محمد الجرجاني (٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ، ٢٢.

(٥) الكشف: ١١٧/٢.

(٦) التعريفات: ٢٢.

المطلب الثاني: مشروعية التفسير بالاستنباط

يقول ابن القيم: «... وقد مدح الله تعالى أهل الاستنباط في كتابه وأخبر أنهم أهل العلم»^(١)، وهو يشير بذلك إلى قوله تعالى ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ أَلْحَافٍ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٣﴾^(٢).

وقد نُقلت إلينا بعض الوقائع التي يُفهم منها أن الصحابة استنبطوا من القرآن، بل منهم من استنبط معنى مبهم من مبهمات القرآن، أو استدل بالاستنباط على معنى هذا المبهم، فقد روي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال في الكلاله «أقضي فيها، فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأً فمني ومن الشيطان والله منه بريء، هو ما دون الولد والوالد»^(٣).

«استنبط أبو بكر الصديق من ضم آيتين في سورة النساء أن معنى الكلاله هو

(١) إعلام الموقعين ٢/٧٩٣.

(٢) سورة النساء: الآية ٨٣.

(٣) رواه الطبري في جامع البيان: ٦/٤٧٥، والدارمي في سننه برقم ٢٩٧٢، والبيهقي في سننه برقم ١٢٢٦٣، وعبدالرزاق في مصنفه برقم

ما عدا الوالد والولد، والآيتان هما ﴿ وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً ۖ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۚ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ۚ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ۝ (١) و ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَلَةِ ۚ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَا ۚ إِن لَّمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ ۚ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ ۚ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾ ۝ (٢)

وليس في كلام أبي بكر ما يدل على ربطه هذا المعنى بالآيتين إلا أن عددًا من العلماء جعلوه من هذا القسم»^(٣)، ومن أشار إلى ذلك ابن القيم، قال: «... فهم الصديق من آية الفرائض في أول سورة النساء وآخرها أن الكلاله من لا ولد له ولا والد»^(٤).

وسواء استنبط أبو بكر رضي الله عنه المعنى من الآيتين معًا، أو استدل بأي طريق آخر، فإن في كلامه هذا دلالة صريحة وواضحة على جواز الاستدلال على المبهم بالرأي.

(١) سورة النساء: من الآية ١٢.

(٢) سورة النساء: من الآية ١٧٦.

(٣) منهج الاستنباط: ١٣٨ بتصرف.

(٤) إعلام الموقعين: ١٢٦/٣.

ومن تفسير الصحابة بالاستنباط أنه قد «فهم ابن عباس من قوله ﴿وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾^(١) مع قوله ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾^(٢) أن المرأة قد تلد لستة أشهر^(٣)»^(٤).

ومنه كذلك استنباط عبدالله بن عباس رضي الله عنهما دنو أجل رسول الله ﷺ كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره عن ابن عباس قال: «كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال لهم عمر: إنه من حيث علمتم. فدعا ذات يوم فأدخله معهم، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليربهم، قال ما تقولون في قوله تعالى ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾^(٥) فقال بعضهم أمرنا نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له، قال: إذا جاء نصر الله والفتح، فذلك علامة أجلك، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً،

(١) سورة الأحقاف: من الآية ١٥.

(٢) سورة البقرة: من الآية ٢٣٣.

(٣) رواه عبدالرزاق في مصنفه برقم ١٣٤٤٦، والطبري: ٢٠٢/٤، وابن أبي حاتم: ٤٢٨/٢، برقم ٢٢٦٥، وابن شبة في كتابه تاريخ المدينة

المنورة، أبوزيد عمر بن شبة النميري البصري (١٧٣-٢٦٢هـ)، حققه فيهم محمد شلتوت، طبع على نفقة السيد الأستاذ حبيب محمود أحمد،

د.ت، ٩٧٧/٣.

(٤) إعلام الموقعين: ١٢٦/٣.

(٥) سورة النصر: الآية ١.

فقال عمر رضي الله عنه: ما أعلم منها إلا ما تقول»^(١).

ويحاول ابن القيم معرفة المرتكزات التي استند إليها ابن عباس رضي الله عنه في استنباطه فيقول: «وهذا من أدق الفهم والطفه، ولا يدركه كل أحد، فإنه سبحانه لم يعلق الاستغفار بعمله، بل علقه بما يحدثه هو سبحانه من نعمة فتحه على رسوله ودخول الناس في دينه، وهذا ليس بسبب للاستغفار، فعلم أن سبب الاستغفار غيره، وهو حضور الأجل الذي من تمام نعمة الله على عبده توفيقه للتوبة النصوح والاستغفار بين يديه ليلقى ربه طاهرًا مطهرًا من كل ذنب فيقدم عليه مسرورًا راضيًا مرضيًا عنه، ويدل عليه أيضًا قوله ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ ﴾^(٢) وهو صلى الله عليه وسلم كان يسبح بحمده دائمًا، فعلم أن المأمور به من ذلك التسبيح بعد الفتح ودخول الناس في هذا الدين أمر أكبر من ذلك المتقدم، وذلك مقدمة بين يدي انتقاله إلى الرفيق الأعلى، وأنه قد بقيت عليه من عبودية التسبيح والاستغفار التي ترقيه إلى ذلك المقام بقية فأمره بتوفيتها، ويدل عليه أيضًا أنه سبحانه شرع التوبة والاستغفار في خواتيم الأعمال، فشرعها في خاتمة الحج وقيام الليل، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سلم من الصلاة استغفر ثلاثًا، وشرع للمتوضئ بعد كمال وضوئه أن يقول اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين فعلم أن التوبة مشروعة عقب الأعمال الصالحة، فأمر رسوله بالاستغفار عقب توفيته ما عليه من تبليغ الرسالة والجهاد في سبيله حين دخل الناس في دينه أفواجًا، فكأن التبليغ عبادة قد أكملها وأداها، فشرع له الاستغفار عقبها»^(٣).

(١) فتح الباري برقم ٤٩٧٠.

(٢) سورة النصر: من الآية ٣.

(٣) إعلام الموقعين: ١٢٤-١٢٦.

وفي كتب التفاسير وغيرها نماذج كثيرة من هذا الاستنباط، سواء من قبل الصحابة أو التابعين، أو المفسرين أنفسهم، أو الفقهاء أو غيرهم، وخصص السيوطي كتابه المسمى «الإكليل في استنباط التنزيل» للمسائل المستنبطة من القرآن الكريم، كما جمع كثيراً منها فهد بن مبارك بن عبدالله الوهبي في كتابه «منهج الاستنباط من القرآن الكريم».

المطلب الثالث: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بالاستنباط

مر معنا من قبل استدلال بعض المفسرين على المبهم بالاستنباط، مثل استدلالهم على أن الذي نادى مريم هو عيسى عليه السلام، وليس جبريل عليه السلام، بدلالة إشارته إليها، فلو لم تكن تعرف من قبل أنه يتكلم لما أشارت إليه. وفي الصفحات التالية يعرض البحث نموذجين من استدلالهم على المبهم بالاستنباط، الأول حول مسألة يرى الباحث أنه لا قيمة لتحديد المبهم فيها، ومع ذلك شغل بها المفسرون وعملوا على الكشف عن مبهمها، هي عدد أصحاب الكهف.

والثاني حول مسألة يراها مهمة مع أنها لم تذكر في أي كتاب من كتب المبهم، ولم يتعرض لها أحد من المفسرين الأوائل، ولا حتى المعاصرين، فيما أعلم، باستثناء صاحب الظلال، وتكمن أهميتها في أنها تلفت النظر إلى باب من أبواب المبهم في القرآن الكريم، هو باب مبهم «الحدث»، وهي الإجابة عن سؤال: هل كان موسى عليه السلام ضمن رجال القصر ساعة أن وكز القبطي؟

المسألة الأولى: الاستدلال على عدد أصحاب الكهف

١ - القيمة العملية أو العلمية لتحديد عدد أصحاب الكهف

لا يرى الباحث قيمة كبيرة لتحديد عدد أصحاب الكهف، لقول الله تعالى

﴿ قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ (٢٢) ، وقال ابن كثير: «فإن الأمر في معرفة ذلك لا يترتب عليه كبير فائدة» (٢).

إنما أوردتها البحث هنا لذكر نموذج من المسائل غير المهمة التي شغل بها المفسرون، كما أنها تعد مسألة رئيسة في هذا الباب، لا يحسن إغفالها لدى الحديث فيه.

٢ - اختلاف الآراء في عدد أصحاب الكهف

ذكر القرآن الكريم آراء أهل الكتاب في عدد أصحاب الكهف فقال

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا

(١) سورة الكهف: من الآية ٢٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ١٤٨/٥.

قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾^(١)،
ونقل البغوي وغيره عن محمد بن إسحق أنهم «كانوا ثمانية، قرأ ﴿وَتَامِنُهُمْ
كَلْبُهُمْ﴾^(٢) أي: حافظهم»^(٣)، قال البغوي، وكذلك ابن كثير: «والصحيح هو
الأول»^(٤).

٣- اختلاف المفسرين في أصحاب الكهف

استنبط بعض المفسرين عدد أصحاب الكهف من الآيات، وتمسك آخرون بأن
عدددهم مبهم غير معلوم على وجه الحقيقة، مستنبطين ذلك من الآيات أيضاً، على
النحو التالي:

٤- الدراسة

أ- استنبط كثير من المفسرين عدد أصحاب الكهف من حديث القرآن عن
الآراء حول عددهم، وقد أكثر الرازي وأطال في هذا الاستنباط، فقال: «وقال
المسلمون: كانوا سبعة وثامنهم كلبهم، قال أكثر المفسرين: هذا الأخير هو الحق،
ويدل عليه وجوه... أن الواو في قوله ﴿وَتَامِنُهُمْ﴾^(٥) هي الواو التي تدخل على

(١) سورة الكهف: الآية ٢٢.

(٢) سورة الكهف: من الآية ٢٢.

(٣) معالم التنزيل: ١٦٢/٥.

(٤) معالم التنزيل: ١٦٢/٥.

(٥) سورة الكهف: من الآية ٢٢.

الجملة الواقعة صفة للنكرة، كما تدخل على الواقعة حالاً عن المعرفة في نحو قولك: جاءني رجل ومعه آخر، ومررت بزيد وفي يده سيف، ومنه قوله تعالى ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا وَهَذَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾^(١) وفائدتها توكيد ثبوت الصفة للموصوف، والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر، فكانت هذه الواو دالة على صدق الذين قالوا: إنهم كانوا سبعة وثامنهم كلبهم، وأنهم قالوا قولاً متقررًا متحققًا عن ثبات وعلم وطمأنينة نفس^(٢)، وظاهر أن هذا استدلال لغوي.

ويتابع الرازي استدلاله اللغوي هذا فيقول: «قالوا: إنه تعالى خص هذا الموضوع بهذا الحرف الزائد، وهو الواو، فوجب أن تحصل به فائدة زائدة صوتًا للفظ عن التعطيل، وكل من أثبت هذه الفائدة الزائدة قال: المراد منها تخصيص هذا القول بالإثبات والتصحيح»^(٣).

ثم ينتقل الرازي من الاستدلال اللغوي إلى الاستنباط فيقول: «أتبع (سبحانه وتعالى) القولين الأولين بقوله ﴿ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ﴾^(٤) وتخصيص الشيء بالوصف يدل على أن الحال في الباقي بخلافه، فوجب أن يكون المخصوص بالظن الباطل هو القولان الأولان، وأن يكون القول الثالث مخالفًا لهما في كونهما رجمًا بالظن... لما حكى قولهم ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾^(٥) قال بعده ﴿ قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ

(١) سورة الحجر: الآية ٤.

(٢) مفاتيح الغيب: ١٠٦/٢١ و١٠٧.

(٣) مفاتيح الغيب: ١٠٧/٢١.

(٤) سورة الكهف: من الآية ٢٢.

(٥) سورة الكهف: من الآية ٢٢.

أَعْلَمُ بَعْدَتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿١﴾ (١) فإتباع القولين الأولين بكونهما رجماً بالغيب وإتباع هذا القول الثالث بقوله ﴿قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ بَعْدَتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (٢) يدل على أن هذا القول ممتاز عن القولين الأولين بمزيد القوة والصحة» (٣).

ويتابع الاستنباط فيقول: «وأنه تعالى قال ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (٤) وهذا يقتضي أنه حصل العلم بعدتهم لذلك القليل، وكل من قال من المسلمين قولاً في هذا الباب قالوا: إنهم كانوا سبعة وثامنهم كلبهم، فوجب أن يكون المراد من ذلك القليل هؤلاء الذين قالوا هذا القول، كان علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: كانوا سبعة وأسماءؤهم... وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: أنا من ذلك العدد القليل، وكان يقول: إنهم سبعة وثامنهم كلبهم» (٥).

ومن أدلته الاستنباطية أيضاً: «والظاهر أنه تعالى لما حكى الأقوال فقد حكى كل ما قيل من الحق والباطل، لأنه يبعد أنه تعالى ذكر الأقوال الباطلة ولم يذكر ما هو الحق، فثبت أن جملة الأقوال الحقة والباطلة ليست إلا هذه الثلاثة، ثم خص الأولين بأنهما رجم بالغيب فوجب أن يكون الحق هو هذا الثالث... أنه تعالى قال لرسوله ﴿فَلَا تَمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (٦)

(١) سورة الكهف: من الآية ٢٢.

(٢) سورة الكهف: من الآية ٢٢.

(٣) مفاتيح الغيب: ١٠٧/٢١.

(٤) سورة الكهف: من الآية ٢٢.

(٥) مفاتيح الغيب: ١٠٧/٢١.

(٦) سورة الكهف: من الآية ٢٢.

فمنعه الله تعالى عن المناظرة معهم، وعن استفتائهم في هذا الباب، وهذا إنما يكون لو علمه حكم هذه الواقعة، وأيضاً أنه تعالى قال ﴿ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾^(١) ويبعد أن يحصل العلم بذلك لغير النبي ولا يحصل للنبي، فعلمنا أن العلم بهذه الواقعة حصل للنبي عليه السلام، والظاهر أنه لم يحصل ذلك العلم إلا بهذا الوحي، لأن الأصل فيما سواه العدم، وأن يكون الأمر كذلك، فكان الحق هو قوله ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾^(٢) واعلم أن هذه الوجوه وإن كان بعضها أضعف من بعض إلا أنه لما تقوى بعضها ببعض حصل فيه كمال وتمام، والله أعلم^(٣).

ويقول ابن عطية: «ويستدل على هذا (يعني أنهم سبعة وثامنهم كلبهم) من الآية، فإن القرآن لما حكى قول من قال ثلاثة وخمسة قرن بالقول إنه رجم بالغيب، فقدح ذلك فيهما، ثم حكى هذه المقالة ولم يقدح فيها بشيء، بل تركها مسجلة، وأيضاً فيقوي ذلك على القول بأنها واو الثمانية، لأنها إنما تكون حيث عدد الثمانية صحيح»^(٤).

ويقول ابن كثير: «... فحكى ثلاثة أقوال، فدل على أنه لا قائل برابع، ولما ضعف القولين الأولين بقوله ﴿ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ﴾^(٥)، أي: قولاً بلا علم، كمن يرمي إلى إلى مكان لا يعرفه، فإنه لا يكاد يصيب، وإن أصاب فبلا قصد، ثم حكى الثالث

(١) سورة الكهف: من الآية ٢٢.

(٢) سورة الكهف: من الآية ٢٢.

(٣) مفاتيح الغيب: ١٠٧/٢١ و ١٠٨.

(٤) الخمر الوجيز: ٥٠٨/٣.

(٥) سورة الكهف: من الآية ٢٢.

وسكت عليه أو قرره بقوله ﴿وَتَأْمِنُهُمُ كَلِمَاتٌ﴾^(١) فدل على صحته، وأنه هو الواقع في نفس الأمر»^(٢).

ويقول السيوطي: «وَصَفُّ الْأَوَّلِينَ بِالرَّجْمِ بِالغَيْبِ دُونَ الثَّلَاثِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مَرْضِيٌّ وَصَحِيحٌ»^(٣).

ويقول أبو السعود: «... وما فيه مما يرشدكم إلى ذلك من عدم نظمه في سلك الرجم بالغيب، وتغيير سبكه بزيادة الواو المفيدة لزيادة وكادة النسبة فيما بين طرفيها لا بوحى آخر كما قيل: قل تحقيقًا للحق، وردًا على الأولين ربي أعلم أي: أقوى علمًا بعدتكم بعددهم ما يعلمهم أي: ما يعلم عدتهم، أو ما يعلمهم فضلًا عن العلم بعدتكم، إلا قليل من الناس قد وفقهم الله تعالى للاستشهاد بتلك الشواهد»^(٤).

ويجب أبو السعود على إشكالية النهي عن الاستفتاء في الآية فيقول: «النهي عن الاستفتاء لدفع ما عسى (أن) يتوهم من احتمال جوازه، أو احتمال وقوعه، بناء على إصابة بعضهم، فالمعنى: لا ترجع إليهم في شأن الفتية، ولا تصدق القول الثالث من حيث صدوره عنهم، بل من حيث التلقي من الوحي»^(٥).

وذهب إلى هذا الاستنباط أيضًا الشنقيطي والشوكاني، يقول الشنقيطي: «ثم

(١) سورة الكهف: من الآية ٢٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ١٤٧/٥.

(٣) الإكليل في استنباط التنزيل، الحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق سيف الدين عبدالقادر الكاتب، دار الكتب العلمية،

بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ=١٩٨١م، ص ١٧٠.

(٤) إرشاد العقل السليم: ٥١٢/٣ و٥١٣.

(٥) إرشاد العقل السليم: ٥١٣/٣.

حكى القول الثالث بقوله ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةَ وَثَامِنَهُمْ كَلْبَهُمْ﴾^(١) فأقره، ولم يذكر بعده أن ذلك رجم بالغيب، فدل على أنه الصحيح»^(٢).

ويقول الشوكاني: «كأن قول هذه الفرقة أقرب إلى الصواب بدلالة عدم إدخالهم في سلك الراجمين بالغيب»^(٣).

ب- أما أصحاب الاتجاه الثاني (وهو أن عددهم غير معلوم)، فقد استنبطوا ذلك من الآيات أيضاً، يقول القرطبي: «قوله تعالى ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾^(٤)، أي لا تجادل في أصحاب الكهف إلا بما أوحيناه إليك، وهو رد علم عدتهم إلى الله تعالى، وقيل: معنى المراء الظاهر أن تقول: ليس كما تقولون، ونحو هذا، ولا تحتج على أمر مقدر في ذلك، وفي هذا دليل على أن الله تعالى لم يبين لأحد عددهم، فلهذا قال إلا مراء ظاهراً أي ذاهباً»^(٥).

وإلى هذا أيضاً ذهب القاسمي الذي رد كثيراً من الاستنباطات السابقة، يقول: «ذهب أكثر المفسرين إلى أن قول الخائضين الأخير، وهو أنهم سبعة وثمانهم كلبهم، هو الحق، لأنه لم يوصف بكونه رجماً بالغيب كما وصف الأولان، ولتخصيصه بالواو في قوله ﴿وَتَامِنَهُمْ﴾^(٦) وهي الواو الداخلة على الجملة الواقعة صفة للنكرة، لإفادة تأكيد لصوق الصفة بالموصوف، والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر، وأنه

(١) سورة الكهف: من الآية ٢٢.

(٢) أضواء البيان: ٩٨/٤.

(٣) فتح القدير: ٨٥٤.

(٤) سورة الكهف: من الآية ٢٢.

(٥) أضواء البيان: ٩٨/٤.

(٦) الجامع لأحكام القرآن: ٢٤٩ و ٢٤٨/١٣.

لا عدد وراءه، كما قال ابن عباس: حين وقعت الواو انقطعت العدة. وأقول: لا يخفى ضعف التمسك بهذين الوجهين لتقوية القول الأخير، فإن عدم وصفه بالرجم بالغيب إنما هو لدلالة ما قبله عليه، وفي إعادته إخلال بالبلاغة، ومسألة الواو أوهى من بيت العنكبوت، فإن مثل هذا النزاع لا يكتفى بحسمه بمثل هذا الإيماء الدقيق القريب من الإلغاز، كما لا يخفى على من تتبع مواقع حسم الشبه في الكتاب والسنة وكلام البلغاء، لا سيما والواو من المحكي لا من الحكاية، فيدل على ثبوته عند القائل لا عند الله، فلا يكون من الإيماء في شيء، وجواب بعضهم بأنه تعالى لما حكى قولهم قبل أن يقولوه هكذا، لقنهم أن يقولوه إذا أخبروا عنه بهذه العبارة، وبأنه لا مانع أن تكون من الحكاية بعيد غاية البعد، وتكلف ظاهر، وإغراب في القول»^(١).

ويبدو أن هذا أيضاً رأي ابن عاشور الذي حاول الكشف عن سبب إبهام هذا العدد، فقال: «لما شاعت قصة أهل الكهف حين نزل بها القرآن صارت حديث النوادي، فكانت مثار تحرصات في معرفة عددهم، وحصر مدة مكثهم في كهفهم، وربما أملى عليهم المتنصرة من العرب في ذلك قصصاً، وقد نبههم القرآن إلى ذلك وأبهم على عموم الناس الإعلام بذلك لحكمة، وهي أن تتعود الأمة بترك الاشتغال فيما ليست منه فائدة للدين أو للناس، ودل علم الاستقبال على أن الناس لا يزالون يخوضون في ذلك»^(٢).

(١) محاسن التأويل: ٤٠٤٠/١١.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٩١/١٥ و٢٩٠.

٥- الترجيح

صحيح أن تحديد عدد أهل الكهف لا قيمة له، لكن الذي يظهر من الآيات بالفعل أنهم كانوا سبعة وثمانهم كلبهم، لقوة حجة من قال ذلك، ولما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، والله تعالى أعلم.

المسألة الثانية: هل كان موسى عليه السلام ضمن رجال القصر ساعة وكز القبطي؟

لم يلتفت إلى مسألة كون موسى عليه السلام ضمن رجال القصر ساعة وكز القبطي أو لا إلا سيد قطب، وسواء كانت للإجابة على هذا السؤال قيمة عملية أو علمية، أو لا، فإن مكن أهمية عرض هذه المسألة، كما سبق أن أشرت، أنها تلفت النظر إلى باب من أبواب المبهم في القرآن الكريم، هو باب مبهم «الحدث»، ذلك أن كثيراً من قصص القرآن فيه حلقات غير مصرح بها، أو مسكوت عنها، وربما يكون في الكشف عنها دلالات مهمة ومفيدة، وقد يكون القرآن أجهماً لا لقلّة أهميتها، إنما لإعمال العقل في معرفتها.

عرض المسألة

إبان حديثه عن قصة نبي الله موسى عليه السلام في سورة القصص يقول سيد قطب: «ويسكت سياق القصة بعد هذا عن السنوات الطوال ما بين مولد موسى عليه السلام والحلقة التالية التي تمثل شبابه واكتماله، فلا نعلم ماذا كان بعد رده إلى أمه لترضعه، ولا كيف تربى في قصر فرعون، ولا كيف كانت صلته بأمه بعد فترة الرضاعة، ولا كيف كان مكانه في القصر أو خارجه بعد أن شب وكبر إلى أن تقع الأحداث التالية في الحلقة الثانية، ولا كيف كانت عقيدته، وهو الذي يصنع على عين الله، ويعد لوظيفته، في وسط عباد فرعون وكهنته.. يسكت سياق القصة عن كل هذا

ويبدأ الحلقة الثانية مباشرة حين بلغ أشده واستوى، فقد آتاه الله الحكمة والعلم، وجزاه جزاء المحسنين»^(١).

ويجتهد صاحب الظلال في معرفة ما إذا كان موسى عليه السلام من رجال قصر فرعون ساعة أن وكز القبطي أو أنه كان قد فارق القصر، فيقول: «فهل ظل موسى عليه السلام في قصر فرعون، ربيباً ومتبني لفرعون وزوجه حتى بلغ هذه السن؟ أم إنه افترق عنهما، واعتزل القصر، ولم تسترح نفسه للحياة في ظل تلك الأوضاع الآسنة التي لا تستريح لها نفس مصفاة مجتباة كنفس موسى عليه السلام؟!... ليس لدينا من دليل، ولكن سياق الحوادث بعد هذا يلهم شيئاً من هذا كما سيجيء، والتعقيب على إتيانه الحكمة والعلم ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢) يشي كذلك بأنه أحسن فأحسن الله إليه بالحكمة والعلم... كيف استغاث الإسرائيلي بموسى ربيب فرعون على رجل من رجال فرعون؟ إن هذا لا يقع إذا كان موسى عليه السلام لا يزال في القصر، متبني، أو من الحاشية، إنما يقع إذا كان الإسرائيلي على ثقة من أن موسى عليه السلام لم يعد متصلاً بالقصر، وأنه قد عرف أنه من بني إسرائيل، وأنه ناقم على الملك والحاشية، منتصر لقومه المضطهدين، وهذا هو الأنسب لمن في مقام موسى عليه السلام، فإنه بعيد الاحتمال أن تطيق نفسه البقاء في مستنقع الشر والفساد»^(٣).

ثم يتابع الاستدلال على أن موسى عليه السلام كان قد خرج من القصر في مرحلة مبكرة قبل وكز القبطي فيقول: «وحالة موسى عليه السلام هذه تلهم أنه لم يكن في هذا

(١) في ظلال القرآن: ٢٦٨١/٥.

(٢) سورة القصص: من الآية ١٤.

(٣) في ظلال القرآن: ٢٦٨٢-٢٦٨١/٥.

الوقت من رجال القصر، وإلا فما أرخص أن يزهق أحد رجال القصر نفسًا في عهد
الظلم والطغيان! وما كان ليخشى شيئًا، فضلًا على أن يصبح خائفًا يترقب، لو أنه
كان ما يزال في مكانه من قلب فرعون وقصره»^(١).

ولم يفصح سيد قطب عن دلالة وجود موسى عليه السلام في القصر، أو عدم
وجوده، في سياق القصة وفي غيرها ودروسها، إلا أننا يمكن أن نستنبط أن سيد قطب
أراد أن يدل على خروج موسى من قصر فرعون في وقت مبكر، في دلالة لرفضه ظلم
فرعون وتجبره، وإن لم يصبه هو شيء من هذا الظلم والتكبر، بدلالة قوله: «ولم تسترح
نفسه للحياة في ظل تلك الأوضاع الآسنة التي لا تستريح لها نفس مصفاة مجتباة
كنفس موسى عليه السلام... وهذا هو الأنسب لمن في مقام موسى، فإنه بعيد
الاحتمال أن تطبق نفسه البقاء في مستنقع الشر والفساد».. والله تعالى أعلم.

(١) في ظلال القرآن: ٢٦٨٣/٥.

الخاتمة

النتائج
التوصيات
خطة مقترحة للتعامل مع المبهم

النتائج

وصل البحث، بعون الله وتوفيقه، إلى النتائج التالية:

١ - المبهم في القرآن الكريم هو «ما لم يُعَيَّنَه القرآن من اسم أو مسمى أو عدد أو أمد أو مكان أو نسب أو حدث».

٢ - استدل المفسرون على المبهم في القرآن الكريم بطرق التفسير المقررة لديهم، سواء المعتمد منها على النقل: التفسير بالقرآن الكريم، والتفسير بالسنة النبوية، والتفسير بقول الصحابة، والتفسير بقول التابعين، أو المعتمد على إعمال العقل في النقل، مثل التفسير بالسياق، والتفسير باللغة، والتفسير بالاستنباط.

٣ - من مبهمات القرآن ما لا يمكن الاستدلال عليه إلا بنقل، مثل أسماء من نزلت فيهم بعض الآيات، وهي مع ذلك تحتاج أيضاً إلى إعمال العقل، من ناحية نقد المرويات سنداً وامتناً والترجيح بينها إن تعددت... إلخ.

٤ - فرّق كثير من المفسرين لدى تناولهم مبهمات القرآن بين ما لتحديده قيمة معتبرة، وما ليس لتحديده قيمة، ونقلوا الآراء في النوع الأول ورجحوا بينها واستدلوا على صحتها، واكتفوا بذكر الآراء الواردة في النوع الثاني دون ترجيح أو دراسة، وبعضهم لم يفرق بين النوعين واستدل على كل المبهمات، ويستثنى من ذلك بعض المسائل.

٥ - الاستدلال على المبهم بالقرآن لا يُشترط دومًا أن يوفق فاعله إلى الصواب، بل قد يخفق، لا بسبب اعتماده على القرآن في الاستدلال، ولا لاضطراب أو تناقض في القرآن، معاذ الله، ولكن قد يقع الإخفاق لخطأ في الاستدلال، أو تقصير في دراسة الاستخدام القرآني للألفاظ والجمل والأساليب والتراكيب، أو النظر إلى مواطن قرآنية دون غيرها مما قد تكون ذات صلة بالموضوع، أو لأمر آخر تجب مراعاتها، ربما

- تكون خاصة بكل موطن من مواطن الإبهام على حدة، قد تغيب عن المستدل.
- ٦- ما قيل في النتيجة الخامسة عن الاستدلال على المبهم بالقرآن الكريم يقال عن الاستدلال على المبهم بالحديث النبوي الشريف، ويضاف إليه ضرورة مراعاة جوانب كثيرة في الحديث النبوي، مثل مسألة التفسير بالمثل، أي تفسير النبي ﷺ الشيء بذكر مثال عليه، بالإضافة إلى الاعتبارات الأخرى في الترجيح بين النصوص، من حيث تاريخ قولها ونسخ بعضها لبعض، وتخصيص بعضها لبعض ... إلخ ما يقرره علماء الحديث، فليس معنى وجود النص وجوب الاستدلال به، دون النظر إلى شروحه وتاريخه وملابساته الأخرى، فوجود النص يمثل بداية الدراسة، وليس نهايتها.
- ٧- أما أقوال الصحابة في المبهم فإنها كذلك تحتاج إلى دراسات وأبحاث لمعرفة ما إذا كان قول الصحابي في المبهم مرفوعاً إلى النبي ﷺ أو هو اجتهاد الصحابي، وما إذا كان صحابي آخر روي عنه خبر آخر مغاير، فالأمر يقتضي دراسة ملابسات كل خبر من الخبرين والتوفيق بينهما أو الترجيح.
- ٨- في القرآن الكريم نوع مهم من أنواع المبهم لم ينل حظه من البحث والدراسة والعناية، لا قديماً ولا حديثاً، هو مبهم الحدث.
- ٩- إعمال العقل في الاستدلال على المبهم لا مفر منه، ولا غنى عنه، سواء كان الاستدلال بالمنقول أو بالمعقول.

التوصيات

يوصي البحث بما يلي:

١- تشكيل لجنة علمية لإصدار موسوعة لمبهمات القرآن الكريم، على أن تتولى مؤسسة دينية رسمية، مثل مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، أو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، أو غيرهما الإشراف على هذه الموسوعة التي ستدرس مبهمات القرآن الكريم وفق المنهج المقترح الذي يقدمه هذا البحث.

٢- توجيه جهود الباحثين والدارسين إلى مزيد من الدراسات حول طرق التعامل مع المبهم، إما مقارنةً بين مفسرين أو أكثر، مثل المبهم بين فلان وفلان، أو دراسة تعامل واحد من المفسرين مع المبهم، مثل المبهم عند فلان، أو دراسة المبهم من حيث طريق الاستدلال عليه، مثل الاستدلال على المبهم بالسنة النبوية.. دراسة حديثة.. سنداً وامتناً، أو الاستدلال على المبهم باللغة عند المفسرين، أو الاستدلال على المبهم بالسياق، أو الاستنباط... إلخ.

٣- التركيز على دراسة المبهم في القرآن الكريم وطرق الاستدلال عليه ضمن المناهج الدراسية لدارسي علوم القرآن الكريم، وإقامة دورات خاصة به وبطرق الاستدلال عليه للطلاب والدارسين وغيرهم.

٤- العناية بمبهم الحدث لدى دراسة القصة القرآنية، مما قد يكون له دلالة ما في دروس القصص وغيرها، فليس معنى سكوت القرآن عن بعض حلقات القصص أنه لا قيمة لها، بل قد يكون هذا السكوت بغية إعمال العقل والمخيلة لمعرفة المسكوت عنه.

٥- بحث العلاقة بين بعض المباحث الأصولية والاستدلال على المبهم، مثل الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بالإجماع أو القياس أو غيرهما من المباحث

المرتبطة بأصول الفقه.

٦- دراسة مناهج المؤلفين في المبهم قديماً وحديثاً، بداية من السهيلي، من خلال الاعتماد على المنهج الوصفي الذي يصف هذه المؤلفات وطريقة تناولها للمبهم، ثم مقارنتها، بعضها ببعض، وتأثير بعضها في بعض، وإضافة اللاحق للسابق... إلخ، وإبراز جوانب الإجادة والقصور فيها... إلخ.

٧- عمل برنامج إذاعي أو تلفزيوني لتبسيط المبهم وشرحه وتقريبه للناس.

٨- توجيه جهود الباحثين والدارسين في علم التفسير إلى دراسة طرق المفسرين في تناول الاهتمامات التفسيرية، كل واحد منها بشكل منفصل، للوصول إلى طرق مثلى في التعامل مع هذه الاهتمامات، مثل طرق المفسرين في معرفة غريب القرآن، وطرق المفسرين في تأويل مشكل القرآن... إلخ، للخروج بطرق مثلى لمعرفة الآراء الصحيحة في كل هذا.

٩- توجيه جهود الباحثين والدارسين إلى دراسة اختلافات المفسرين وآرائهم، سنداً وممتناً، مصنفة تصنيفاً موضوعياً، ومحاولة الوصول إلى الآراء الصحيحة في ركام هذه الاختلافات، مثل الاختلافات الفقهية بين المفسرين، والاختلافات اللغوية بين المفسرين، والاختلافات الحديثة بين المفسرين... إلخ، ودراسة أثر ذلك.

١٠- العناية بالاهتمام بالتجديد في التفسير ودراساته، ليوكب التطورات المتلاحقة، حتى لا يبقى المنشغلون بالتفسير والمفسرين منعزلين عن العالم حولهم. من خلال دعم ودراسة الاتجاهات الحديثة في التفسير، مثل دراسة اتجاهات بيان الإعجاز العلمي في القرآن، ودراسة مناهج الدراسات التربوية والنفسية والاجتماعية... إلخ.

١١- بذل مزيد من الاهتمام بالدراسات القرآنية التفسيرية التي تصب في البناء الحضاري والثقافي والاجتماعي للأمة الإسلامية، وتعالج الخلل الواقع فيها، مثل كشف جوانب جديدة من حديث القرآن عن مسائل اجتماعية أو نفسية أو تربوية... إلخ.

١١ - حمل اللفظ على العموم ما أمكن، وعدم تقييده بخصوص، إلا بدليل قوي،
فالأصل عموم اللفظ، لا خصوص السبب.

خطة مقترحة للتعامل مع المبهم

فيما يلي خطة يقترحها البحث في التعامل مع المبهم، إذ ينبغي على المتعامل مع المبهم:

١- تحديد مفهوم المبهم بدقة حتى لا يدخل فيه ما ليس منه، ولا يغفل منه شيئاً، وقد سبق ذكر التعريف المختار للمبهم في المبحث الأول من الفصل الأول، وفي النتائج.

٢- العناية بالبحث عن قيمة معرفة المبهم وذكرها، سواء كانت قيمة عملية أو علمية، أما المبهم الذي ليس في تعيينه قيمة كبيرة فلا داعي للانشغال به، ولا بأس بجمع الآراء فيه والاختيار منها، إن أمكن وقامت أدلة قوية على هذا الاختيار، وإلا فلا، مع الإشارة إلى عدم الوقوف أمام الأمر كثيراً، والتنبيه إلى أنه لا قيمة كبيرة لمعرفة المبهم في هذه المسألة.

٣- محاولة الكشف عن سبب الإبهام في كل موطن على حدة.

٤- دراسة الاستخدام القرآني للفظة المبهمة، إذا ما كانت واردة في أكثر من موطن، ويمكن الاستعانة بمعاجم ألفاظ القرآن في ذلك، وفي ضوء هذا يمكن معرفة المبهم، أو حتى حصره في مجموعة خيارات، فإذا ما أمكن الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بالقرآن الكريم فلا ينبغي تقديم غيره عليه.

٥- العناية بمعرفة السياق القرآني، سواء عند ورود اللفظة المبهمة مرة واحدة، أو ورودها أكثر من مرة، فقد ترد اللفظة أكثر من مرة ويقصد بها أمراً مغايراً في كل مرة.

٦- العناية بمعرفة الاستخدام اللغوي للفظة المبهمة، وأساليب العرب في استخدامها، وتأمل النصوص الشعرية أو النثرية التي وردت فيها اللفظة، أو ورد فيها اشتقاق من اشتقاقاتها.

- ٧- جمع كل الآراء الواردة في المسألة، دون إغفال شيء منها ولو قلت قيمته من وجهة نظر المتعامل مع المبهم، ومحاولة معرفة أدلة أصحابها، ومناقشة هذه الأدلة مناقشة هادئة للوصول إلى الصواب أو مظنته.
- ٨- جمع النصوص التي تتصل بالمبهم بشكل من الأشكال، سواء التي نصت عليه مباشرة، أو التي ألمحت إليه، أو التي استخدمت لفظة المبهم نفسها، أو أخرى قريبة منها، ودراسة هذه النصوص، سنداً وامتناً، ومعرفة ملاساتها، والمخصّص منها وغير المخصّص، والمطلق منها والمقيد، والمتقدم منها والمتأخر، والناسخ منها والمنسوخ، والبدال منها على جزء الكل، أو على كل الكل... إلخ.
- ٩- حمل اللفظ على العموم ما أمكن، وعدم تقييده بخصوص، إلا بدليل قوي، فالأصل عموم اللفظ، لا خصوص السبب.
- ١٠- يكون ترتيب دراسة المبهم، كالاتي:
- أ- تحديد الآية، أو الآيات التي ذكر فيها المبهم.
- ب- القيمة العملية او العلمية للمبهم.
- ت- سبب الإبهام
- ث- دراسة الآراء الواردة في المبهم وأدلتها.
- ج- الترجيح.

فهرس المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- ١- الإبهام في القرآن والإعجاز العددي، دكتور حسين نصار، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة، ١٤٣٢هـ=٢٠١١م.
- ٢- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (١٨٤٩هـ-١٩١١هـ)، طبعة محققة مخرجة الأحاديث مع الحكم للشيخ شعيب الأرنؤوط، اعتنى بها وعلق عليها مصطفى شيخ مصطفى، طبعة مؤسسة الرسالة ناشرون، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م.
- ٣- أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه «التحرير والتنوير»، أطروحة علمية مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، للباحث مشرف بن أحمد بن جمعان الزهراني، مقدمة لجامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، شعبة التفسير وعلوم القرآن، إشراف الأستاذ الدكتور أمين محمد عطية باشه، الرقم الجامعي ٤٢٣٧٠٠٦٧.
- ٤- أثر السياق القرآني في التفسير.. دراسة نظرية تطبيقية على سورتي الفاتحة والبقرة، محمود الربيعة، رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.
- ٥- اجتماع الجيوش الإسلامية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، المعروف بابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٤هـ.
- ٦- الإجماع في التفسير، محمد بن عبدالعزيز بن أحمد الخضري، رسالة ماجستير بإشراف علي بن سليمان العبيد، مقدمة لجامعة محمد بن سعود الإسلامية، دار الوطن للنشر، د.ت.

- ٧- الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب، تحقيق مُجَّد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤.
- ٨- أحكام القرآن، أبوبكر أحمد بن علي الرازي الجصاص (٣٧٠هـ)، تحقيق مُجَّد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م.
- ٩- أحكام القرآن، أبوبكر مُجَّد بن عبدالله، المعروف بابن العربي (٤٦٨-٥٤٣هـ) راجع أصوله وخرج أحاديثه مُجَّد عبدالقادر عطا، منشورات مُجَّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٣م = ١٤٢٤هـ.
- ١٠- الإحكام في أصول الأحكام، الإمام أبو مُجَّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (٤٥٦هـ)، قدم له الدكتور إحسان عباس، منشورات دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ.
- ١١- أدب القاضي، أبوالحسن علي بن مُجَّد بن حبيب الماوردي (٤٥٠هـ)، تحقيق محيي هلال السرحان، طبعة إحياء التراث الإسلامي، مطبعة الرشيد، بغداد، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ.
- ١٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، قاضي القضاة أبوالسعود بن مُجَّد العمادي الحنفي (٩٠٠-٩٨٢هـ)، تحقيق عبدالقادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، د.ت.
- ١٣- أساس البلاغة، أبوالقاسم جارالله محمود بن عمر بن أحمد (٥٣٨)، تحقيق مُجَّد باسل عيون السود، منشورات مُجَّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م.

- ١٤- أسباب النزول المسمى «لباب النقول في أسباب النزول»، جلال الدين أبو عبد الرحمن السيوطي (٩١١هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م.
- ١٥- أسباب النزول وأثرها في التفسير، عصام حميدان، رسالة ماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ، بإشراف الدكتور محمد أبو فراه.
- ١٦- أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي (٤٦٨هـ)، رواية بدر الدين أبي نصر محمد بن عبد الله الأرماني (٥٢٩هـ)، تحقيق د. ماهر ياسين الفحل، دار الميمان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.
- ١٧- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر (٤٦٣هـ)، بعناية عادل مرشد، دار الأعلام، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م.
- ١٨- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، العز بن عبد السلام (٥٧٧-٦٦٠هـ)، دار الحديث، القاهرة، د. ت.
- ١٩- أصول السرخسي، الإمام أبو بكر بن أحمد بن أبي سهل السرخسي (٤٩٠هـ)، حقق أصوله أبو الوفا الأفغاني، دار المعرفة ١٣٩٣هـ.
- ٢٠- الأضداد، محمد بن قاسم الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الإعلام الكويتية، الطبعة الأولى ١٩٨٦م.
- ٢١- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (١٣٢٥هـ - ١٣٩٣هـ)، دار عالم الفوائد، د. ت.
- ٢٢- إعلام الموقعين عن رب العالمين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، المعروف بابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، قرأه وقدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، شارك في التخريج أبو عمر أحمد عبد الله

أحمد، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى
رجب ١٤٢٣هـ.

٢٣- الأعلام، خيرالدين الزركلي، دار العلم للملايين ط ١٥، مايو ٢٠٠٢.

٢٤- الإكليل في استنباط التنزيل، الحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي
(١٩١١هـ)، تحقيق سيف الدين عبدالقادر الكاتب، دار الكتب العلمية،

بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ=١٩٨١م.

٢٥- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف باسم تفسير البيضاوي، ناصر الدين
أبو الخير عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي (٦٩١هـ)، إعداد
وتقديم محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ
العربي، بيروت، د.ت.

٢٦- البداية والنهاية، الحافظ عماد الدين أباالفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي
٧٠١-٧٧٤هـ، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، بالتعاون مع
مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، هجر للطباعة والنشر
والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.

٢٧- بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٩١هـ- ٧٥١هـ=)
١٢٩٢م- ١٣٤٩م)، تحقيق علي محمد العمران، دار عالم الفوائد، مكة
المكرمة، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ.

٢٨- البرهان في أصول الفقه، عبدالملك بن عبدالله الجويني (٤٧٨هـ)، تحقيق
د.عبدالعظيم الديب، دار الوفا، الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ.

٢٩- البرهان في علوم القرآن، بدرالدين محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق محمد
أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، ٢٢ شارع الجمهورية، القاهرة د.ت.

- ٣٠- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجدالدين مُجَّد بن يعقوب الفيروزآبادي (١٧٨١هـ)، تحقيق مُجَّد علي النجار، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د.ت.
- ٣١- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق مُجَّد أبوالفضل إبراهيم، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.
- ٣٢- البيان في عد آي القرآن، أبوعمرو عثمان بن سعيد الداني (٤٤٤هـ)، تحقيق د.غانم قدوري الحمد، نشر مركز المخطوطات والوثائق، الكويت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ=١٩٩٤م.
- ٣٣- تاج العروس من جواهر القاموس، السيد مُجَّد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق عبدالكريم العزباوي، مطبعة حكومة الكويت، ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.
- ٣٤- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ=٢٠٠٣م.
- ٣٥- تاريخ المدينة المنورة، أبوزيد عمر بن شبة النميري البصري (١٧٣-٢٦٢هـ)، حققه فيهم مُجَّد شلتوت، طبع على نفقة السيد الأستاذ حبيب محمود أحمد، د.ت.
- ٣٦- تاريخ بغداد، أحمد بن علي بن ثابت أبوبكر الخطيب البغدادي (٣٩٢هـ-٤٦٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د.ت.
- ٣٧- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واردتها وأهلها، دراسة وتحقيق محب الدين أبي سعيد عمر العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.
- ٣٨- تاريخ نجد، للشيخ الإمام حسين بن غنام، حرره وحققه الدكتور ناصر الدين الأسد، دار الشروق، الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ=١٩٩٤م.

- ٣٩- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة (٢١٣-٢٧٦هـ)، شرح السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ.
- ٤٠- التبيان في أقسام القرآن، ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي (٧٥١هـ) مكتبة المتنبي، القاهرة، د.ت.
- ٤١- تذكرة الحفاظ، أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د.ت.
- ٤٢- ترجيحات القرطبي في التفسير من أول الكتاب إلى الآية رقم ١٨٨ من سورة البقرة، جمعاً ودراسةً وموازنةً، بحث لنيل درجة الماجستير من كلية الدعوة وأصول الدين- شعبة التفسير وعلوم القرآن الكريم، قسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، إعداد عبد الله عيدان أحمد الزهراني، الرقم الجامعي: ٤٢٥٨٠١٣٥، إشراف الدكتور عبدالودود مقبول حنيف.
- ٤٣- ترويح أولي الدمائه بمنتقى الكتب الثلاثة، الإدكاوي (١١٠٤-١١٨٤هـ)، مكتبة العبيكان، ٢٠٠١.
- ٤٤- التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي (٧٤١هـ)، ضبطه وصححه وخرج آياته محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.
- ٤٥- التعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعلام في القرآن الكريم، أبو القاسم عبدالرحمن السهيلي (٥٠٨-٥٨١هـ)، تحقيق الأستاذ عبدأ. علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.
- ٤٦- التعريفات، الشريف علي بن محمد الجرجاني (٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.

- ٤٧- تفسير ابن جريج، علي حسن عبدالغني، مكتب التراث الإسلامي، الطبعة الأولى ١٩٩٢م، ١٤١٣هـ.
- ٤٨- تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة، الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله الحميدي، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، من التراث الإسلامي، الكتاب الثالث والخمسون، د.ت.
- ٤٩- تفسير الإمامين الجليلين (بهامش القرآن الكريم بالرسم العثماني) جلال الدين مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد المحلي (٧٩١-٨٦٤هـ)، وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (٨٩٤-٩١١هـ)، مذيلاً بكتاب لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي، قدم له عبدالقادر الأرنؤوط، دار بن كثير، ١٤٠٧هـ.
- ٥٠- تفسير البحر المحيط، مُحَمَّد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق عادل أحمد عبدالجواد وعلي مُحَمَّد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ=١٩٩٣م.
- ٥١- تفسير البغوي، معالم التنزيل، للإمام محيي السنة أبي مُحَمَّد الحسين بن مسعود البغوي (٥١٦هـ)، تحقيق مُحَمَّد عبدالله النمر وعثمان جمعة وسليمان مسلم، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض.
- ٥٢- التفسير البياني للقرآن الكريم، الدكتورة عائشة بنت الشاطيء، دار المعارف، الطبعة السابعة، د.ت، الطبعة الأولى ١٩٦٢م.
- ٥٣- تفسير التابعين.. عرض ودراسة مقارنة، مُحَمَّد بن عبدالله بن علي الخضير، دار الوطن للنشر، د.ت.
- ٥٤- تفسير التحرير والتنوير، مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، (١٢٩٦-١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، د.ت.

٥٥- تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، الإمام عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المكي (٧٨٦-٨٧٥هـ)، تحقيق الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، شارك في التحقيق الدكتور عبدالفتاح أبوسنة، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٥٦- تفسير الخازن، المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، الشهير بالخازن (٧٢٥هـ)، ضبطه وصححه عبدالسلام محمد علي شاهين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م=١٤٢٥هـ.

٥٧- تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي أبوالميث (ت ٣٧٥هـ)، تحقيق عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض والدكتور زكريا عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د.ت.

٥٨- تفسير الضحاك (١٠٥هـ)، جمع وتحقيق ودراسة محمد شكري أحمد الزاويتي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى ١٩٩٩م=١٤١٩هـ.

٥٩- تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، محمد الرازي، فخرالدين (٥٤٤هـ - ٦٠٤هـ) ابن العلامة ضياء الدين عمر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.

٦٠- تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، تأليف محمد جمال الدين القاسمي، وقف على طبعه وتصحيحه ورقمه وخرج آياته وأحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبدالباقي، عيسى البابي الحلبي، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.

- ٦١- تفسير القرآن الحكيم المشتهر بتفسير المنار، مُحمَّد رشيد رضا (١٢٨٢-١٣٥٤هـ)، دار المنار الطبعة الثانية ١٣٦٦هـ = ١٩٤٧م.
- ٦٢- تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، عبدالرحمن بن مُحمَّد بن إدريس الرازي، ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق أسعد مُحمَّد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.
- ٦٣- تفسير القرآن العظيم، أبوالفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠٠هـ-٧٧٤هـ)، تحقيق سامي بن مُحمَّد السلامة، دار طيبة.
- ٦٤- تفسير القرآن الكريم للأستاذ الإمام الشيخ مُحمَّد عبده، جزء عم، طبعة الجمعية الخيرية الإسلامية، مطبعة مصر، الطبعة الثالثة ١٣٤١هـ.
- ٦٥- تفسير القرآن للسمعاني، أبوالمظفر السمعاني، منصور بن مُحمَّد بن عبدالجبار التميمي المروزي الشافعي السلفي (٤٨٩هـ)، تحقيق أبي تميم ياسر بن إبراهيم، وأبي بلال غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- ٦٦- تفسير القرآن، الإمام عبدالرزاق بن همام الصنعاني (١٢٦-٢١١هـ)، تحقيق الدكتور مصطفى مسلم مُحمَّد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ = ١٩٨٩م.
- ٦٧- التفسير اللغوي للقرآن الكريم، د.مسعود بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- ٦٨- تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، أستاذ الشريعة الإسلامية واللغة العربية بكلية دار العلوم، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى ١٣٦٥هـ = ١٩٤٦م.

- ٦٩- التفسير النبوي.. مقدمة تأصيلية مع دراسة حديثة لأحاديث التفسير النبوي الصريح، خالد عبدالعزيز الباتلي، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ = ٢٠١١م.
- ٧٠- تفسير النسائي، الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي (٣٠٣هـ)، صاحب السنن، تحقيق مركز السنة للبحث العلمي، صبري بن عبد الخالق الشافعي - سيد بن عباس، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م.
- ٧١- تفسير غريب القرآن، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٣٩٨هـ.
- ٧٢- تفسير مبهمات القرآن الموسوم بصلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الإعلام والتكميل، البننسي (٧١٤-٧٨٢هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ = ١٩٩١م.
- ٧٣- تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر القرشي المخزومي (١٠٤هـ)، ضبط نصه وخرج أحاديثه أبو محمد الأسيوطي، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م = ١٤٢٦هـ.
- ٧٤- التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، د.ت.
- ٧٥- التكميل والإتمام لكتاب التعريف والإعلام، محمد بن علي الخضر الغساني أبو عبدالله المعروف بابن عسكر (٥٨٤-٦٣٦هـ)، تحقيق حسن إسماعيل مروة، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق - سورية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م.
- ٧٦- تهذيب الأسماء واللغات، أبوزكريا محيي الدين بن شرف النووي (٦٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان د.ت.

- ٧٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ١٣٠٧-١٣٧٦هـ، مقدمه فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العقيل، فضيلة الشيخ بكر بن عبدالله أبوزيد، اعتنى به سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي، د.ت.
- ٧٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، وقيل يزيد بن كثير بن غالب (٢٢٤هـ-٣١٠هـ)، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، د.ت، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق محمود محمد شاكر، راجع أحاديثه أحمد محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية، د.ت.
- ٧٩- الجامع الكبير، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (٢٧٩هـ)، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
- ٨٠- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (٦٧١هـ)، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م.
- ٨١- جزء في تفسير الباقيات الصالحات وفضلها، الإمام الحافظ صلاح الدين أبوسعيد خليل بن كيكلي العلاءي (٦٩٤-٧٦١هـ)، تحقيق علي أبوزيد وحسن مروة، دار ابن كثير- دمشق- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.
- ٨٢- جمهرة اللغة، أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد (٣٢١هـ)، تحقيق الدكتور رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى نوفمبر ١٩٨٧م.

- ٨٣- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، الحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق مُجَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى ١٩٦٧م = ١٣٨٧هـ.
- ٨٤- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الحافظ أبونعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني (٤٣٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م.
- ٨٥- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٥هـ)، تحقيق د. عبدالحميد هنداوي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢١هـ.
- ٨٦- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (٧٥٦هـ)، تحقيق أحمد مُجَّد الخراط، دار القلم- دمشق، د.ت.
- ٨٧- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي (٨٤٩هـ-٩١١هـ)، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٣م.
- ٨٨- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تأليف شيخ الإسلام حافظ العصر شهاب الدين أحمد بن علي بن مُجَّد بن مُجَّد بن علي بن أحمد الشهير بابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، دار الجليل، بيروت، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م.
- ٨٩- دلالة السياق القرآني في تفسير أضواء البيان للعلامة الشنقيطي.. دراسة موضوعية تحليلية، أحمد لافي المطيري، رسالة ماجستير مقدمة للجامعة الأردنية.
- ٩٠- دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير.. دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير، عبدالحكيم القاسم، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة الإمام مُجَّد بن سعود الإسلامية بالرياض، ص ٦٢.

- ٩١- دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى - عليه السلام - دراسة نظرية تطبيقية، فهد بن شتوي الشتوي، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية.
- ٩٢- دلالة السياق.. منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم، عبدالوهاب أبوصفية الحارثي، عمان - الأردن، الطبعة الأولى ١٩٨٩م.
- ٩٣- دلالة السياق، ردة الله بن ردة بن ضيف الله، رسالة دكتوراه في علم اللغة، مقدمة لجامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية، تحت إشراف الدكتور عبدالفتاح عبدالعليم البركاوي.
- ٩٤- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي أبوبكر (٣٨٤-٤٥٨هـ)، تحقيق عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية - دار الريان للتراث، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م
- ٩٥- دور السياق في الترجيح بين الأقاويل التفسيرية، د. محمد إقبال عروي، الإصدار رقم ١ من سلسلة إصدارات «روافد»، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، قطاع الشؤون الثقافية، إدارة الثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى أبريل ٢٠٠٧م = ربيع الأول ١٤٢٨هـ.
- ٩٦- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون المالكي (٧٩٩هـ)، تحقيق وتعليق الأستاذ الدكتور محمد الأحمد أبوالنور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، د.ت.
- ٩٧- ديوان أمية بن أبي الصلت، تحقيق سميع جميل الجبيلي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
- ٩٨- ذيل تاريخ بغداد، محمد بن محمود بن الحسن البغدادي، الشهير بابن النجار، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٩٩- الرد على الجهمية، الإمام عثمان بن سعيد الدارمي (ت ٢٨٠هـ)، قدم له وخرّج أحاديثه وعلق عليها بدر البدر، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥.

١٠٠- الرد على الرنادقة والجهميّة فيما شكّت فيه من مُتشابه القرآن وتأوّلته على غير تأويله، إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن مُحمّد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ)، ومعه تقارير وافية مجموعة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١-٧٢٨هـ)، تقرّظ فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، ومعالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، دراسة وتحقيق دغش بن شبيب العجمي، دار غراس، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.

١٠١- الرسالة، الإمام المطليبي مُحمّد بن إدريس الشافعي (١٥٠-٢٠٤هـ)، تحقيق أحمد مُحمّد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د.ت.

١٠٢- رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز، الإمام الحافظ عزالدين عبدالرازق بن رزق الله الرسعني الحنبلي (٥٨٩-٦٦١هـ)، دراسة وتحقيق أ.د. عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، مكتبة الأسد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م.

١٠٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين السيد محمود أبو الفضل الألويسي البغدادي (١٢١٧-١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، د.ت.

١٠٤- زاد المسير في علم التفسير، الإمام أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن مُحمّد الجوزي القرشي البغدادي (٥٠٨-٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

١٠٥- زهرة التفاسير، الإمام مُحمّد أبوزهرة، دار الفكر العربي، د.ت.

- ١٠٦- السلسلة الصحيحة وشيء من فقهها، مُجَّد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.
- ١٠٧- سنن الحافظ أبي عبدالله مُجَّد بن يزيد القزويني ابن ماجه (٢٠٩-٢٧٣هـ)، تحقيق بشار عواد معروف، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ=١٩٩٨م.
- ١٠٨- سنن الدارقطني، بذيله التعليق المغني على الدارقطني، الحافظ الكبير علي بن عمر الدارقطني، تحقيق شعيب الأرنؤوط، حسن عبدالمنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ=٢٠٠٤م.
- ١٠٩- السنن الكبرى، أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (٤٥٨هـ)، تحقيق مُجَّد عبدالقادر عطا، منشورات مُجَّد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ٢٠٠٣م=١٤٢٤هـ.
- ١١٠- السنن الكبرى، الإمام أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي (٣٠٣هـ)، قدم له الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، أشرف عليه شعيب الأرنؤوط، حققه وخرج أحاديثه حسن عبدالمنعم شلبي، بمساعدة مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ=٢٠٠١م.
- ١١١- السياق القرآني وأثره في التفسير.. دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، إعداد الباحث عبدالرحمن عبدالله سرور

- جرمان المطيري، الرقم الجامعي ٤٢٧٨٠٠٦٧، إشراف الدكتور خالد بن عبد الله القرشي، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م.
- ١١٢- سير أعلام النبلاء، شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (١٧٤٨هـ)، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، والدكتور محيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الحادية عشرة ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م.
- ١١٣- سيرة النبي ﷺ، أبو مُحَمَّد عبد الملك بن هشام (١٨٣هـ)، تحقيق مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث بطنطا، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م.
- ١١٤- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الإمام شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحلي بن أحمد بن مُحَمَّد العسكري الحنبلي الدمشقي (١٠٣٢-١٠٨٩هـ)، أشرف على تحقيقه وإخراج أحاديثه عبد القادر الأرنؤوط، حققه وعلق عليه محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٣هـ = ١٩٩٢م).
- ١١٥- شرح السنة، الإمام الحسين بن مسعود البغوي (٤٣٦-٥١٦هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مُحَمَّد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.
- ١١٦- شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، حققه وقدم له الدكتور إحسان عباس، التراث العربي (سلسلة تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت)، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٢م.
- ١١٧- شرح معاني الآثار، أبو جعفر أحمد بن مُحَمَّد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري الطحاوي الحنفي (٢٢٩-٣٢١هـ)،

- تحقيق مُجَّد زهري النجار، مُجَّد سيد جاد الحق، مراجعة وترقيم د. يوسف عبدالرحمن المرعشلي، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م.
- ١١٨- شعب الإيمان، الإمام أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي (٣٨٤هـ-٤٥٨هـ)، تحقيق أبي هاجر مُجَّد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.
- ١١٩- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي أبوالفضل عياض بن موسى اليحصبي (٤٧١-٥٥٤)، تحقيق مُجَّد أمين قره علي وأسامة الرفاعي وجمال السيروان ونورالدين قره علي وعبدالفتاح السيد، طبعة دار الوفاء، دمشق، د.ت.
- ١٢٠- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أبوالحسن أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر، نشر مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٧٧م.
- ١٢١- الصحاح.. تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٣هـ)، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، يناير ١٩٩٠م.
- ١٢٢- صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م.
- ١٢٣- صحيح ابن خزيمة، الإمام أبوبكر مُجَّد بن إسحق بن خزيمة السلمى النيسابوري (٢٢٣-٣١١هـ)، تحقيق الدكتور مُجَّد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.
- ١٢٤- صحيح مسلم المسمى المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، الإمام الحافظ أبوالحسن مسلم بن الحجاج القشيري

- النيسابوري (٢٠٦-٢٦١هـ)، عناية أبي قتيبة نظر مُجَّد الفاريايبي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م، وصحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى ١٣٤٧هـ=١٩٢٩م.
- ١٢٥- طبقات الحنابلة، مُجَّد بن أبي يعلى الفراء الحنبلي، تحقيق د.عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، نشر الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ=١٩٩٩م.
- ١٢٦- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي (٧٢٧-٧٧١هـ)، تحقيق محمود مُجَّد الطناحي وعبدالفتاح مُجَّد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، د.ت.
- ١٢٧- طبقات الشافعية، عبدالرحيم الأسنوي (٧٧٢هـ)، تحقيق عبدالله الجبوري، مطبعة الإرشاد- بغداد، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ=١٩٧١م.
- ١٢٨- العلو للعلي العظيم وإيضاح صحيح الأخبار من سقيمها، شمس الدين الذهبي (٧٤٨هـ)، تحقيق عبدالله بن صالح البراك، دار الوطن للنشر، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.
- ١٢٩- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ.. معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم، أحمد بن يوسف بن عبدالدائم المعروف بالسمن الحلي (٧٥٦هـ)، تحقيق مُجَّد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ=١٩٩٦م.
- ١٣٠- عمل اليوم والليلة، الإمام أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي (٣٠٣هـ)، دراسة وتحقيق الدكتور فاروق حمادة، كلية الآداب جامعة مُجَّد الخامس، الرباط، مؤسسة الرسالة، د.ت.

- ١٣١- عناية القاضي وكفاية الرازي على تفسير البيضاوي (حاشية الشهاب)، أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي، الطبعة الخديوية ١٢٨٣هـ، تصوير دار صادر- بيروت.
- ١٣٢- العيال، عبدالله محمد عبيد البغدادي أبوبكر ابن أبي الدنيا (٢٨١هـ)، تحقيق الدكتور نجم عبدالرحمن خلف، دار ابن القيم- الدمام، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.
- ١٣٣- غرر التبيان فيمن لم يسم في القرآن، بدرالدين محمد بن إبراهيم بن سعدالله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي (٧٣٣هـ)، تحقيق الدكتور عبدالجواد خلف، دار قتيبة للطبع والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.
- ١٣٤- غريب القرآن وتفسيره، أبوعبدالرحمن عبدالله بن يحيى بن المبارك الزايدي (٢٣٧هـ)، تحقيق محمد سليم الحاج، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- ١٣٥- الغوامض والمبهمات، ابن بشكوال (٤٩٤هـ-٥٧٨هـ)، تحقيق محمود مغراوي، دار الأندلس الخضراء- جدة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ=١٩٩٤م.
- ١٣٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣هـ-٨٥٢هـ) بعناية عبدالعزيز بن باز، محمد فؤاد عبدالباقي، محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت لبنان، د.ت.
- ١٣٧- فتح القدير.. الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، (١٢٥٠هـ)، اعتنى به وراجع أصوله يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت- لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م.
- ١٣٨- فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة، أبوعبدالله محمد بن أيوب بن الضريس البجلي (٢٩٤هـ)، تحقيق عروة بدير، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ=١٩٨٧م.

- ١٣٩- فضائل القرآن ومعاله وأدبه، أبوالقاسم بن سلام (٢١٧هـ)، تحقيق وتعليق وهبي سليمان غاوجي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- ١٤٠- فضائل القرآن، أبويعيد القاسم بن سلام الهروي (٢٢٤هـ)، تحقيق مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير- لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م.
- ١٤١- فنون الأفنان في علوم القرآن، أبوالفرج عبدالرحمن بن الجوزي (٥٩٧هـ)، تحقيق حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م.
- ١٤٢- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة الشرعية الثانية والثلاثون، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
- ١٤٣- القاموس المحيط، مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٨١٧هـ)، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة ٢٠٠٥م = ١٤٢٦هـ.
- ١٤٤- كتاب الدعاء، الحافظ الإمام أبوالقاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠-٣٦٠هـ)، دراسة وتحقيق وتخرّيج الدكتور محمد سعيد بن محمد حسن البخاري، رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى بمكة المكرمة في ٢٨ شعبان ١٤٠٥هـ، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.
- ١٤٥- كتاب السنن، سنن أبي داود، الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (٢٠٢-٢٧٥هـ)، تحقيق محمد عوامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة الريان، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م.

- ١٤٦- كتاب العين مرتبًا على حروف المعجم، الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠هـ)، ترتيب وتحقيق الدكتور عبد الحميد هندراوي المدرس بكلية دار العلوم- جامعة القاهرة، منشورات مُجَّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.
- ١٤٧- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، الإمام الحافظ عبدالله بن مُجَّد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان، الكوفي العبسي (٢٣٥هـ)، تحقيق مختار أحمد الندوي، الدار السلفية- الهند، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ = ١٩٨١م.
- ١٤٨- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جارالله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧هـ - ٥٣٨هـ)، تحقيق عادل أحمد عبدالموجود وعلي مُجَّد معوض، مكتبة العبيكان، د.ت.
- ١٤٩- كشف المغطى في تبين الصلاة الوسطى، للإمام الحافظ عبدالمؤمن بن خلف بن أبي الحسن، المعروف بالدمياطي، دراسة وتحقيق مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ=١٩٨٩.
- ١٥٠- لسان العرب، أبو الفضل مُجَّد بن مكرم بن علي، جمال الدين ابن منظور (٦٣٠هـ - ٧١١هـ)، طبعة دار المعارف، د.ت.
- ١٥١- مباحث في مبهمات القرآن الكريم (سورتي الفاتحة والبقرة)، دار البيان- القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩٥.
- ١٥٢- مبهم القرآن الكريم في ضوء السنة النبوية، دعاء سميح عبدالسلام مسلم، رسالة دكتوراه تحت إشراف الدكتور مُجَّد فؤاد شاكر، والدكتور محمود مُجَّد الحنطور، والدكتور فتحي عبدالمحسن مُجَّد، جامعة عين شمس، كلية التربية، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، ١٤٣٦هـ=٢٠١٥م.

- ١٥٣- المبهمات في القرآن الكريم.. مواضعها وأسبابها، مُجَّد أبو الغيط، رسالة ماجستير
قُدمت لكلية دار العلوم، جامعة القاهرة، قسم الشريعة الإسلامية، عام
٢٠٠٩م، أعدها مُجَّد السيد مُجَّد أبو الغيط.
- ١٥٤- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (٢١٠هـ)، عارضه بأصوله وعلق
عليه فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت.
- ١٥٥- مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن مُجَّد بن
قاسم، وساعده ابنه مُجَّد، طباعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف
بالمدينة المنورة، ٢٠٠٤=١٤٢٥هـ.
- ١٥٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، القاضي أبو مُجَّد عبدالحق بن غالب بن
عطية الأندلسي (٥٤٦هـ)، تحقيق عبدالسلام عبدالشافى مُجَّد، دار الكتب
العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب
العزيز، القاضي أبو مُجَّد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق وتعليق
الرحالة الفاروق، عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، السيد عبدالعال إبراهيم، مُجَّد
الشافعي الصادق، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، إدارة الشؤون
الإسلامية- دولة قطر، الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م.
- ١٥٧- المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة.. دراسة الأسباب رواية
ودراية، د. خالد بن سليمان المزيني، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.
- ١٥٨- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي أبو البركات
(٧٠١هـ)، تحقيق سيد ذكريا، مكتبة نزار مصطفى الباز، د.ت.
- ١٥٩- المستدرك على الصحيحين، أبو عبدالله مُجَّد بن عبدالله الحاكم النيسابوري
(٣٢١هـ-٤٠٥هـ)، مطبوعات مجلس دائرة المعارف، حيدر آباد، الدكن،
الطبعة الأولى ١٣٤٠هـ.

١٦٠- مسند أبي يعلى الموصلي، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن المثنى التميمي (٢١٠-٣٠٧هـ)، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.

١٦١- مسند الإمام أبي بكر عبدالله بن الزبير القرشي الحميدي (٢١٩هـ)، تحقيق حسين سليم أسد، دار السقا- دمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

١٦٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ)، أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرين، مؤسسة الرسالة، د.ت، ومسند الإمام أحمد، طبعة الميمنية، والمسند، أحمد بن حنبل، شرحه ووضع فهارسه، أحمد مُجَّد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٦هـ=١٩٩٥م.

١٦٣- مسند الدارمي، المعروف بسنن الدارمي، الإمام الحافظ أبو مُجَّد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي (١٨١-٢٥٥هـ)، تحقيق حسين سليم أسد الدارني، دار المغني للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢١=٢٠٠٠م.

١٦٤- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، برهان الدين أبوالحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي (٨٨٥هـ)، تحقيق الدكتور عبدالسميع مُجَّد أحمد حسنين، الطبعة الأولى ١٤٠٨=١٩٨٧هـ، مكتبة المعارف، الرياض.

١٦٥- المصنف، الحافظ أبوبكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني (١٢٦-٢١١هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، من منشورات المجلس العلمي، د.ت.

١٦٦- المعارف، عبدالله بن مسلم بن قتيبة (٢١٣-٢٧٦هـ)، تحقيق: د. ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، د.ت.

١٦٧- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج أبو إسحق إبراهيم بن السري (٣١١هـ)، شرح وتعليق د. عبدالجليل عبده شليبي، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

- ١٦٨- معاني القرآن، أبو جعفر النحاس (٣٣٨هـ)، تحقيق محمد علي الصابوني، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مركز إحياء التراث الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- ١٦٩- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ = ١٩٩١م.
- ١٧٠- المعجم الأوسط الحافظ الإمام أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠-٣٦٠هـ)، تحقيق قسم التحقيق بدار الحرمين، أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، وأبو الفضل عبد المحسن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م.
- ١٧١- معجم البلدان، الشيخ الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، دار صادر- بيروت، ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م.
- ١٧٢- معجم القراءات، الدكتور عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م.
- ١٧٣- معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م.
- ١٧٤- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة (مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية)، د.ت.
- ١٧٥- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م.
- ١٧٦- مفحمت الأقران في مبهمات القرآن، السيوطي (٨٤٩هـ-٩١١هـ)، ضبط وتعليق د. مصطفى ديب البغا، مؤسسة علوم القرآن، دمشق- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ = ١٩٨٢م.

- ١٧٧- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (٤٢٥هـ)، تحقيق صفوان عدنان داودي، دار القلم، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.
- ١٧٨- المفردات في غريب القرآن، أبوالقاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ)، تحقيق صفوان عدنان داودي، دار القلم والدار الشامية، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.
- ١٧٩- مقاييس اللغة، أبوالحسين أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ)، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.
- ١٨٠- مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون أبوزيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (٨٠٨هـ)، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٥هـ.
- ١٨١- مقدمة في أصول التفسير، شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية (٦٦١-٧٢٨هـ)، عناية فواز أحمد زمري، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ=١٩٩٤م.
- ١٨٢- المكي والمدني في القرآن.. دراسة تأصيلية نقدية للصور والآيات.. من أول القرآن إلى نهاية سورة الإسراء، عبدالرزاق حسين أحمد، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.
- ١٨٣- مناهل العرفان في علوم القرآن، الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني، تحقيق فواز أحمد زمري، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.
- ١٨٤- المنتقى من السنن المسندة عن رسول الله ﷺ أبو محمد عبدالله بن الجارود (٣٠٧هـ)، تحقيق عبدالله عمر البارودي، مؤسسة الكتب الثقافية - دار الجنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.

- ١٨٥- منهج الاستنباط من القرآن الكريم، فهد بن مبارك بن عبدالله الوهبي، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، معهد الإمام الشاطبي التابع للجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بمحافظة جدة، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م، وأصل الكتاب رسالة ماجستير مقدمة لقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بالرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- ١٨٦- منهج الإمام ابن جرير الطبري في الترجيح، د.حسين علي الحربي، عضو هيئة التدريس بجامعة جازان، دار الجنادرية للطبع والنشر والتوزيع، الأردن، ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م.
- ١٨٧- منهج الإمام الماوردي في تفسيره النكت والعيون، بدر محمد الصميط، رسالة ماجستير مقدمة لقسم الكتاب والسنة بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، بجامعة أم القرى، بالمملكة العربية السعودية، إشراف الدكتور عبدالوهاب فايد.
- ١٨٨- المنهج الحركي في ظلال القرآن، الدكتور صلاح عبدالفتاح الخالدي، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة- السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.
- ١٨٩- الموافقات، أبو إسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي (٧٩٠هـ) تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ=١٩٩٧م.
- ١٩٠- الموطأ، إمام دار الهجرة مالك بن أنس ٩٣-١٧٩هـ، رواية يحيى بن يحيى، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ=١٩٩٧م.
- ١٩١- الناسخ والمنسوخ في كتاب الله واختلاف العلماء في ذلك، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (٣٣٨هـ)، تحقيق د.سليمان بن إبراهيم اللاحم، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ=١٩٩١م.

- ١٩٢- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبوالمحسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ٨١٣-٨٧٤هـ، قدم له وعلق عليه مُجَدِّد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٣هـ=١٩٩٢م.
- ١٩٣- نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، مُجَدِّد الغزالي، دار الشروق، الطبعة الرابعة ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.
- ١٩٤- النشر في القراءات العشر، أبوالخير مُجَدِّد بن مُجَدِّد الدمشقي الشهير بابن الجزري (٨٣٣هـ)، قدم له صاحب الفضيلة الأستاذ علي مُجَدِّد الضباع، خرج آياته الشيخ زكريا عميرات، منشورات مُجَدِّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ=١٩٩٨م.
- ١٩٥- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبوالمحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (٨٨٥هـ=١٤٨٠م)، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة، د.ت.
- ١٩٦- النكت والعيون، تفسير الماوردي، أبوالمحسن علي بن مُجَدِّد بن حبيب الماوردي البصري (٣٦٤هـ-٤٥٠هـ)، تحقيق السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت لبنان، د.ت.
- ١٩٧- نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، مُجَدِّد بن علي الشوكاني، تحقيق مُجَدِّد صبحي بن حسن حلاق، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى شوال ١٤٢٧هـ.
- ١٩٨- هدية العارفين.. أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، د.ت.
- ١٩٩- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (٧٦٤هـ)، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٢٠٠- الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، عبدالفتاح عبدالغني القاضي
(١٤٠٢هـ)، مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، الطبعة الخامسة (الأولى للسوادي)

١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.

٢٠١- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبوالعباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي
بكر بن خلكان (٦٠٨-٦٨١هـ)، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر

بيروت ١٩٧٢م.



فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
شكر وعرفان.....	١
شكر خاص.....	٢
المقدمة	٣
الفصل الأول: المبهم.. نشأته وأنواعه والمؤلفات فيه وأسباب وروده.....	١٦
المبحث الأول: المبهم لغة واصطلاحًا.....	١٧
المبحث الثاني: عناية الأمة بمبهم القرآن الكريم وتدوينه والمؤلفات فيه.....	٢٤
المبحث الثالث: أنواع المبهم في القرآن الكريم.....	٣٤
تقسيم آخر.....	٣٧
المبحث الرابع: أسباب ورود المبهم.....	٣٩
الفصل الثاني: موقف المفسرين من المبهم في القرآن الكريم.....	٥٠
المبحث الأول: موقف المفسرين بالمأثور من المبهم.....	٥٢
موقف ابن جرير الطبري من المبهم.....	٥٣
موقف الماوردي من المبهم.....	٥٨

- المبحث الثاني: موقف المفسرين بالرأي من المبهم..... ٦٠
- موقف الفخر الرازي من المبهم..... ٦١
- موقف البيضاوي من المبهم..... ٦٥
- موقف أبي حيان الأندلسي من المبهم..... ٦٦
- موقف القرطبي من المبهم..... ٦٧
- موقف الألوسي من المبهم..... ٧٠
- الخلاصة..... ٧٢
- المبحث الثالث: موقف المفسرين المعاصرين من المبهم..... ٧٣
- موقف الإمام محمد عبده من المبهم..... ٧٤
- موقف الشيخ محمد رشيد رضا من المبهم..... ٧٧
- موقف سيد قطب من المبهم..... ٨٠
- موقف الطاهر بن عاشور من المبهم..... ٨٢
- الخلاصة..... ٨٣
- خلاصة موقف المفسرين من المبهم..... ٨٤
- الفصل الثالث: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بالمأثور..... ٨٥
- المبحث الأول: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بالقرآن الكريم..... ٨٦

- المطلب الأول: الاستدلال على «الذين أنعم الله عليهم» ٨٩
- القيمة العملية أو العلمية لمعرفة المبهم في الآية..... ٨٩
- آراء المفسرين في المنعم عليهم في فاتحة الكتاب..... ٨٩
- الدراسة..... ٩١
- الترجيح..... ٩١
- المطلب الثاني: الاستدلال على «المغضوب عليهم» و«الضالين» في سورة الفاتحة..... ٩٢
- القيمة العملية أو العلمية لمعرفة المبهم في الآية..... ٩٢
- آراء المفسرين فيه..... ٩٢
- الدراسة (المغضوب عليهم)..... ٩٤
- الدراسة (الضالين)..... ٩٧
- الترجيح..... ١٠٥
- المطلب الثالث: الاستدلال على الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه..... ١٠٨
- القيمة العملية أو العلمية لمعرفة هذه الكلمات في الآية..... ١٠٨
- آراء المفسرين فيها..... ١٠٨
- الدراسة..... ١١٠
- الترجيح..... ١١١

- المبحث الثاني: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بالسنة..... ١١٣
- المطلب الأول: الاستدلال على الصلاة الوسطى..... ١١٥
- القيمة العملية أو العلمية لتحديد الصلاة الوسطى..... ١١٥
- اختلاف المفسرين في تحديدها..... ١١٥
- الدراسة..... ١١٨
- الترجيح..... ١٢٧
- المطلب الثاني: الاستدلال على الباقيات الصالحات..... ١٢٩
- القيمة العملية أو العلمية لتحديد الباقيات الصالحات..... ١٣٠
- اختلاف المفسرين في تحديدها..... ١٣٠
- الدراسة..... ١٣٢
- الترجيح..... ١٣٩
- المطلب الثالث: الاستدلال على معنى الكوثر..... ١٤١
- القيمة العملية أو العلمية لمعرفة الكوثر في الآية..... ١٤١
- اختلاف المفسرين في معنى الكوثر..... ١٤١
- الترجيح..... ١٤٤
- المبحث الثالث: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بأقوال الصحابة..... ١٤٦

- المطلب الأول: الاستدلال على الأيام المعدودات..... ١٤٨
- القيمة العملية أو العلمية لتحديد الأيام المعدودات..... ١٤٨
- اختلاف المفسرين في تحديد الأيام المعدودات..... ١٤٨
- الدراسة..... ١٤٩
- الترجيح..... ١٥١
- المطلب الثاني: الاستدلال على المقتسمين..... ١٥٢
- القيمة العملية أو العلمية لمعرفة المقتسمين..... ١٥٢
- اختلاف المفسرين فيهم..... ١٥٣
- الدراسة..... ١٥٣
- الترجيح..... ١٥٦
- المطلب الثالث: الاستدلال على اللتين تظاهرتا..... ١٥٨
- المبحث الرابع: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بأقوال التابعين..... ١٦٠
- المطلب الأول: الاستدلال على نعمة الله التي ينكرها الكافرون في سورة النحل..... ١٦٢
- القيمة العملية أو العلمية لتحديدتها..... ١٦٢
- اختلاف المفسرين في تحديدتها..... ١٦٢
- الدراسة..... ١٦٤

- الترجيح..... ١٦٤
- المطلب الثاني: الاستدلال على البيان الذي علمه الله للإنسان..... ١٦٦
- القيمة العملية أو العلمية لتحديد البيان..... ١٦٦
- اختلاف المفسرين في تحديده..... ١٦٦
- الدراسة..... ١٦٨
- الترجيح..... ١٦٩
- المطلب الثالث: الاستدلال على النجم المقسم به..... ١٧١
- القيمة العملية أو العلمية لتحديد النجم..... ١٧١
- اختلاف المفسرين في تحديد النجم..... ١٧٢
- الدراسة..... ١٧٧
- الترجيح..... ١٧٨
- الفصل الرابع: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بالمعقول..... ١٧٩
- المبحث الأول: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بالسياق..... ١٨٠
- المطلب الأول: تعريف السياق لغة واصطلاحًا..... ١٨١
- المطلب الثاني: مشروعية الاستدلال بالسياق في التفسير..... ١٨٧
- المطلب الثالث: الاستدلال على المبهم بالسياق..... ١٩٢

- المسألة الأولى: الاستدلال على المتقدمين والمستأخرين..... ١٩٢
- القيمة العملية أو العلمية لتحديد المتقدمين والمستأخرين..... ١٩٢
- اختلاف المفسرين فيهم..... ١٩٢
- الدراسة..... ١٩٤
- الترجيح..... ٢٠٢
- المسألة الثانية: الاستدلال على «أمر الله» في أول سورة النحل..... ٢٠٣
- القيمة العملية أو العلمية لتحديد المبهم في الآية..... ٢٠٣
- اختلاف المفسرين في تحديده..... ٢٠٣
- الدراسة..... ٢٠٣
- الترجيح..... ٢١١
- المسألة الثالثة: الاستدلال على الذي نادى مريم..... ٢١٣
- القيمة العملية أو العلمية لتحديد الذي نادى مريم..... ٢١٣
- اختلاف المفسرين في تحديده..... ٢١٣
- الدراسة..... ٢١٤
- الترجيح..... ٢٢٠
- المبحث الثاني: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم باللغة..... ٢٢١

- المطلب الأول: التفسير اللغوي.. تعريفه.. أهميته.. مشروعيته..... ٢٢٢
- تعريف التفسير اللغوي..... ٢٢٢
- أهمية التفسير اللغوي..... ٢٢٤
- مشروعية التفسير اللغوي..... ٢٢٦
- المطلب الثاني: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم باللغة..... ٢٢٧
- الاستدلال على الرقيم..... ٢٢٧
- القيمة العملية أو العلمية لمعرفة الرقيم..... ٢٢٧
- اختلاف المفسرين في الرقيم..... ٢٢٧
- الدراسة..... ٢٢٧
- الترجيح..... ٢٣١
- المبحث الثالث: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بالاستنباط..... ٢٣٣
- المطلب الأول: تعريف الاستنباط لغة واصطلاحًا..... ٢٣٤
- المطلب الثاني: مشروعية التفسير بالاستنباط..... ٢٣٨
- المطلب الثالث: الاستدلال على المبهم في القرآن الكريم بالاستنباط..... ٢٤٣
- المسألة الأولى: الاستدلال على عدد أصحاب الكهف..... ٢٤٤
- القيمة العملية أو العلمية لتحديد عدد أصحاب الكهف..... ٢٤٤

٢٤٤.....	اختلاف الآراء في عدد أصحاب الكهف
٢٤٥.....	اختلاف المفسرين في أصحاب الكهف
٢٤٥.....	الدراسة
٢٥٢.....	الترجيح
٢٥٣.....	المسألة الثانية: هل كان موسى عليه السلام ضمن رجال القصر ساعة وكز القبطي؟
٢٥٦.....	الخاتمة
٢٥٧.....	النتائج
٢٥٩.....	التوصيات
٢٦٢.....	منهج مقترح للتعامل مع المبهمات في القرآن
٢٦٤.....	فهرس المصادر والمراجع
٢٩٣.....	فهرس الموضوعات